القافلة

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين • مايو - يونيو 2011

العدد 3
المجلد 60



ملف العدد

الجدار

الفساد بين التمكين والمساءلة

سعد البازعي: لا أتخيل مشهداً ثقافياً هادئاً

قافلة الأبحاث

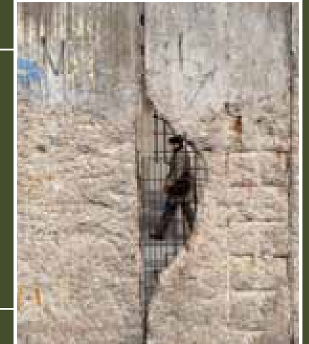
تنظِّم مجلة **القافلة** نشاطاً بحثياً غرضه إشراك الباحثين الراغبين، لا سيما طلاب الجامعات وطالباتها، بإجراء أبحاث ميدانية متعمقة في موضوعات تقترحها المجلة أو يقترحها المتقدمون أنفسهم. وتهدف هذه الخطوة إلى كتابة موضوعات تتجاوز المقال العادي، وتحقق الشمول والإحاطة بزوايا الموضوع المطروح كافة، لتقديمها في النهاية على شكل مواد صحافية جادة تتمتع بعناصر الجذب والتشويق الصحفي.

للمشاركة في هذا النشاط البحثي يرجى مراسلة فريق تحرير القافلة على العنوان الإلكتروني التالي:
qresearch@qafilah.com

وذلك من أجل

- الاطلاع على قائمة الأبحاث المقترحة من المجلة.
- معرفة شروط اعتماد البحث وصلاحيته للنشر.
- الاتفاق على الموضوع، وتبادل الرأي حول محتوياته وآفاقه.
- تحديد عدد الكلمات وملحقات البحث.
- تعيين المهلة الزمنية للبحث والاتفاق على موعد التسليم.

بعد اعتماد البحث للنشر من هيئة تحرير المجلة، ستصرف مكافأة الباحث، حسب سلم المكافآت المعتمد لدى المجلة لكتَّابها.



تسلقنا الجدار من خلال ملف العدد..
ليس هروباً من القراء والقافلة إنما
في رحلة شيقة ومشاكسة. فيها الكثير
من التقصي والاكتشافات الصغيرة..
في الملف دعوة للبحث في الذاكرة عن
الجدران التي مرت بكم.

القافلة



ارامكو السعودية
Saudi Aramco

الناشر
شركة الزيت العربية السعودية
(أرامكو السعودية)، الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
خالد بن عبدالعزيز الفالح

المدير التنفيذي لشؤون أرامكو السعودية
خالد إبراهيم أبوبشيت

مدير عام الشؤون العامة
ناصر عبدالرزاق النفيسي

رئيس التحرير
محمد الدميني

مدير التحرير
محمد أبو المكارم

إعداد وإنتاج



ص ب 65701 الرياض 11566
المملكة العربية السعودية
هاتف: 2128005 1 00966
فاكس: 4401367 1 00966

إحدى شركات



المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق
Saudi Research & Marketing Group

طباعة
مطابع التريكي

ردمد ISSN 1319-0547

محطات العدد

مايو - يونيو 2011
رجب - شعبان 1432

قضايا 12-23

طاقة واقتصاد 24-33

بيئة وعلوم 34-48

الحياة اليومية 55-65

الثقافة والأدب 66-86

الملف 87-102

الفاصل المصوَّر 49-54

توزع مجاناً للمشتركين
- **العنوان:** أرامكو السعودية
ص . ب 1389، الظهران 31311 المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: alqafilah@aramco.com.sa
الموقع الإلكتروني: www.qafilah.com

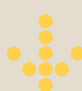
- **الهواتف:** فريق التحرير 00966 1 212 8005 Ext. 1754
00966 2 651 1333 Ext. 3612
00966 3 835 2065 • 00966 3 833 5749
البريد الإلكتروني: alqafilah@sspc.com.sa
الاشتراكات 00966 3 874 6948
فاكس 00966 3 873 3336

رسالة المحرر

1 قضايا

قضية التعليم تشغل العامة والتربويين. فأبناؤنا بين ما تكفله لهم أدواتهم الذاتية «التعلم» وبين ما يقدمه المعلم «التعليم». وبين هاتين المفردتين تثار قضية هذا العدد التي تناولها فريق القافلة وطرح التساؤلات عنها، والتقى المختصين في عدد من الدول العربية لمعرفة أين تكمن مشكلة الضعف؟ وكيف نواجه هذه المشكلة؟ وما آلية التطوير؟

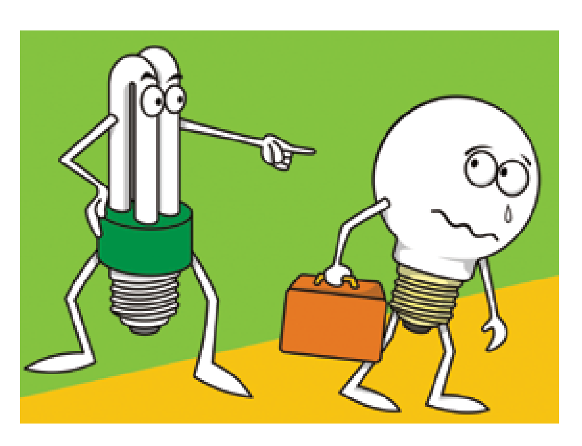




قول في مقال

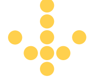
أما باب قول في مقال فيتطرق إلى الموقع الأشهر في «الإنترنت» وهو «فيسبوك» الذي بلغ عدد رواده أو سكانه- إن صح التعبير- الملايين.

إنه موقع التواصل الأول عالمياً كونه عنواناً حقيقياً للحرية والشفافية؟



2 طاقة واقتصاد

في الطاقة والاقتصاد نضيء الضوء الأخضر لنسترشد الطريق إلى الاستهلاك الأمثل من خلال موضوع ضوء أخضر الذي نتحدث فيه عن تقنيات الإضاءة الحديثة لتوفير الطاقة. كما نفرد مساحة لعرض مشكلة تنخر في أجزاء الجسد الاقتصادي إلا وهي الفساد.





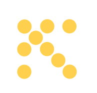
3 علوم وبيئة

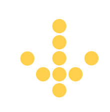
هل سنحتاج إلى كوكب آخر في وجه المخاطر التي تهدد كوكبنا؟! في البيئة والعلوم نتطرق إلى الملوثات العديدة. كما نحلق نحو حلم المدن الرملية من خلال موضوع شيق وهو مدن الرمل التي تبنيها البكتيريا.

الفاصل المصوّر



في الفاصل المصور استراحة نسافر معها إلى جزيرة فرسان، وذلك من خلال صور رائعة بعدسة المصور حسن جبران معشي. في صورة ما نلتقط الأنفاس على شاطئ البحر، ثم نواصل المضي بعد هذا الفاصل نحو أبواب القافلة الأخرى.





4 الحياة اليومية

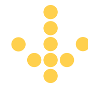
في حياتنا اليوم نستعرض أكثر كائنات المكان التصاقاً بنا ألا وهي الشاشة. نستعرض كيف تحاصرنا ومدى هذا الحصار الذي لا نرجو منه فكاكاً. كما نعرج في موضوع مستقل على الألواح الإلكترونية التي غزتنا ولا سيما الآي باد.



5 الثقافة والأدب

في الثقافة والأدب حيث النقد سليل الإبداع يطالعنا حوار مع الناقد السعودي سعد البازعي. وإشكالات التواصل والتأويل بين الصورة الشعرية والصورة الفوتوغرافية. كما لرواية بروكلين هايتس قراءة في العلاقة بين الأنا والآخر.







6 ملف العدد

وأخيراً تسلقنا الجدار من خلال ملف العدد..ليس هروباً من القراء والقافلة إنما في رحلة شيقة ومشاكسة. فيها الكثير من التقصي والاكتشافات الصغيرة.. في الملف دعوة للبحث في الذاكرة عن الجدران التي مرت بكم. وفيه لمحات عن جدران حقيقية وأخرى وهمية.

الرحلة معاً

الزمن الجميل.. ما له وما عليه

في خاتمة يوم عمل شاق وطويل، ركبت سيارتي، ربطت حزامي، وأشعلت مكيف السيارة لتتدفق على وجهي نسمات المكيف البارد.

من الراديو كانت تنبعث أغان، أغان قديمة، بعضها يحملني إلى أيام الصبا، حيث كانت الأحلامُ والرغبات تتفتح فتغرس في داخلي أولى شتلات الحب أو همسات الغرام. وبعضها ينبش في ذاكرتي وجوه الطفولة النائية. انتهت تلك المقاطع ليصلني صوت المعلق المبتهج، والمتكبّر بعض الشيء، مؤكداً بحماس أن ما أسمعه هو بعض أغاني الزمن الجميل، لكنه أسهب قليلاً في تعداد مثالب تلك الأغاني وكيف أسهمت في صناعة ذائقتنا، وكم كانت عميقة وأصيلة..!

الزمن الجميل الذي يقصده المعلق، هو الزمن الماضي، ليس البعيد تماماً، ولكنه زمن أم كلثوم وعبدالوهاب و... أو السبعة الكبار، الذين خصّهم صديقنا د. فيكتور سحاب، بكتاب شرح فيه خصائص زمنهم وأصواتهم وما أضافوه إلى وعينا الموسيقي وذاكرتنا.
لطالما توقفت أمام هذه الفكرة الأزلية في عقل كل عربي، الماضي أولاً ثم الحاضر، وربما المستقبل لاحقاً. الإبداع والأصالة يكمنان في ذلك الزمن الماضي. هناك فقط صنعنا إرثاً عظيماً يستحق البقاء والاحترام، أما اليوم، فإنجازنا قليل، لا يجدر بأحد الاعتراف به، وما يسطره الجيل راهناً من أدب وفنون وأبحاث وكتابات في المجتمع والتاريخ والفكر والنقد لا يعتد بها كثيراً، بل إن هذا الجيل يخطئ حين يتجاسر ليحلل أو ينتقد ما وصلنا من معطيات ذلك الزمن الجميل!

التعلق بالماضي واحترامه ليسا وقفاً علينا كشعوب عربية، فالشعوب الأخرى تمجد، أيضاً، ماضيها ورموزها، بل وتستقي العبر والدروس من إنجازاتهم ومن المعضلات التي وقفت في طريقهم، بل وإعادة قراءة تاريخهم في ضوء المناهج وأدوات البحث المعاصرة. الماضي بالنسبة إليهم لا يتلبس ثوب القداسة، لذا فإنه جدير بالملاحظة والنقد، وحتى تلك النظريات التي اخترعت يمكن نقضها وإحلال نظريات جديدة محلها دون أن يطعن أحد في جهود أقطاب تلك النظريات.

ونحن إذا ما واصلنا ولعنا بذلك الزمن الماضي الجميل، دون أن نقدِّر الحياة المعاصرة وغناها، فإننا نتَّهم ضمنياً الجيل الجديد الذي يعيش بيننا بأن سعيه وإنجازاته في الحقول الحياتية المختلفة هي مثار شك، وأنها لا ترقى إلى ما صنعته الأجيال السابقة.

إن إحدى المشكلات التي تسكن العلاقة بين جيلين تكمن في عدم الاعتراف بحق الآخر في أن يكون كامل الكينونة والإرادة.



ورغم أن جيل الآباء اليوم، في أغلبه، جيل متعلم وأكاديمي، إلا أن عقلية الأب المستبد، الذي يحمل كل السلطات فوق كتفيه ويشكِّل من خلالها وعي أبنائه وبناته وعقولهم هي السائدة، وهي عقلية تعصب فردي يشرحها ناصيف نصار في كتابه: «أضواء على التعصب» بأنها تعني احتكار الرأي، بحيث لا تلعب المناقشة سوى وظيفة الإثبات أو التعزيز، كما تعني الاختزال والتبسيط من خلال مجموعة من الأفكار تدعي طابع اليقين، إضافة إلى أنها تُغلِّب البعد العاطفي على البعد العقلاني من خلال غلبة الاعتناق على الاقتناع، وأخيراً فرض الرأي بالإرغام والقهر. مثل هذه النزعات، أو صراع الإرادات داخل الأسر، قادت شريحة من شبابنا إلى مسالك سلبية عادت على مجتمعنا بأشد الخسائر.

أول تلك المسالك هو مسلك الجماعات الإرهابية، فمن خلال هذا المسلك العنفي كان الشاب المتمرد على مجتمعه الصغير يبحث عن فضاء حر يستوعب طاقته الكامنة. وقد كان لافتاً في الحوارات التي كانت تجري مع أهالي بعض تلك العناصر أن قطيعة عائلية واجتماعية قد حدثت مع أولئك الأبناء قبل أن يتوجهوا للالتحاق بإحدى تلك الجماعات.

أما ثانيها فهو الدخول إلى أرض الأمراض النفسية بما تحمله من وساوس وكآبة وانفصام أو اضطرابات تحجب قدرات الشباب شيئاً فشيئاً فتعطّلها عن أن تكون عناصر بناءة وفاعلة في تشييد مجتمعها.

وثالثها هو مسلك التغييب عبر المخدرات وعقاقير الهلوسة استخداماً أو تهريباً، وهو مسلك تدمير اجتماعي للذات والمجتمع معاً.

وإجمالاً، فلن تخلو المجتمعات البشرية من علاقات الصراع والتعاون، فهما كما يعبِّر د.علي الوردي في كتابة «مهزلة العقل البشري» دعامتا الاجتماع البشري، وقد اتضح لدى علماء النفس أن الحب والبغض متلازمان في النفس كتلازم التعاون والتنازع في المجتمع، بل إن حافز التنازع قد ينشأ داخل العائلة الواحدة، التي طالما عدّت نموذجاً للتآخي بين الأفراد فيهدِّد جدرانها الراسخة. وقد سبقنا ابن خلدون إلى القول: إن التنازع عنصر أساس من عناصر الطبيعة البشرية، فكل إنسان يحب الرئاسة، وهو لا يتردد عن التنافس في سبيلها إذا وجد في نفسه القدرة على ذلك.

إذًا فإننا بحاجة إلى اعتراف حقيقي وعملي بما يفكر فيه ويصنعه هذا الجيل. علينا بالطبع واجب توجيهه، ولكن بعد الاعتراف بخياراته، وأن نشجعه على العيش في زمنه الحاضر لا في زمننا الذي تجاوزه العالم، وأن نسانده حين تكون له آراؤه النقدية والمضادة تجاه ما عشناه وأنجزناه. هذا العقل الحر والمفتوح على ما يصطخب في الحياة المعاصرة من حولنا هو ما يجب أن نعززه لديهم. علينا أن نبيِّن لهم أن الفضاء المعرفي الذي يسبحون فيه هو ثمرة عظيمة للتطور الإنساني، وأنه يحمل من الفوائد ما لم يحلم به أي جيل سبقه. لقد كانت تفصلنا السنوات والشهور لاستثمار أي تطور علمي وتقني وطبي ومعرفي يحققه العالم، في حين لا يفصلنا عنه اليوم سوى زر صغير.

إن احترام اللحظة الحاضرة، والإشادة بقدرات جيلنا المعاصر لا يتصادمان مع احتفائنا بفنون الزمن الجميل، بأشعاره، وحكاياته، وأغانيه، بمدارسه ورموزه وتياراته الفكرية والأدبية، بصراعاته وتضحياته.

نحبّ ذلك الزمن الذاهب، لكننا، أيضاً، نعشق ما يسطره الجيل الجديد على لوح حياتنا الحاضرة.

رئيس التحرير



قافلة القرّاء

نافذة جديدة في بريد القافلة لكتابات تناقش موضوعات طُرحت في أعداد المجلة أو أفكار جديدة فتكون أكثر من رسالة وأقل من مقال.

قرَّاء القافلة مدعوون إلى الإسهام في هذا النقاش على أن تكون كلمات المشاركة بين 300 و600 كلمة، مع احتفاظ فريق التحرير بحق الاختصار إذا دعت الحاجة إلى ذلك.



سيكولوجية أسرار النجاح

ما هو النجاح؟ كيف تنجح في حياتك؟ كيف فهم كبار الأدباء والمفكرين معنى كلمة «النجاح»، وكيف ترجموه في حياتهم واقعاً حياتيّاً أوصلهم إلى طريق الخلود الصعب. يقول المفكر الكبير «ماثيو. آ. نولد»: إنَّ التواصل هو واحد من أربعة أشياء في حياتنا وهو المحور المهم جداً، وهذا ما يؤكده نابليون بقوله: خذ وقتاً للتفكير برويّة ولكن عندما يحين الوقت للفعل توقف عن التفكير وتابع السير قدماً... والرغبة في السير قدماً ينبغي أن لا تتوقف عند الرغبة فقط.. فالشاعر البريطاني الشهير وليام بليك يقول: «الذي لا يملك إلاّ الرغبة فقط، ولا يملك القدرة على الحراك يتفشّى في جسده الوباء». وكان الرئيس الأميركي ثيودور روزفلت قد قرأ وتمعن جيّداً ما قاله بليك فذكر في مذكراته، تحرّك، قم بفعل أي شيء.. ولكن كن سليم العقل لا تبدد وقتك، خذ مكانك أينما كنت وكن شخصاً آخر، تحرّك! ولعلَّ الكاتب المسرحي شكسبير كان أفصح الجميع في مفهومه لسرِّ النجاح بالفعل إذ قال: «الفعل بيان»، أمّا المفكر البريطاني تشارلز كاليب كولتون فيقول في النجاح والفعل مُلَخِّصاً بذلك تفكيره في الحياة الذي أوْصَلَه إلى النجاح والخلود: «أفعالنا هي الأشياء الوحيدة التي تستطيع أن تقول عنها إنها من ممتلكاتنا...وقد تكون أفكارنا سيئة لكنّها لا تَسُمّ. وقد تكون صالحة لكنها لا تؤتي ثمارها.. وقد نستمدّ غنانا من سوء الحظّ.. وقد نستمدّ سمعتنا من الحقد.. وقد نستمدّ إلهامنا من الكوارث. وقد نستمدّ صحّتنا من المرضى.. من الموت، لكنَّ أفعالنا تلحق بنا إلى القبر وفيما يتعلّق الأمر بأفعالنا فلا نستطيع القول إننا لن نحمل شيئاً معنا عندما نموت.. وإلاَّ سنخرج عراة من هذا العالم».

وقد تكون المحن هي العامل المهم في جعل المرء يحقق وجوده فوق هذه الأرض، فمنها يتعلّم ويفكّر ويتجنّب أخطاءه الكثيرة في الأيام والسنين القادمة.. فالأديب ألبرت هوباد يقول: «لن ينظر الله إليك بسبب ميدالياتك ونياشينك أو شهاداتك الجامعية.. بل ينظر إليك بسبب الندوب التي تملأ جسدك». ويقول المسرحي الإغريقي سونوكليس: «دون المصاعب لن تجد النجاح». ويرى الكاتب المسرحي الفرنسي موليير: «أنَّ المصاعب كلّما عظمت كان المنجد كبيراً في التغلّب عليها». ولعلّ الفيلسوف هوارس قد كان قويّ الشكيمة حين قال: «أحاول أن أُطوّع الظروف لنفسي، لا أن أطوّع نفسي للظروف، هل لمظهر المرء وشكله وأناقته وكياسته علاقة بنجاحه؟».

ما سنقرؤه من أجوبة المشاهير التالية تؤكد الإجابة عن هذا التساؤل، فللمظهر والكياسة والأناقة دورها في النجاح. فها هو الروائي الشهير تشارلز ويكنز يقول: «حافظ على مظهرك مهما كان العمل الذي تقوم به». وآرنولد بنييت الروائي البريطاني يقول: «تصرّف دائماً وكأنَّ شيئاً لم يحدث مهما كان الأمر الذي حدث». وأما المفكّر الفرنسي «جان جاك روسو» فيقول: إنَّ مظهرك الأوّل هو المقياس الذي توزن به. أمَّا الكاتبة الفرنسية جانيت لين فلا تعطي اهتماماً لما يريد المرء بل لردود أفعاله تجاه الآخرين عندما تقول: «إنَّ أهم الأشياء هو «التعبير»، وليس كل تلك الملابس التي ترتديها». ويقول روبرت هالف ساخراً: «عندما تكون شخصاً مهماً فعلاً فستظهر مهماً جداً عندما لا تقوم بما هو مهم». وأخيراً تأتي إلى فعل القراءة وعلاقتها بالنجاح، فالمفكرون والمشاهير والنجوم والأدباء يربطون القراءة بالنجاح وهي من أسباب الشخصية القوية. يقول مارك توني الكاتب الساخر: «الرجل الذي لا يقرأ كتباً جيّدة لا يتميّز عن الرجل الذي لا يستطيع قراءتها».

ويقول وينستون تشرشل: «إذا كنت لا تستطيع قراءة كل كتبك فعلى الأقل احملها واربت عليها أينما كانت ودعها مفتوحة أينما كانت، قم برحلة تستكشف فيها أصوات البحار».

هناء المداد- سوريا



بُنيَّتي الحبيبة

المصارحة والمكاشفة، داخل الأسرة، تعززان الثقة بالنفس، وتعدلان سلوك الأبناء وحتى الآباء. ومن هذا المنطلق رأينا نشر هذه الرسالة عن تعامل الأب مع ابنته، لما فيها من مضامين رائعة ومعانٍ قيِّمة وكثيرة تؤكد أهمية التواصل بين الآباء والأبناء:

بُنيَّتي الحبيبة، كم كنت فرحاً بلقائك من جديد، تحاورين إخوانك بوعي وهدوء، تنصتين إلى آرائهم، وتشعرين بهمومهم، وتعطفين على أخطاء الصغار منهم، وتحترمين الكبار، كما تسرني تلبيتك طلبات والدتك بنفس رضية، وأسلوب رقيق، ووجه مشرق بشوش، وقد غدا هذا فيك طبعاً أصيلاً، لقد زادك الله ألقاً وتهذيباً بتلك القيم الدينية والأخلاقية التي أكرمك بالتمسك بها!

إن قيمة الإنسان هو ما يقدِّمه من جهد وخيرٍ لأهله ومجتمعه وللإنسانية جمعاء، مخلصاً لله في جميع أقواله وأعماله، صابراً محتسباً جهده ودعوته الخيرة عند خالق هذا الكون عز وجل، وإلا كان في خسارة في دنياه وآخرته، ولذلك خاطبه الله تعالى من فوق سبع سماوات بقسم عظيم فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

فما أعظم الدعوة إلى الحق والصبر والتواصي بهما لنحقق ما نصبو إليه! وما أجمل المسارعة إلى الخيرات، وأن نكون قدوة في ذلك لإخواننا وأهلنا وأصدقائنا! فتلك هي حياة القلوب وهمم النفوس الراقية، لتأتي البشرى الربانية تعانق هذه النفوس الكبيرة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. كما تأتي سامية واسعة لجنة عرضها السموات والأرض: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

أما حرصك على القراءة – بُنيَّتي الحبيبة – فقد أسعدني كثيراً، فنحن «أمة اقرأ» التي لا تقرأ للأسف إلا من رحم الله منها! وفي القراءة وحدها نكسب مخزوناً كبيراً من المعارف والتجارب والخبرات والثقافات، متخطين حواجز المكان والزمان بأقل التكاليف، كما أن القراءة تبني الشخصية.

بُنيَّتي الغالية: إن رسالتك الاعتذارية الحميمة الدافئة قد وصلت إليَّ قبل أيام قليلة، فلمست فيَّ حقًا رهافة الحس، ونسيم الروح، وعنفوان الماضي القريب البعيد، وبراءة الطفولة الغضة مهما كبرت، وإن قضت مشيئة الله أن تكوني الوسطى بين أبنائي، فيكبرك ثلاثة، ويصغرك ثلاثة، فما كنت يوماً تعيشين في الجزء المفقود من قلبي كما أوحت به رسالتك!

لا.. لا يا بُنيَّتي الحبيبة، فما زلت أنت «أنت» تسكنين نبض قلبي وعداً متجدداً، بل لغة الروح التي توصلني بالروح! وما زلت وحدك تستميلين وجداني، وتهاتفين رقة أشعاري، وتصافح أشجانك الخاصة أشجاني، ما زلت – يا رواء القلب – روضتي التي تؤنس وحشتي في ليالي الندم! وإني لأذكرك دائماً، فأذكر مدارج الطفولة!

أذكرك – بُنيَّتي – فأذكر شبابي العابق بزهر الياسمين، أذكرك فأمضي إلى صفاء الحنين، أذكرك دائماً لأطل على ذكريات السنين! أذكرك – بُنيَّتي الحبيبة – لتأخذيني إلى ربى الوطن حيث دفء العائلة وأنسها! إني لأذكرك، فهل تذكرين يوم كنت تتلعثمين في حروفك الأولى؟! أتذكرين إلقاءك قصائدي بصوتك العذب الندي في مدرستك الابتدائية! ترى كيف أصبحت – بُنيَّتي – بعد سنوات قليلة تكتبين هذا الأسى الجميل؟! كيف جئت ترقين إلى شموخ النخلة الباسقة، وتسكبين دمع الأقحوانة الساجدة مع نفحات السحر؟!

أتراك – بُنيَّتي الغالية – تبثين هذا الشذا السماوي لتروي ظمأ روحي الحزينة؟! أتراك اليوم تجددين برحيق حروفك أطرافي اليابسة؟

القارئ والشاعر محمد شلال الحناحنة


sspc



هل كتب السباعي قصة حياته واغتياله؟

عدت أطالع بعض مؤلفات الأديب يوسف السباعي وعلى وجه الخصوص تلك التي تناول فيها الوجود الإنساني بين طرفي الموت والحياة، محاولاً إعداد رؤية أدبية أعرض فيها فكرته عن جدوى الوجود فيها من عدمه، وأبدأ بقراءة ودراسة مجموعته القصصية «يا أمة ضحكت» التي أصدرها عام 1948م، وهو شاب يافع في بداية حياته العملية ضابطاً في الجيش المصري. اكتشفت أن السباعي قدَّم للقراء قصة حياته بتفاصيلها، وحادثة اغتياله، في قصة «بصقة على دنياكم»، التي تبدأ بسؤال ما هي الدنيا؟ والإجابة عنه. ولتوضيح العلاقة بين كل من الأديب «يوسف السباعي» وبطل قصة «بصقة على دنياكم» أجدني مضطراً هنا إلى عرض وتلخيص حياة وموت كل من السباعي وبطل القصة في أربع نقاط:

أ- يوسف السباعي:

- **تخرج في الكلية الحربية وعُيِّن في سلاح الفرسان عام 1937م**
- **أصدر أولى مجموعاته القصصية «أطياف» عام 1947م.**
- **أصبح وزيراً للثقافة والإعلام عام 1972م.**
- **اغتيل في قبرص عام 1978م، لأنه كان مؤيداً لاتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل.**

ب - بطل القصة:

- **أصبح ضابطاً فارساً.**
- **كاتب وصاحب قلم.**
- **أصبح رئيساً للوزراء.**
- **تعرض للاغتيال في نهاية القصة.**

ولا نظن أن القارئ الفطن عندما يقرأ هذا الملخص عن حياة واغتيال كل من الأديب «يوسف السباعي»، وبطل قصة «بصقة على دنياكم»، سيجد صعوبة في اكتشاف ذلك التطابق شبه التام بينهما، في مراحل الحياة المختلفة، والوظائف والأعمال المتنوعة، والموت رمياً بالرصاص!

ملاك شنودة

قافلة القرّاء

إلى..
رئيس التحرير

ترحّب القافلة برسائل قرائها وتعقيبهم على موضوعاتها، وتحتفظ بحق اختصار الرسائل أو إعادة تحريرها إذا تطلب الأمر ذلك.



حول أخلاقيات الباحث العلمي وخصائصه

هناك مقومات أساسية، وشروط جوهرية لأي بحث علمي جاد يُرجى له النجاح وتحقيق الأهداف، بعضها يرتبط بأخلاقيات الباحث وسماته، وبعضها يتعلق بخصائص البحث العلمي ذاته وشروطه، وبعضها يتصل بقواعد الكتابة العلمية واستخدام الرموز اللغوية، سنحاول أن نوجزها فيما يلي:

- الوفاء لكل من قدَّم له يد العون والمساعدة في مجال بحثه.
- أمانة الإجراءات، ويجب أن تُراعى الأمانة العلمية في كل إجراءات البحث العلمي.
- أمانة الاقتباس فيما ينقل الباحث من أفكار وآراء عن الآخرين.
- الحفاظ على الأسرار، وكتمان كل ما يقع تحت يده وبصره، من بيانات.
- يجب أن يكون التواضع سمة أساسية يتسم بها الباحث العلمي بوجه عام، سواء في كتابته أو تعاملاته... إلخ. ويمكن في هذا السياق أن يتجلى ذلك في مظاهر عدة منها:
- عدم التعالي أو الإصرار على الخطأ.
- إمكان التخلي عن الفروض أو التساؤلات التي يثبت عدم صحتها.
- الحرص على الاستزادة والتعلم من كل ذي فكر، أو رأي، أو معرفة، أو خبرة مهما كان موقعه.
- عدم التقاعس في الاستئناس برأي أهل الاختصاص.
- التواضع والتأدب في معاملة الآخرين، والالتزام بآداب الحوار والمناقشة.
- يجب أن يكون الباحث واسع الاطلاع، شغوفاً بالقراءة والمعرفة، مهتمّاً بالعلم والدراسة والبحث.
- على الباحث أن يسعى إلى الالتزام بالواقعية في نظرته إلى الأمور، وأن يكون موضوعيّاً في حكمه على الأشياء، متحرراً من الضغوط والأهواء والميول.

مصطفى عبدالغني

حول الألياف البصرية وعالم الاتصالات

الإخوة في أسرة التحرير، بخصوص ما تمت الإشارة إليه في الصفحة 45 من عدد سبتمبر أكتوبر 2010م من مجلة القافلة من أن الألياف البصرية بدأ استخدامها لإجراء المكالمات الهاتفية عام 1966م فهو غير دقيق، فهذه الألياف لم يتم استخدامها في الاتصالات إلا في نهاية السبعينات الميلادية. وتأكيداً لمعلوماتي أرسلت إليكم نسخة من كتابي «مدخل إلى أنظمة الاتصالات»، وآمل أن يكون وصلكم وأن يتم الإشارة إليه في الإصدارات الجديدة في مجلة القافلة.



والكتاب فيه فصل يتحدث عن تطور الألياف البصرية أقتطع منه الفقرة التالية:

أما تطوير الألياف البصرية للاتصالات فلم يبدأ إلا في منتصف الستينات الميلادية عندما نشر الدكتور س. ك. كاو من شركة «ITT إنجلترا» بحثاً عام 1966م أشار فيه إلى أن ليف الزجاج النقي قادر على توجيه الضوء بفقد قليل جداً. وفي عام 1970م تمكن مصنع كورنغ Coring للزجاج في الولايات المتحدة الأميركية من إنتاج ليف زجاج نقي قادر على الاستخدام في الاتصالات باستخدام وسائل مبتكرة في تنقية الزجاج، حيث يتم تبخير الزجاج وترسيبه في أسطوانة من الكوارتز ومن ثم سحبه كليف زجاجي... وتقبلوا خالص تحياتي.

سليمان القرطاس - الهيئة الملكية بالجبيل

تعقيباً على موضوع الاتصالات المنشور في عدد سبتمبر أكتوبر 2010م.

الكنز اختفى!

خلال الستة الأشهر الماضية لم يصلني كنز القافلة «مجلة القافلة»، وأعتقد أن مكتب البريد التابع للشركة التي أعمل فيها هو السبب. ولأني حريص جداً على مجلتي الغالية أرجو منكم تغيير عنواني البريدي لتصلني على صندوق البريد الشخصي بدلاً من صندوق البريد الخاص بالشركة، مع جزيل الشكر وأطيب التحيات.

علي الدهنين

القافلة: شكراً أخ علي على اهتمامك بالمجلة، وسيستبدل العنوان الجديد بالقديم.

تغير عنواني

الأعزاء أسرة تحرير مجلة القافلة، في البداية أود تقديم الشكر على جهودكم، أنا مقيمة في الولايات المتحدة الأميركية، وفي الفترة الأخيرة، انتقلت إلى سكن آخر، وتغير عنواني.

وحرصاً مني على متابعة «القافلة» أرجو تغيير عنواني القديم بالجديد المرفق ولكم الشكر والتقدير.

عبير ماجد

القافلة: على الرحب والسعة أخت عبير، أحلنا رسالتك إلى قسم الاشتراكات، وقريباً ستصلك المجلة على عنوانك الجديد، وأهلاً بك صديقة عزيزة.

مجلتكم متميزة

وصلني العدد رقم 5 المجلد 59 وأتقدم إليكم بجزيل الشكر لما تقدمونه من جهد متواصل لرفع ثقافة الوطن العربي، وأتساءل إن كان من الممكن الحصول على نسخة باستمرار من مجلتكم على عنواني المرفق، مع تقديري واحترامي لجميع أفراد أسرة تحرير هذه المجلة المتميزة.

وائل إبراهيم

القافلة: مرحباً بك أخ وائل، وتمت إضافتك إلى قائمة المشتركين.

مشترك قديم

أنا من قراء المجلة منذ انطلاقتها تقريباً، وكان اسمها آنذاك «قافلة الزيت»، كنت متعلقاً بها وأتابعها باستمرار، نظراً لما تقدمه من موضوعات متخصصة ومشوِّقة، ولظروف ابتعادي عن الوطن، في الفترة الماضية، لم أتمكن من متابعتها، طيلة فترة غيابي، والآن بعد أن عدت أتمنى الحصول على مجلتكم من جديد على عنواني البريدي.

محمد الغامدي

القافلة: الحمد لله على سلامتك أخ محمد. نعدك بوصول المجلة إليك مرة أخرى.

أتمنى قبولي مشتركاً في مجلتكم

السيد رئيس تحرير مجلة القافلة، بعد السلام والتحية، أتشرف أن أكون من المشتركين في مجلة القافلة، هذه المجلة المتألقة ذات المواضيع العلمية والثقافية الواقعية. وبعد أن قرأت واطلعت بشغف على مواضيعها أتمنى من شخصكم الكريم أن تتفضلوا بقبولي ضمن المشتركين في هذه المجلة، لتكون عوناً لي في دراستي، لأني طالب في كلية العلوم «قسم الرياضيات» في جامعة حلب بسوريا، وإذا تم قبولي أرجو التفضل بإرسالها إلى عنواني.

عبدالسلام التنجي

القافلة: رسالتك أثلجت صدورنا، نرحب بك وستصلك المجلة قريباً.

لغتكم العربية نموذج يحتذى

أتيحت لي فرصة الاطلاع على مجلتكم الموقرة، وقرأت فيها مقالات، وأشعاراً، وموضوعات علمية غنية بالمعلومات الجديدة أكدت أن «القافلة» فياضة بالعلوم، فأنا طالب من «كيرلا – الهند»، وأحب اللغة العربية كثيراً لما لها من موسيقا وجمال وأسعى باستمرار لتعلمها وإتقان التحدث بها، وكون لغة التحرير في مجلتكم تعد نموذجاً يحتذى به في استخدام الكلمات والجمل، أتمنى أن أحظى باشتراك يجعلني قريباً من اللغة والمعرفة، وإذا قبلتم طلبي فسأكون شاكراً جداً.

محمد رافي

القافلة: أهلاً وسهلاً بك أخ محمد. نرحب بكل من يحب اللغة العربية، وسنعمل على أن تصل إليك المجلة في أقرب وقت ممكن.

المكرم رئيس التحرير

على مدى الـ10 سنوات الماضية، تشرفت بمتابعة «القافلة»، وقراءة كل جديد في مختلف مجالات الحياة، لكني في الفترة الأخيرة لم أتمكن من متابعتها، لذا أرجو التكرم بإضافتي إلى قائمة المحظوظين بقراءة المجلة، ولكم الشكر الجزيل.

هيثم الحاج

القافلة: نرحب بك أخ هيثم ونتمنى أن ترسل عنوانك البريدي كاملاً، وسوف تصلك المجلة بانتظام.

الدراسة لم تصل!

سعادة رئيس التحرير، بوركت يا سيد الحرف الأنيق وأنت تسعى في خدمة الثقافة والمحافظة على لغتنا العربية.

أستاذنا الفاضل أرسلت لكم بتاريخ 12 فبراير 2011م، دراسة عن الثقافة العربية بإسبانيا، وأرجو إعلامي عن وضع الدراسة إن كانت ستنشر في مجلتكم الغالية.

سها شريِّف

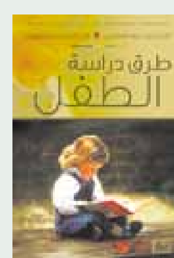
القافلة: أهلاً بك أخت سها، للأسف الدراسة المشار إليها لم تصل إلينا.

قافلة النشر

الشروق


الشباب والقيم في عالم متغير
د.ماجد الزيود

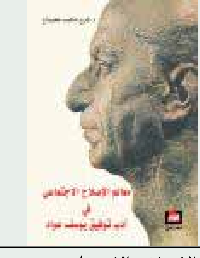

مبادئ تعلم الطباعة
مريم عكروش



طرق دراسة الطفل
د.نايفة قطامي
د.محمد برهوم


الاتحاد الأوروبي والعلاقات اليمنية الأوروبية
عبدالوهاب العصراني


وجهة نظر اقتصادية
د.سميح مسعود

الفارابي


الإصلاح الاجتماعي في أدب عواد
د.فرج كرباج


في مدار النقد الأدبي
د.علي زيتون


الموقف والقرار
جورج سكاف


من العرفان إلى الدولة
عبداللطيف الحرز

الحب لا يفنى ولا يستحدث
وليد الرجيب

رياض الريس


أسطورة التكوين
انطوان شلحت



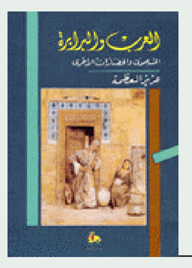
الجنس في القرآن
إبراهيم محمود



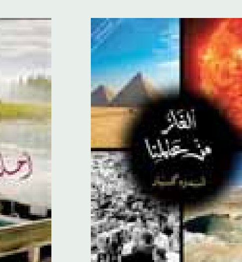
المثقفون العرب والتراث
جورج طرابيشي

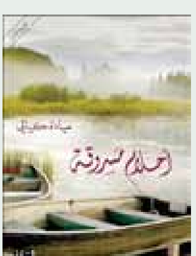
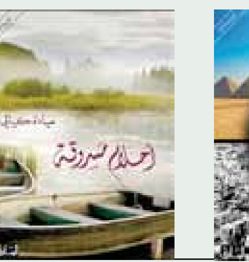


خطاب الجنون
محمد السمان


العرب والبرابرة
عزيز العظمة

دار الساقي


ألغاز من عالمنا
أندره كسبار



أحلام مسروقة
ميادة كيالي


أحلام بزنزانة من كوز
سهى بشارة


أهم الاكتشافات والاختراعات في تاريخ الإنسانية
أسامة الصيادي

دار الفكر







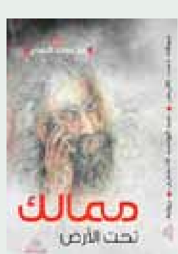
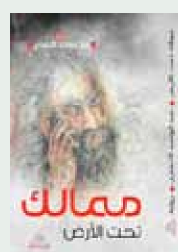
المرأة في الاقتصاد الإسلامي
د.ثناء الحافظ

قائمة التدفقات النقدية
د.هاني أبو عويضة

الاحتباس الحراري
غلين مورفي

الإسلام والإعاقة
د.وهبة الزحيلي

انتشار



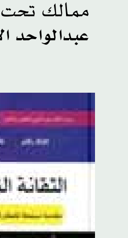
الطقاقة بخيتة
محمد المزيني

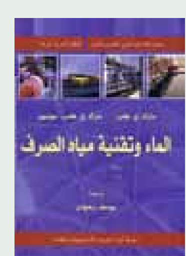
ممالك تحت الأرض
عبدالواحد الأنصاري

شموخ الفلسفة وتهافت الفلاسفة
د.راشد المبارك

فن الكاريكاتير
طلال الشعشاع

مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية







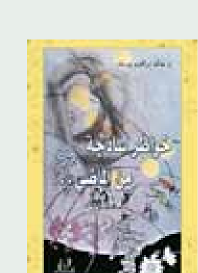
الماء وتقنية مياه الصرف
ترجمة: يوسف رضوان

التقانة النانوية
ترجمة: د.هاشم النجدي

الطاقة التقنية والتوجهات للمستقبل
جون ر. فانشي

مدخل إلى الطاقة
بيتر غروسمان

النهضة







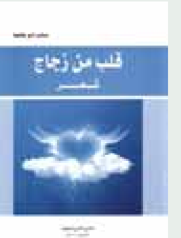
خواطر ساذجة من الماضي
د.خالد يوسف

التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي
د.كلود يونان

المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية
د.حسان حلاق، د.عباس صباغ

سيكولوجية المرأة
د.أحمد عبدالخالق
د.مايسة النيال

النادي الأدبي بالجوف




رغوة تباغت ريش الأوراق
إبراهيم الحسين

قلب من زجاج (شعر)
حامد أبوطلعة

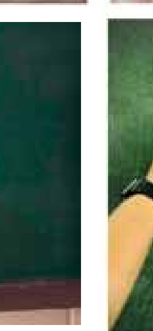
بريد الحواس (شعر)
محمد جميل أحمد

زرفيرا (رواية)
إلهام عقلا البراهيم









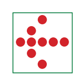



shutterstock.com

أبناؤنا بين التعليم والتعلم



بين العلم والتكنولوجيا يواصل أبناؤنا مسيرتهم الحياتية والعلمية. فتبدو النتائج، غالباً، غير مرضية بالنسبة للزمن الذي تيسرت فيه سبل التعليم ووسائله. يا ترى.. ما هو السبب في تدني النتائج المرجوة؟ وأين تكمن المشكلة؟ هل تكمن في عدم استجابة التعلم وسرعته أم في أسلوب التعليم المتبع؟! بين مفهومي التعليم والتعلم تنبجس الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات مقنعة وهي: هل تَعلَّم الأبناء بما فيه الكفاية لجعلهم أرضاً خصبة لتلقي التعليم في مراحله المختلفة؟! وهل أسلوب التعليم، الآن، يلائم ويوافق سرعة تعلمهم؟! فريق القافلة في عدد من الدول العربية تقصى بين هذين المفهومين «التعليم والتعلم»، وأثار قضية تشغل الجميع.



بحسب تعريف دود ورث للتعلم فهو نشاط يقوم به الفرد ويؤثر في نشاطه المقبل. كما أن التعلم يُعد مجموعة من المكاسب والمعلومات التي يحصل عليه الطالب ذاتياً. أما التعليم فهو عملية منظمة يقوم بها المعلم لنقل المعلومات والمهارات منه إلى الطالب.

كيف لنا أن نبدأ في قضية تشغل الرأي العام والعالم إن لم نبدأ من أول السلم الذي يمثل المرحلة التأسيسية والمشكلات التي تعيق مهارات التعليم خلالها، وتؤثر مستقبلاً في هذه المهارات؟ على هامش إحدى الدورات التي أقامتها وزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية للمحررين ومعدي البرامج باللغتين العربية والإنجليزية، لُوحظ أن المتدربين في هذه الدورات اكتسبوا مهارة جيدة في اللغة الإنجليزية، وعلى النقيض من ذلك ظل أداؤهم باللغة العربية ضعيفاً ومحدوداً، حيث لم يصلوا فيه إلى النتائج المتوقعة. ولا شك أن هذا الضعف لدى الدارسين أو لدى العاملين بهذه اللغة، قد يؤدي، إذا استمر، إلى إعاقة خطيرة للمسيرة الحضارية والإبداعية للأمة العربية.

البدايات تؤسس النهايات

من هنا نطرح تساؤلاً كبيراً يشي بدور التعليم: من أين جاء الخلل؟ هل هو ناجم عن المنهج المتبع في تدريس اللغة العربية، أم هو ناتج عن الضعف التراكمي لدى الدارسين بهذه اللغة، والتي هي لغتهم الأم؟

إن البدايات دوماً تؤسس للنهايات، ونحن في عالمنا العربي، لغتنا هي اللغة العربية، وهي الرباط الديني والقومي والحضاري والثقافي لهذه الأمة المترامية، لأنها لغة القرآن الكريم، ولغة الحضارة والتراث، ولغة التعليم والإعلام على امتداد الوطن العربي. لذا فإن إتقانها، استماعاً وتحدثاً، وقراءة وكتابة، ضروري من أجل التعلم وتحقيق التقدم الحضاري، والإبداع الفكري الذاتي، والتماسك الثقافي والقومي لهذه الأمة. إن تحيزنا لها في مناهج التعليم ليس تعصباً أهوج، ولا انغلاقاً أعمى، وإنما نحن كسائر الأمم نسعى إلى ترسيخ هويتنا وتأكيد أصالتنا، عبر وسيط هو لغتنا الفصحى، ولسنا بدعاً في ذلك. وقد استخلصنا من التجارب أن المشكلة تكمن في التأسيس الأولي للطالب وما شابه من تعثر، وتظل تلك الثغرة في التكوين عالقة تتسع كلما تقدم الطالب في الدراسة.

وهذا ما يقود إلى الحديث عن المشكلات التي تعيق مهارات التعليم في المرحلة التأسيسية بصفتها أهم مرحلة في عمر التلميذ، فهي بداية الطريق، والبوصلة الموجهة إلى المسار الصحيح في اكتساب المعرفة.

ومعلوم أن العملية التربوية تقوم على ثلاثة أقطاب رئيسية هي:

- المعلم الكفء.
- الطالب المستعد.
- المنهج الجيد.

أما الوسائل المساعدة الأخرى كالأقسام والأدوات فتأتي في مرحلة لاحقة. وسنتناول بشيء من التفصيل أقطاب العملية التربوية وما يعيقها في الوطن العربي:

أولاً: المعلم الكفء

إن عماد التربية هو المعلم، فهو موجه الأجيال، واليد الأولى التي تشكل عجينتهم ليتخذوا شكلهم المستقبلي. فمتى كان هذا المعلم قليل الزاد المعرفي، أو لا يستطيع توصيل المعلومة بطريقة صحيحة ومشوقة، أو هو لا يحسن التعامل مع هذه العقول الناشئة، فهذا يهز العملية التربوية من أساسها.

إن التحصيل المتدني للمعلم- معد الأجيال- وعجزه عن إيصال المعلومة الصحيحة بطريقة مشوقة، يشكل عائقاً بارزاً في تكوين الناشئة، وما دام الزاد المعرفي للمعلم ضحلاً، فإن أداءه الوظيفي سيكون نتاجاً لذلك الزاد، وهو ما سينعكس مباشرة على الطالب، خصوصاً أن المراحل الأولى للطفل هي التي تحدد مساره المعرفي والسلوكي وتفتح عقله لتلقي المزيد من المعرفة.

في المؤتمر العشرين لاتحاد الكتاب العرب بدمشق صيف 1998م، قدم أحد المؤتمرين، د.عبد الله الدنان، ورقة عن إمكانية تعليم الأطفال ممن هم دون سن السادسة أكثر من لغة. وبعد العرض المشوق، اصطحبنا الدكتور ليطلعنا على تطبيقه هذه النظرية، والتي كان رائدها الأول في البلاد العربية، وزرنا معه أكثر من روضة للأطفال. واكتشفنا عند المعاينة أن هؤلاء الأطفال يتحدثون إلى جانب اللغة العربية الفصحى، اللغتين الفرنسية، والإنكليزية بأريحية كاملة. وهو ما كان مدهشاً بالنسبة لنا. فهذه النظرية تثبت أن الطفل في مراحل عمره الأولى، بإمكانه أن يتقن أكثر من لغة، ولن يحتاج بعدها إلى دراسة قواعدها، لأن قوالبها وبناها قد رسخت في ذهنه وهو لا يزال غضًّاً فتيًّاً.

إن التأسيس الجيد للطفل في المرحلة الابتدائية سيؤتي أكله على مدى سنوات التحصيل الدراسي، وبالمقابل فإن التأسيس الرديء سيؤدي حتماً إلى نتائج سلبية.

ثانياً: الطالب المستعد

إن الرسالة التربوية هي بالأساس رسالة موجهة إلى الطالب، لذا فإن استعداده الذهني والنفسي لتلقيها شرط أساسي في إيصالها واستمرارها. ونرى أن عدم استعداد الطالب لتلقي المعلومة يرجع إلى أسباب مختلفة منها:

- البيئة الاجتماعية: فالخلافات الأسرية بين الأبوين،





أو تعرض الطفل لأي نوع من أنواع القهر والامتهان، وعدم النشأة في جو يساعد على التعلم، لها أثرها المباشر في تحصيله الدراسي.

- التدليل المفرط للطفل: حيث يخطئ بعض أولياء الأمور في التعبير عن مشاعرهم تجاه أبنائهم، فيطلقون لهم العنان للإدمان على اللعب، أو العكوف على التلفاز أو الإنترنت، أو يتساهلون في متابعة دراستهم وكلها تؤثر سلباً في الطفل.
- عدم تشويق المادة المقدمة، فالمعلومة إذا لم تقدم للتلميذ بطريقة مشوقة وجذابة فلن يتفاعل معها ولن يستوعبها، بل سيعزف عنها، ويحاول التهرب منها بشتى الوسائل. وكثيراً ما اجتذب المعلم النابه التلاميذ إلى مادته وشدهم إليها فأحبوها، وربما تخصصوا فيها مستقبلاً. وبالمقابل نجد التلاميذ ينفرون من مادة أخرى بالغة الأهمية، لعدم قدرة المعلم على جذبهم إليها.

> **أدوات القياس المتبعة في الاختبارات لا تطالب الطالب بالكثير، ولا تستغل إمكاناته ولا قدراته الفكرية، ولا تحفزه لبذل المزيد من الجهد والاهتمام**

- عدم متابعة المؤسسات التربوية للطلاب عن طريق فتح ملف خاص لكل طالب ورصد أدائه الدراسي، والسلوكي، والنفسي. والملاحظ بهذا الصدد أن مدارس البنات أكثر اهتماماً ومتابعة لطالباتهن من مدارس البنين.
- عدم انسجام البيئات ما بين المدرسة، والبيت، والشارع، فما يدرسه التلميذ في المدرسة من أخلاقيات وسلوك ومثل، قد يعيش نقيضه في البيت أو في الشارع (التحذير من التدخين مثلاً).
- صعوبة متابعة الطلاب أثناء الحصة الدراسية، أثناء حل التمارين، نظراً للتكدُّس الملحوظ في الفصول.
- تشكل الإعاقة، جسدية كانت أو عقلية، سبباً وجيهاً في العزوف عن الدرس.

ثالثاً: المنهج الجيد

يشكل المنهج العمود الفقري للعملية التربوية، ولذا كان لا بد من مراعاة معايير معينة في أثناء وضعه ليلبي الحاجات المختلفة للفرد والأمة. وهذه المعايير منها الديني والحضاري، والمعرفي والسلوكي والنفسي، توخياً لبلوغ الأهداف المنشودة التي يفترض أن تكون شاملة وبعيدة المدى. وأن يكون هذا المنهج مرناً، قابلاً للتحديث والتطوير لمواكبة مستجدات العلم والحداثة، لأن الغاية من المنهج التربوي هي إعداد المواطن الصالح والقادر على تلبية احتياجاته الذاتية والاجتماعية، والمسهم في بناء الوطن ورفع صرح الحضارة.

وعديدة هي المناهج التي استوردناها وحاولنا مجاراتها أو تحويرها في مدارسنا، غير أن عثرات عديدة لا تزال تشوب هذه المناهج، ومنها:

- أن المنهج المتبع في المدارس الابتدائية هو منهج تلقيني بالأساس، يقوم على تقديم معلومة جاهزة للطالب، ومطالبته بحفظها بعيداً عن استثمار قدراته العقلية،

وتعويده التفكير والتحليل والاستنباط، وتنمية مهارة الملاحظة والإبداع لديه.

- كتب المقررات المرسومة حسب المنهج تشتمل على معلومات كثيرة، ولكن المشكلة تكمن في انتقاء المعلومة التي تقدم للطالب، والطريقة التي تقدم بها.
- عدم مراعاة التفاوت البين في القدرات العقلية بين الطلاب أثناء وضع الخطة الدراسية.
- مسألة القياس: فأدوات القياس المتبعة في الاختبارات لا تطالب الطالب بالكثير ولا تستغل إمكاناته ولا قدراته الفكرية، ولا تحفزه لبذل المزيد من الجهد والاهتمام، بل إنها مبسطة لأقصى حد. فغالباً ما تحدد للتلميذ دروس بعينها ليتم التركيز عليها دون غيرها، أو تقدم له اختبارات هي عبارة عن إعادة لتمارين سبق أن حلها له المعلم. كما أن طريقة الأسئلة تأتي غالباً مباشرة والجواب عنها ما سطره الأستاذ، فإذا حاد عنه التلميذ قيد أنملة عدَّ مخطئاً. وقد تأتي الأسئلة على شكل خيارات، أو صح وخطأ.

مع أن التقييم يجب أن يخضع لمعايير تعود التلميذ التفكير، ودقة الملاحظة والاستنتاج، وأن يكون هذا التقييم مستمراً وميدانياً.

- انعدام الرسوب في الفصول الابتدائية، وهذه نتيجة حتمية للتساهل في القياس. فقد عاينا، مؤخراً، نتائج أطفال خمسة، من شتى المراحل الابتدائية، وكانت النتائج لدى أطفال كل أسرة من هذه الأسر هي: «ممتاز» في كل مادة. وهو ما يطرح تساؤلاً كبيراً عن مدى جدية التقييم في المراحل الأولية.



المدارس الخاصة خطت خطوات مهمة في طريق خلق مناخات مناسبة للتعلم وليس التعليم فحسب، منطلقة من وجود الدافع الداخلي لدى التلميذ وليس محاولة استزراع المعلومات عبر أساليب تلقينية

إن المشكلات التي تعترض سبيل الدارسين في المرحلة التأسيسية عديدة ومتشعبة. إننا بحاجة ماسة إلى تطوير نظرية تربوية تتجسد في تطبيقاتها العملية، لتستخرج إمكانات الأفراد بجدارة، وتحافظ على أصالتنا وهويتنا، وتنفتح على مستجدات العلم والحداثة، لنتمكن من تلبية طموحاتنا الحضارية، ومواكبة الركب العالمي المتسارع. ولن يتأتى لنا هذا البناء المعرفي، الذي يضمن للأمة استمرارها وتطورها، إلا بالتعاون الوجيه بين الأطراف الفاعلة في العملية التربوية، مؤسسات ومربين وخبراء تربية وأولياء الأمور.

رغم الاعتراف الحكومي بأن التعليم قضية أمن قومي، وأنه بوابة العبور نحو المستقبل .فما زال التطوير ونهضة العملية التعليمية في مصر مجرد عبارات على جدران المدارس الحكومية.. «مدرستي جميلة نظيفة متطورة منتجة».. هكذا على الحوائط فقط، بينما على أرض الواقع فالأمر مختلف وربما خطير.. بعد أن سكنت مؤسسات التعليم السلبيات، وعششت في أركانها العيوب.. وأصبح الضيق والسخط وثيق الصلة بالحديث عن المدارس الحكومية والتعليم.

الأستاذ بكلية التربية بجامعة عين شمس، د.حسام عقل، يرى أن هناك خللاً هيكلياً في منظومة التعليم المصري، ويبدأ هذا الخلل في مراحل التعليم الأساسي وتكون له تداعياته السلبية في المراحل المختلفة، حيث يلاحظ أن الحجم الضخم للمادة الدراسية التي يتلقاها الطالب، وهو ما يعرف بتكدس المناهج، من أبرز أسباب الخلل، فضلاً عن نوعيتها. فغالباً ما تكون المواد الدراسية غير مرتبطة بالبيئة الفعلية للتلميذ، أو غير متلائمة مع المرحلة التعليمية الأساسية، أو بمعنى أدق التأسيسية. ليس هذا فقط، بل إن هذه المناهج تخلق تلميذاً غير قادر على الابتكار أو الاختراع، لأنه مجرد متلقٍّ، ويكون دور التلاميذ تخزين المعلومات وحفظها للاختبار، مع غياب نشاطات تساعد على الابتكار كأن تمنعه من الرسم أو التمثيل أو ممارسة الرياضة.

ويضيف د.حسام عقل: خارج المنهج وسلبياته، هناك الكثير من الأسباب الأخرى التي ترسم ملامح مشكلة التعليم، وتزيدها قبحاً، وتتعلق بضعف الإمكانيات المتاحة، وتواضع مستوى الأبنية للمدارس والمرافق، وتراجع حجم الإنفاق اللازم لتحسين جودة العملية التعليمية، فضلاً عن كارثة التسرب من التعليم، والتي فشلت معها الكثير من السبل منذ زمن طويل، ولم نتمكن من وقفها حتى الآن. وكذلك عدم تبلور خطط خمسية أو عشرية، تضع جداول محددة للنهوض بالتعليم خلال فترة زمنية محددة تشمل جميع عناصره من الكتاب والمرافق والمعلم ووسائل التعليم.. إلى آخره من العناصر.

أما د.محمود الناقة فيلفت إلى غياب المعلم الكفء المدرب، والمسلح بأحدث الأساليب وبالاستراتيجيات التكنولوجية الحديثة، مع إعادة الحوافز التشجيعية للمعلمين المبدعين بما ينعكس بدوره على الطلاب والعملية التعليمية.

ومن جانب آخر تشير أستاذ أصول التربية بكلية البنات جامعة عين شمس، د.زينب حسن حسن، بأصابع الاتهام إلى المعلمين في مراحل التعليم الأساسي على وجه الخصوص، حيث ترى أنهم مسؤولون بنسبة كبيرة عن تراجع مستوى التعليم.

وتقول: المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية.. والمرحلة الابتدائية هي أخطر المراحل التعليمية، حيث يتم خلالها توجيه العقل نحو نمط التفكير وأسلوب التعامل مع العملية التعليمية برمتها. فإذا تم توجيه التلميذ نحو الحفظ في هذه المرحلة فلن يستطيع بعد ذلك إعمال

عقله أو الابتكار.. وهي المشكلة التي تواجه طلاب الكليات العملية فيما بعد مثل كليتي الطب والهندسة وغيرهما، حيث يجد الطالب نفسه أمام أسلوب جديد يجب عليه اتباعه لم يتعوده من قبل.. وهو ما يصيبه بالارتباك الذهني. وفي النهاية نجد أنفسنا أمام خريجي جامعات نمطيين لا يتواكب تعليمهم مع سوق العمل في الداخل أو الخارج. وعلى ذلك لم يكن غريباً أن تخرج الجامعات المصرية من دائرة أهم 500 جامعة على مستوى العالم.

الدرجة الثانية من سلم هذه القضية والتي يصعدها أولياء الأمور مع أبنائهم هي المدرسة لما لها من أهمية. قد تكون لبعض الآباء تجارب وذكريات تعليمية تركت آثاراً سيئة في نفوسهم من معلمين باشروا عملية تعليمهم في مراحلهم الأولى، واتسمت هذه التجارب بالعنف الجسدي أو اللفظي ما أعاق عملية التعلم لديهم ومن ثم التعليم. لذا كانت، بطبيعة الحال، تجارب الأطفال في سنواتهم الأولى ذات تأثير دائم ومهم. ولذا كان من الأهمية أن نشركهم في اتخاذ القرارات التي تخص مستقبل أبنائهم.

موسم الهجرة إلى المدارس

في بداية كل عام دراسي جديد يبدأ موسم الهجرة بين المدارس، إذ يلجأ فريق من الأهالي إلى تغيير وجهة الأبناء الطلبة في المدارس الحكومية إلى الخاصة أو بالعكس نتيجة تجربة غير ناجحة، أو بداية لا تشجع على الاستمرار هنا أو هناك. وقد يكون السبب مادياً قاهراً فيضطر الأهل إلى التحوّل في مدارس أخرى، وأحياناً يكون السبب عملياً أو اجتماعياً أو غيرهما.

> **إن تراجع المنظومة التعليمية في السنوات الأخيرة لن يجدي معه تطوير منهج أو تدريب معلم، فالمسألة ليست دائرة مغلقة على معلم ومتعلم ومنهج وأساليب وتقويم، وإنما يدخل أيضاً في إطارها ولي الأمر والمجتمع والبيئة**

إلا أن الملاحظ في هذه الظاهرة التصاعد المستمر للهجرة من المدارس الحكومية إلى الأهلية بالرغم من التحسّن الكبير الذي طرأ على المدارس الحكومية في الآونة الأخيرة في معظم دول الخليج، من حيث جودة المباني والخدمات والمناهج وغير ذلك. لكن هذه المدارس ما زالت طاردة للطلبة بسبب أداء بعض المدرسين وقلة انضباطهم، وطريقة تعاملهم المتعالية مع الطلبة، فيما أصبحت المدارس الأهلية جاذبة لأولئك الخارجين من صرامة المدارس الحكومية، والطامحين لمستوى أفضل ودرجات أعلى، والباحثين عن مزايا غير متوافرة هناك كاللغات، والنشاطات العملية، والرحلات الدراسية والترفيهية، والدلال الزائد.

المدارس الحكومية.. متطوّرة ولكن!

المدارس الحكومية في معظم بلداننا العربية ما زالت تعاني العثرات والمعوّقات التي تجعلها تخسر المنافسة أمام المدارس الخاصة والعالمية. وقد أجمع العديد من الطلاب وأولياء الأمور على جملة من الملاحظات والشكاوى التي تتعلّق بكفاءة بعض المدرسين في أداء واجبهم، أو الطريقة الخاطئة التي يتبعونها في التربية والتعليم معاً، أو إحداهما. ويرى بعضهم قصوراً في بعض المناهج كاللغة الإنجليزية على سبيل المثال التي لا تنال الحصة الكافية لتعليم الطالب. ويلاحظ، أيضاً، ضعف أو عدم استخدام المعامل والمختبرات العلمية كوسائل إيضاح، والخرائط والمجسمات، والمراجع، والنشاطات اللا صفيّة. ويُجمع أولياء الأمور على أن سبب نفورهم من بعض المدارس الحكومية هو تهالك المرافق وعدم النظافة فيها، وضعف التوجيه والرقابة والإرشاد الإداري، وعدم قدرة المدرّس على متابعة مستوى الطلبة في الفصل بسبب العدد الكبير، فيبقى الطالب الضعيف على ضعفه، ويتدنّى مستوى الطالب المتفوّق لانعدام المنافسة.

ونتيجة لهذه التجارب يميل آباء كثر إلى إدخال أبنائهم المدارس الخاصة التي تحاول الابتعاد عن الأنماط التعليمية الجامدة والجادة، وإدخال مفاهيم محببة لنفس الطفل كمفهوم «التعليم باللعب». وتبدو العملية التعليمية الحديثة التي تحاول المدارس الخاصة اعتمادها، مخالفة تماماً للعملية التعليمية التي جربها الآباء. ففي التجربة القديمة يتم نفي مفاهيم كاللعب والتمثيل والأدوات المستخدمة في الشرح، ويتم التعامل معها على أنها مفاهيم مدمرة للعملية التعليمية، في حين تقوم العملية التعليمية الحديثة في المدارس الخاصة على استغلال هذه الجزئية الأصيلة في شخصية الطفل الفضولية.

«التعليم اللا صفي» هو أكثر أجزاء العملية التعليمية جذباً وتأثيراً للأطفال والآباء على السواء. وقد كان المصطلح السابق لهذه النشاطات هو «النشاطات اللا منهجية»، غير أنّ هذا المصطلح تم تغييره بداعٍ من رفض العشوائية واللا نظام في التعليم. فحتى نشاطات التسلية واللعب والضحك والمسرح وحصص الحاسب الآلي، التي لا تفرضها وزارة التربية والتعليم على المدارس في المراحل الأولى، هي أمور يجب أن تخضع للنظام والمنهجة، وبهذا تكون المدارس الخاصة قد نجحت في ترسيخ مبدأ مهم في العملية التربوية، وهو أن التسلية والمتعة ليست أمراً لا يتناقض مع التنظيم وحسب، بل إن التنظم يجب أن يكون مرافقاً وممازجاً لها.

وتحاول العملية التعليمية في المدارس الخاصة عبر تراكمها الزمني أن تضيف للتلميذ بعداً جديداً لا توفره المدارس الحكومية، وهو تسليح الطالب بما تتطلبه سوق العمل من مهارات ومعارف، ولذلك فهي تدخل في أنشطتها


shutterstock.com

معوقات يعانيها المعلمون في العالم العربي

- النظرة الاجتماعية لمعلم الابتدائي، حيث لا يقدر الكثيرون جهده ولا تضحيته مما ينعكس على أدائه.
- قلة الدورات التدريبية التي تقام لهذه الفئة والتي هي أحوج ما تكون إلى التكوين المستمر، والاطلاع على المستجد من النظريات المعرفية، والمناهج التربوية، ووسائط التعلم والاتصال، في عصر انفجار المعلومات وتلاحقها، نظراً لحساسية الفئة العمرية التي يتعاملون معها.
- عدم الاكتراث والتعاون من طرف أولياء الأمور، والذين يظن أغلبهم أن مهمته تنتهي حين يوصل ابنه إلى المدرسة.
- قلة الرواتب في بعض البلدان، مما يضطر المعلم إلى البحث عن العمل في مدارس حرة، أو في مجالات أخرى تضمن له عيشة كريمة.

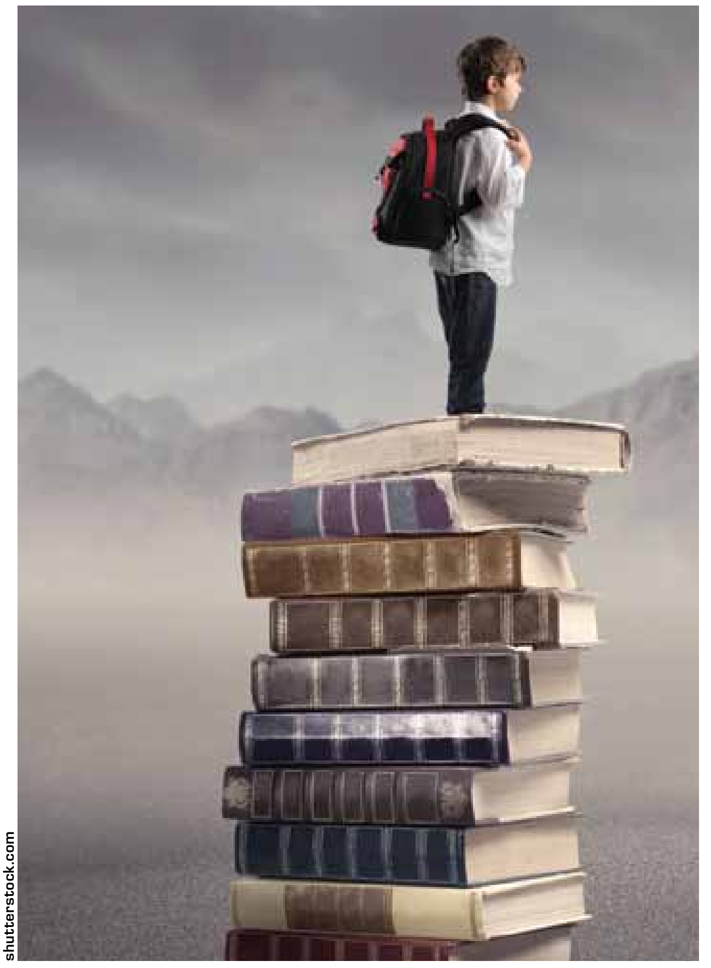
اللا منهجية تعليم الحاسب الآلي وتطبيقاته الحديثة، كما يتم التركيز على اللغة الإنجليزية بصفتها لغة التواصل العالمية الأولى في البيئات العلمية والعملية.

المدارس الثانوية.. خطوة نحو بناء المستقبل

تسعى شريحة واسعة من أولياء الأمور إلى تسجيل أبنائهم في المدارس الخاصة بمبادرة شخصية منهم تقوم على رؤية وحسابات معينة، أو تتم عملية النقل من المدرسة الحكومية إلى الخاصة تحت إلحاح الأبناء الطلبة طمعاً في علامات أكثر وعناية أكبر، فقد تساعد تلك الدرجات في تحقيق حلمه ورسم مستقبله من خلال اختيار الفرع الجامعي الذي يلبّي طموحه في مسيرة الحياة.

ويستسلم كثير من الطلبة لظروف الأهل أو رغبتهم في الاستمرار في مدارسهم الحكومية بعد الارتفاع المطرد في أقساط المدارس الخاصة التي أصبحت عبئاً ثقيلاً حتى على ذوي الدخل المرتفع. ويذهب الطالب إلى مدرسته الحكومية مثقلاً بحقيبة مليئة بالمقرّرات، ودعاء الأهل ووصاياهم، وطموحه في مستقبل مشرق.

والهجرة المعاكسة من المدارس الحكومية إلى الخاصة


shutterstock.com



ترتفع وتيرتها في المرحلة الثانوية، لأنها، برأي الأهل والطلبة، الخطوة الأخيرة نحو بناء المستقبل. والطريق إلى المدارس الأهلية ليست سالكة بسهولة، وثمرتها ليست ناضجة دائماً، فهي كما يرى اختصاصيون تربويون تسلب الطالب الجدّية والنظام والاعتماد على النفس. كما أن عدداً ليس بالقليل من طلاب المدارس الخاصة وإن حصلوا على درجات عالية فإنهم يخفقون في اختبار القياس والقبول، فيجري التسجيل بما لا يشتهي الطالب، ثم إن معظم المدارس الأهلية لم تعد تستقطب كفاءات عالية في التدريس والخبرة والإدارة والإشراف بسبب ضعف الراتب وقلّة الحوافز المقدّمة لهم.

أدوات القياس المتبعة في الاختبارات لا تطالب الطالب بالكثير، ولا تستغل إمكاناته ولا قدراته الفكرية، ولا تحفزه لبذل المزيد من الجهد والاهتمام

المدارس الحكومية.. دروس خصوصية

ومن تكدس المناهج إلى تكدس الفصول في مصر يقول د.حسام عقل: نجد عدد التلاميذ في الفصل في المدرسة الحكومية ضخماً جداً فيصعب معه أن يهتم المدرس بكل تلاميذ فصله، ما يشعر الطالب بأن المدرس مشغول عنه، ولا يهتم بمشكلاته، وأنه يعمل كجهاز تسجيل فقط، وكملقن غير مستقبل. وهذه العلاقة الفاترة والجافة بين المدرس والتلميذ هي التي تدفع التلميذ للفشل الدراسي.. وربما تختفي هذه المشكلة في المدارس الخاصة أو الأجنبية، وإن وجدت فبنسبة مقبولة، وهو ما يدفع الأسرة لإلحاق ابنها بمدرسة أهلية.

ويرى د.محمود الناقة أن المدارس الخاصة أو الأجنبية تحظى بقبول ولها مكانتها في المجتمع، لأنها تختار معلميها بعناية شديدة، حيث تخضعهم لاختبارات، وتثقل خبراتهم وموهبتهم ببرامج تدريبية حديثة وإمكانات تتحقق بها ومن خلالها جودة التعليم، فضلاً عن توفير الأجر المناسب للمدرس الذي يجعله متفرغًا للعملية التعليمية.. بينما يلجأ المدرس في المدارس الحكومية، في بعض الأحيان، إلى أشغال أخرى، أو يجبر تلاميذه على الدروس الخصوصية ليواجه أعباء الحياة، مما يؤثر سلباً على أدائه في الفصل.

التطوير حلم آن له أن يتحقق

وماذا بعد؟! متى يتحقق التطوير؟ ومتى يحصل الطلاب على الفائدة المرجوة بين التعلم والتعليم؟ ومتى يتحقق حلم أولياء الأمور إن لم تكن هناك انتفاضة حقيقية تبدأ من رأس الهرم التعليمي؟!

عن تطوير المنظومة التعليمية في مصر تقول مدرس المناهج وطرق التدريس بكلية التربية بجامعة حلوان، د. هدى محمد، إن تراجع المنظومة التعليمية في السنوات الأخيرة لن يجدي معه تطوير منهج أو تدريب معلم، فالمسألة ليست دائرة مغلقة على معلم ومتعلم ومنهج وأساليب وتقويم، وإنما يدخل أيضاً في إطارها ولي الأمر والمجتمع والبيئة وعناصر أخرى غيرها، عادة ما تكون مسؤولة عن العقبات التي تعترض طريق العملية التعليمية.

وتقول: بالرغم من أن وزارة التربية والتعليم كانت قد بدأت خطوات جادة في تطوير مناهج المرحلة الابتدائية، من خلال اعتمادها على نظام المسابقة، والذي يُعد خطوة عظيمة، إلا أن تمسك المعلم بالنمطية لم يقف وحده أمامها، وإنما تكاتف معه فكر ولي الأمر المحدود الذي لا

يريد إلا شهادة لابنه دون تعب، لذا ليس من العدالة إلقاء أزمة التعليم على عاتق أحد أطراف العملية التعليمية دون الأطراف الأخرى.

على الجانب الآخر يؤكد أحد مسئولي الجودة بوزارة التربية والتعليم في جمهورية مصر العربية أن الوزارة لديها خطط واضحة وجيدة لتفعيل العملية التعليمية. فمن خلال قطاع الجودة بالوزارة تقدم الدولة الدعم الفني لـ44 ألف و800 مدرسة على مستوى الجمهورية تشمل رياض الأطفال، والمدارس الابتدائية والإعدادية «المتوسطة» والثانوية، بهدف تحسين العملية التعليمية والعمل على تفعيلها.

ويقول: هناك بالطبع بعض المشكلات لكن الصورة ليست قاتمة كما يراها بعضنا. فهناك تحسن في العملية التعليمية يظهر بوضوح من عام لآخر، لكن ما زال أمامنا الكثير.. نحن بدأنا منذ سنوات لكن تطوير التعليم لن تظهر نتائجه بين يوم وليلة.. علينا أيضاً أن نعرف أن مشكلات التعليم في مصر شأنها شأن كل الدول النامية تكمن في غياب الميزانيات التي تظهر بوضوح في عجز أعداد المعلمين وزيادة أعداد الطلبة بالفصول، ونقص الموارد المادية والبشرية في المدارس.

ويضيف: طبقاً لمعايير الجودة يجب ألا يزيد أعداد الطلاب بالفصل على 42 طالباً، في حين نجد مثلاً في بعض المدارس تصل الأعداد إلى 90 طالباً في الفصل. فهذه الكثافة المرتفعة سببها الأساسي غياب الإمكانيات.. كذلك فإن غياب الملاعب والمعامل المجهزة بأحدث الوسائل وحجرات النشاطات يرجع إلى غياب الإمكانيات.. ويضرب مثلاً بقوله: المدرس الذي يوجه له اللوم في المدارس الحكومية عندما ينتقل لمدرسة خاصة يصبح أداؤه مختلفاً ومتميزاً بدرجة كبيرة، وذلك فقط لتوفر الوسائل التعليمية المختلفة وهذا يعني أن مشكلتنا بالأساس مشكلة إمكانيات.. نحن لا ندخر جهداً لتطوير التعليم لكن قصور الميزانيات خارج عن إرادتنا جميعاً.

مبادرات تطويرية في التعليم

إن تهيئة جيل قادر على المنافسة عالمياً في مجالات الرياضيات، والعلوم والهندسة، وتطوير موارد بشرية لتشغل هذه التخصصات لا يتم إلا في مناخ تعليمي يعتمد على الأساليب الحديثة والمتطورة، ويواكب الجديد من التقنيات في عالم التعليم والتعلم. لقد قدمت أرامكو السعودية مبادرة رائدة في التعليم، وذلك من خلال برامج تعليمية مشتركة مع جهات ذات باع وخبرة في المجال العلمي والتعليمي.

من منطلق خبرة تجاوزت 33 عاماً في سلك التعليم والكثير من الأبحاث والدراسات في هذا المجال تضمنتها رسالتها للدكتوراه تتحدث د. فايزة أخضر، مستشارة مركز المعلمين البريطانيين CFBT ، ومديرة عام التقويم الشامل في وزارة التربية في السعودية سابقاً، تقول:في اقتصاديات التعليم العلم يركز على ثوابت أهمها:

- تغير النظرة للتعليم حيث عُدَّ استثماراً وليس استهلاكاً.
- تطبيق المصطلحات والمفاهيم التي كانت تطبق على القطاعات الإنتاجية على القطاعات الخدمية ومنها القطاع التعليمي مثل مصطلح الجودة والاهتمام بالمنتج والعميل.

فإذا ما تحدثت، كمثال، عن تعليم الفتاة في المملكة العربية السعودية فإنني أرى أنه قد بدأ قوياً وبقيادة نخبة من خيرة المعلمات من جميع الدول العربية ومن داخل المملكة. ففي الزمن الذي تلقينا فيه تعليمنا كانت هناك صروح تعليمية مؤثرة رغم قلة عددها مثل مدرسة الأمير طلال بن عبدالعزيز، ومبرة الملك سعود، ومدرسة الناصرية، ومدرسة بنات الضباط كان هذا في مدينة الرياض، وواكبه أيضاً في الوقت نفسه مدارس أخرى في جدة وفي غيرها من مدن المملكة الرئيسية. وكانت خبرة الهيئة التعليمية ودقة تطبيق المناهج والأنظمة التعليمية أفضل مما تلاها من مراحل. وتعود أسباب ذلك بشكل عام إلى بعض الممارسات والسياسات التعليمية التي طبقت في تلك المرحلة ومن أهمها:

- الاهتمام بالكَمِّ دون الكَيْف للمنتجات التعليمية.
- ضعف الطالبات اللاتي التحقن بمعاهد المعلمات الثانوية، حيث تجبر الطالبات اللاتي لم يحصلن على تقدير امتياز أو جيد جداً بدخول تلك المعاهد وهن اللاتي يدرسن بعد تخرجهن طالبات المرحلة الابتدائية.
- إحجام الطالبات المتميزات عن دخول كليات التربية في بدايات تأسيسها حيث لم تكن معترفاً بها خارج المملكة.
- تطبيق السعودة بشكل متسرع بتلك المنتجات التعليمية.

ما زالت هناك عقبات عدة تقف عثرة في تطوير التعليم في المملكة إلى المستوى المأمول كان أهمها اتساع رقعة المملكة الجغرافية، مما يجعل تطبيق البرامج التطويرية سابقاً للتدريب الميداني على تلك البرامج. وهذا يضعفها ويضعف النتائج المرجوة منها.. لقد كانت مراقبة التعليم بصفة عامة تركز على التعليم أكثر من التعلم، فهي تركز على طرق التدريس للمعلمين والمعلمات، وطرق استخدام الوسائل التعليمية المختلفة دون أن تركز بشكل دقيق على التعلم وهو مدى استفادة الطلبة والطالبات والحصيلة التعليمية التي حصلوا عليها. كما أنها كانت تركز على النتيجة النهائية للطلبة والدرجات التي حصلوا عليها دون التركيز على مدى التقدم والإنجاز.

ولعل أهم هذه المبادرات تشجيع التعليم ودعمه في مجالات العلوم والهندسة، وكان الهدف من ذلك التوعية بأهمية المعرفة الهندسية، وزيادة معرفة طلاب التعليم العام والمعلمين بأهمية الهندسة كدراسة جامعية مستقبلية، والمهارات التي يكتسبها المهندس وإمكانات الوظائف المستقبلية، من خلال تفعيل موقع إلكتروني «جرب الهندسة» ليكون المصدر الأمثل للمعلومات الهندسية لطلاب مراحل التعليم العام، وليكتشف كل طالب المهندس المبدع بداخله. ولقد كان دور أرامكو في هذا البرنامج توفير المصادر وترجمتها إلى اللغة العربية ومراجعتها، ووضع المحتوى على الموقع. كذلك برنامج الهندسة التطوعي الذي استهدف الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات. وهذا البرنامج يتيح لمتطوعي معهد مهندسي الكهرباء والإلكترونيات عرض تطبيقات مفاهيم الهندسة والعلوم والرياضيات من خلال تبادل التجارب الفعلية مع مدرسي مراحل التعليم العام. ولقد نظمت الشركة جميع النواحي اللوجستية الخاصة بالبرنامج، كما استقدمت 5 مدربين رئيسين متطوعين من الولايات المتحدة، وتدريب 200 متطوع ومتطوعة من الهيئات الأكاديمية والشركات الصناعية الكبرى والمعلمين المميزين.

هل نقول وداعاً للكتب؟

فيما يخص مبادرة برنامج ماثلتكس للرياضيات، كان هدف أرامكو منه رفع مستوى الطلاب في تعلم الرياضيات من



shutterstock.com

الصف الأول الابتدائي حتى الثالث ثانوي من خلال موقع تمتلكه شركة 3p learning غير الربحية. ويتميز الموقع بأنه تفاعلي وترفيهي يساعد على تطوير مهارات الطلاب في الرياضيات والتحليل المنطقي. ويتم استخدام هذا البرنامج في 150 دولة حول العالم. ولقد استغنت ربع المدارس التي تستخدم هذا الموقع عن الكتب واكتفت بمحتوى البرنامج وحده. ويراوح معدل تحسن مستوى الطالب بعد تعامله مع الموقع بين 25 و30%. الجدير بالذكر أن هناك 6 مدارس عالمية في السعودية تستخدم البرنامج، بالإضافة إلى 5 مدارس أهلية في المنطقة الشرقية طبقت البرنامج في مرحلته التجريبية، وتأكد الحصول على معدل التحسن نفسه لدى طلابها.

ردم الفجوة بين الطلاب والعلوم الحديثة

إن العلوم الحديثة ترتبط بجميع مناحي حياتنا اليومية، وعلى الرغم من هذا الارتباط فإن المهتمين بالعلوم يقرون بوجود فجوة كبيرة بين المتعلمين في مجتمعنا والعلوم الحديثة. ومما لا شك فيه أن انتشار الثقافة العلمية في المجتمع مطلب بالغ الأهمية في ظل تطلعات الحكومة السعودية إلى تنمية البلد اقتصادياً وحضارياً. فانتشار الثقافة العلمية سيكفل تغيراً إيجابياً في الأنماط الفكرية لدى الطلاب، إذ يتحول النمط الكلامي والاستهلاكي إلى النمط العلمي الإبداعي القادر على التفكير الناقد والتحقيق والاستنباط والتجربة الموضوعية.

من هنا جاءت فكرة إنشاء النوادي العلمية المتخصصة في مجالات العلوم والرياضيات والهندسة لرفع مستوى الوعي العلمي لدى الطلاب والطالبات في هذه المجالات، وتشجيعهم على خوضها مستقبلاً، وذلك بتبسيط المعارف العلمية بطريقة تطبيقية ماتعة لتكون بمنزلة بيئة آمنة ومحفزة للخيال والإبداع العلمي. ولقد تم تجهيز 30 نادياً علمياً في 15 مدرسة في المنطقة الشرقية، حيث احتوت كل مدرسة على ناديين، واستفادت من هذا المشروع 8



shutterstock.com


shutterstock.com

مدارس للبنين و7 مدارس للبنات ممن رشحتهم وزارة التربية والتعليم. كما قامت بتأهيل معلمين ومشرفين لتفعيل النوادي والإشراف على إدارتها وتطويرها بالتعاون مع أرامكو السعودية وسايتك. إضافة إلى توفير مناهج علمية وتدريبية للمعلمين والمشرفين والطلاب، وتفعيل هذه النوادي وفق خطة مدروسة تحت إشراف أرامكو السعودية وسايتك وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

التعليم المزدوج مع معهد ماساتشوستس

تمتعت مبادرة أرامكو السعودية للارتقاء بالعلوم والرياضيات بالذكاء، حيث تعاونت مع أشهر المعاهد العالمية للتقنية وهو معهد ماساتشوستس الأمريكي. ويقوم مركز سايتك بتنفيذ هذه المبادرة بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم. وكان الهدف من هذه المبادرة إيجاد مكتبة فيديو تفاعلية لتقدم مفاهيم العلوم والرياضيات بطريقة تفاعلية مثيرة ومحفزة لمستويات التفكير العليا لدى الطلاب. ويشترك في تأسيس هذه المكتبة وتنفيذها مجموعة من المعلمين والمعلمات الموهوبين من جميع أنحاء العالم. والفئة المستهدفة من هذه المبادرة هم طلاب المرحلة الثانوية وطالباتها لجميع مناطق المملكة والوطن العربي. وتبدأ مراحلها التنفيذية بتحديد المفاهيم الصعبة لمادتي العلوم بفروعها والرياضيات من خلال توصيات المعلمين. ثم تجهيز حصص نموذجية تتوافق والمفاهيم الصعبة المحددة. بعد أن تُقيّم الحصص تنفذ تصويراً وإخراجاً، ثم تُرفع على الموقع الإلكتروني، ليتسنى لطلاب المملكة والوطن العربي مشاهدتها والاستفادة منها.

> انتشار الثقافة العلمية سيكفل تغيُّراً إيجابيًا في الأنماط الفكرية لدى الطلاب، إذ يتحول النمط الكلامي والاستهلاكي إلى النمط العلمي الإبداعي

تأسيس معهد متخصص للبحوث العلمية في جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية

قامت الشركة في صيف 2011 بتأسيس معهد متخصص للطلاب المتميزين في المرحلة الثانوية أطلق عليه «المعهد السعودي للبحوث العلمية» في ثول بجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية. وكان اختيار الطلاب عن طريق موهبة وبالتعاون مع معهد ماساتشوستس للتقنية والذي يعد هذا المعهد السادس الذي يقوم بالشراكة في تأسيسه للهدف ذاته في أنحاء العالم. ويتميز هذا المعهد بأنه يعد الطلبة المميزين وعددهم في هذه السنة 25 طالباً وطالبة لأن يشاركوا في أبحاث أساتذة في جامعة الملك عبدالله، حيث يقوم الأستاذ بالسماح لطلاب المرحلة الثانوية بأن يساهموا في جزء من أبحاثهم التخصصية، ويوجههم ليصبحوا باحثين مميزين في المستقبل. وعادة ما يلتحق خريجو هذا المعهد بأعرق الجامعات العالمية، وكذلك يمثلون نسبة كبيرة من الفائزين في المسابقات العلمية الدولية مثل المسابقة الدولية للعلوم والهندسة «آيسيف».

تجارب تعليمية

اضطررنا إلى الانتقال من السعودية إلى كندا لتكمل زوجتي تعليمها العالي. فاعتقدنا أن أطفالنا الثلاثة سيكونون هم الضحية الأولى مع اختلاف أساليب التعليم والمناهج. لذا كانت زوجتي تكثف جهودها في تدريسهم حالما يعودون إلى المنزل بعد يوم تعليمي كندي. كانت لا تترك لهم فرصة للعب مع أصدقائهم أو حتى مشاهدة التلفاز، وذلك لتلحقهم بركب ما فاتهم على حد قولها. لكن ما حدث لم يكن في الحسبان، إذ اتصلت المعلمة بزوجتي تلومها على ما تفعله مع الأطفال، وكيف أنها تقوم بالضغط عليهم بتدريسهم طوال الوقت، بينما هذه المهمة «مهمة التعليم» هي مهمة المدرسة، أما البيت فهو مكان للراحة واللعب والمتعة.

تجربة أخرى

استدعي أحد أولياء الأمور في إحدى الولايات الأمريكية من قبل إدارة المدرسة التي تلتحق بها ابنته ذات الاثني عشر عاماً، لم يكن يتصور الأب أن ابنته المجتهدة والمؤدبة متهمة بالغش من الكتاب المدرسي في أحد الاختبارات. دافع الأب عن ابنته بضراوة، لكن المدير أحضر ورقة الامتحان والكتاب وطلب منه أن يقارن. لم يستغرب الأب أن ورقة الامتحان مطابقة تماماً للكتاب، فهذا حال ابنته في الاجتهاد. لكن المدير لم يصدق أن يتحوَّل طلب العلم إلى هذا الحفظ

قول في مقال

فيسبوك.. عنوان الحرية والشفافية

الانتشار الواسع والسريع جداً لشبكة الإنترنت جعلها تتحول إلى شبكة للتواصل الاجتماعي حتى أصبحت مؤثرة وفاعلة في حياة الشعوب بشكل يفوق الوصف. Al Majalla الصادرة باللغة الإنجليزية نشرت تقريراً عن أمن الشبكات، عرضت فيه آليات عمل وتطور أهم وأشهر مواقع التواصل «فيسبوك». ففي الوقت الذي أصبح فيه الاستغناء عن الإنترنت ضرباً من المستحيل، فرض «الفيسبوك» نفسه جزءاً من الحياة اليومية.

أحدثَ موقع «فيسبوك»- أحد أشهر مواقع الويب وأكثرها انتشاراً- ثورة هائلة في عالم التقنية، حوَّلت نمط تفاعل الناس مع الإنترنت من البحث والاطلاع والقراءة، إلى التواصل والترابط وتبادل الأفكار والرؤى. ويحق لمارك زوكربيرغ، مبتكر الموقع، أن يفاخر بعدد المشتركين الذي تخطى حاجز الـ500 مليون، أي 1/12 من سكان العالم. وفي فرضية تخيلية بناءً على الأرقام، فإن سكان الموقع يضعونه في المركز الثالث بين بلدان العالم من حيث الكثافة السكانية، بل إن هذا العدد ينمو بمعدل تقريبي يبلغ 700 ألف شخص في اليوم، ويمضي عليه المشتركون 700 مليار دقيقة في الشهر، ويقيم أكثر من نصفهم خارج الولايات المتحدة الأمريكية، وتُعد فئة الشباب الأكثر كمًّا وتميُّزاً وتفاعلاً، وهذا ما تجسَّد في حركات للتغيير الاجتماعي والسياسي تبناها هؤلاء الشباب في أروقة «الفيسبوك» وساحاته، وانطلقت مؤخراً في بعض الدول.

عَبَر «الفيسبوك» حدودَ القارات، لكن الأهم أنه تسلل إلى طريقة استخدام الإنترنت، وإلى أسلوب تفاعل البشر واتصال أحدهم بالآخر. حيث يتيح لك الحفاظ على علاقات تواصل مع أولئك الأصدقاء المقربين منك، فضلاً عن معارفك الذين لا تربطك بهم أواصر وثيقة، لكن النجاح لا يعتمد على مجرد الأصدقاء، بل يمكن عزوه إلى حقيقة أنه توجد شبكة حقيقية من التفاعلات الاجتماعية. فكل شيء موجود على «الفيسبوك»، بدءاً من المكان الذي تدرس فيه إلى المقالة التي تقرؤها على الإنترنت.

لماذا يُعد من المهم توافر هذا القدر من المعلومات الشخصية على «الفيسبوك»؟ إحدى الإجابات تتمثل في أنه يتيح للناس الذين يصعب عليهم التواصل أن يتصل أحدهم بالآخر بطريقة سريعة وفاعلة.

في يناير من هذه السنة 2011م، ومع اندلاع الثورة في كلٍّ من تونس ومصر، أحاط جدل خلافي كثير بفكرة أن «الفيسبوك» جعل من الممكن لهذه الحركات الاجتماعية الانطلاق والانتشار. ونظراً إلى حجم التنظيم الذي حدث بوساطة هذه الوسيلة، وحقيقة أن النظام السابق في مصر اضطر إلى إغلاق شبكة الإنترنت لإخماد ثورة الشباب، فمن العدل القول إن هذا الموقع التواصلي قام بدور كبير ومؤثر.

بينما يمكن القول إن «الفيسبوك» لم يكن مسؤولاً مسؤولية كاملة عن حركات التغيير العربية، إلا أن مبتكره، مارك زوكربيرغ، امتدح بوصفه الفرد المسؤول عما يبدو واضحاً أنها ثورة اجتماعية على مستوى العالم. ومثلما أكدت مجلة «تايم»، فإن «الفيسبوك» «اندمج بحبكة النسيج الاجتماعي للحياة... وأصبح حقيقة دائمة في واقعنا الاجتماعي العالمي. لقد دخلنا عصر «الفيسبوك»، ومارك زوكربيرغ هو الذي أوصلنا إليه».

حين كان مارك زوكربيرغ الذي نشأ في مقاطعة ويستتشيستر في نيويورك يدرس علوم الكمبيوتر وعلم النفس في جامعة هارفارد قبل سبع سنوات، ابتكر موقع الفيسبوك، وأصبح مؤسسه المشارك ومديره التنفيذي، وانتسب إلى أكاديمية إكستر حيث تفوق في دراسة التراث اليوناني والروماني، وتطبيقات الرياضيات على بث البيانات، والمبارزة.

وفي الحقيقة، لم يكن «الفيسبوك» أول ابتكارات زوكربيرغ الناجحة. فسبق أن ابتكر مع صديق له برنامجاً سماه «سينابس» Synapse «مشروع رئيس»، اعتمد على الذكاء الصناعي لاقتفاء عادات الاستماع لدى المستخدمين. وقد علمت كلٌ من شركة ميكروسوفت Microsoft وايه أو إل AOL بالبرنامج، وعبَّرت عن الاهتمام بشرائه، وضم زوكربيرغ إلى صفوفها. لكنه رفض الالتحاق بأيٍّ منهما. واختار بدلاً من ذلك الانتساب إلى جامعة هارفارد، حيث سينجح في تطوير مزيد من البرامج، تتميز كلها ببعد اجتماعي ثابت، أحد تلك البرامج يسمى «كورس ماتش» CourseMatch، يتيح للمستخدمين اختيار صفوف دراسية ومقررات اعتماداً على خيارات الطلاب الآخرين. ثم طوَّر فيما بعد برنامج «فيسماش» Facemash حيث يستطيع المستخدمون تحديد المظهر الأفضل بين شخصين.

بالرغم من أن البرنامجين لا يرتقيان إلى مستوى إبداع «الفيسبوك»، لكنهما أظهرا العامل الذي عزاه كثيرون إلى نجاح «الفيسبوك»، قدرة زوكربيرغ على معرفة أن ما يريده الناس هو عالم أكثر شفافية، يعرفون فيه ما يفضلونه، ومن ثم تصبح خياراتهم المتعلقة بالمواضيع المعنية أكثر اعتماداً على المعلومات والمعرفة. وغدت ميزة (like) على «الفيسبوك» من أهم الأدوات، نظراً لأنها تتيح للموقع الاتصال بمواقع شهيرة أخرى مثل: «يوتيوب» أو «أمازون».

ليس «الفيسبوك» اليوم سوى وسيلة تعبير، وعلى شاكلة وسائل التعبير كلها، يمكن بسهولة أن تأخذ نبرة سياسية. لكن ما يُميِّز الموقع عن وسائل الإعلام الأخرى حقيقة أن من الأسهل نشر الأفكار المحددة إذا كان 12/1 من سكان العالم على هذه المنصة. وفي سياق التغييرات الاجتماعية، لا يمكن التعويض عن هذه المزايا للمهتمين بإيجاد زخم داعم للتغيير.

وأثناء ثورة الياسمين في تونس، وضع المستخدمون القادرون على دخول مواقع مثل «يوتيوب»، مقاطع فيديو تظهر تجاوزات الحكومة وانتهاكاتها على «الفيسبوك»، وسرعان ما جندوا المؤيدين للمشاركة في المظاهرات في قلب تونس العاصمة. وفي مصر، أظهر كثير من المقيمين خارج مصر تأييدهم للثورة عبر المشاركة في مظاهرات افتراضية مناهضة للنظام السابق.

تدرك الحكومات قوة «الفيسبوك»، وكثير منها منع الموقع من إعادة تحديد أسلوب مواطنيها في التفاعل على الويب. بل قام النظام التونسي السابق بحملة قرصنة لسرقة كلمات سر المستخدمين، بالرغم من مسارعة الشركة إلى حماية مستخدميها.

وتعبِّر هذه الأمثلة عن القدرة الكامنة في «الفيسبوك» على جعل العالم مكاناً أكثر ترابطاً واتصالاً. ومع أن كثيرين منا بدؤوا الآن فقط يدركون ما يمكن «للفيسبوك» أن يفعله، إلا أن زوكربيرغ عرف هذه الإمكانية وترك الجامعة ولما يبلغ التاسعة عشرة لتأسيس الشركة الشهيرة.

بالرغم من أن الموقع ليس معروضاً للبيع، إلا أن نجاحه الاقتصادي لا يضاهى. وقدرت مجلة «فوربس» عام 2010م ثروة زوكربيرغ «26 سنة» بسبعة مليارات دولار، ما يجعله أصغر ملياردير في العالم. لكن مؤسسة غولدمان ساكس قدرت في يناير قيمة الشركة بخمسين مليار دولار، وثروة زوكربيرغ بخمسة عشر ملياراً.

بالرغم من هذه الثروة الطائلة، اشتهر زوكربيرغ بأسلوبه البسيط في الحياة. وكثيراً ما وصف بأنه «أفقر ثري». فهو يقود سيارة من طراز أكورا، ويسكن بيتاً بالأجرة. في السنة الماضية، قدم هبة مقدارها مئة مليون دولار إلى نظام التعليم العام في نيوارك «بولاية نيوجرسي»، مع أنه ليس من الولاية، ثم تعهد بمنح نصف ثروته هبةً لأعمال الخير طوال حياته.

بالرغم من أن طموحات زوكربيرغ المالية قد تكون محدودة، إلا أن مطامحه «للفيسبوك» لا حدود لها. فبدلاً من الإنترنت، حيث المواقع مستقلة عن بعضها وعن المستخدمين، يريد زوكربيرغ في الجوهر وضع الشبكة برمتها ضمن السياق عبر العلاقات الاجتماعية التي تعرِّف مستخدميها. بكلمات أخرى، يريد تحويل شبكة الإنترنت إلى «فيسبوك» :«الانتقال من حكمة الجماهير إلى حكمة الأصدقاء»، كما تشرح مجلة «تايم».

ذكر زوكربيرغ مراراً أن ما يهمه فعلاً هو «جعل العالم أكثر انفتاحاً واتصالاً». ومن المؤكد أن رؤية زوكربيرغ للمستقبل، مع معدل نمو «الفيسبوك» وانتشاره، أو تسلله واختراقه، وعلاقة الناس بالإنترنت وأحدهم بالآخر، سوف تتحقق.



ضوء أخضر

تقنيات الإضاءة الحديثة لتوفير الطاقة.

thinkstock.com

في ظل الطلب المتنامي على الطاقة الكهربائية في المملكة العربية السعودية استثمر في عام 2007م ما يزيد على 190 مليار ريال لزيادة القدرة التوليدية، بحيث تصل نسبتها إلى 60 بالمئة بحلول 2015م. وبالرغم من أن زيادة التوليد الكهربائي تُعد مؤشراً للنمو إلاّ أنها من جهة أخرى تؤثر تأثيراً سلبياً على المناخ. ومن هنا جاءت فكرة «ساعة الأرض» التي تُعد حدثاً عالمياً يتم في السبت الأول من شهر مارس من كل عام، حيث تُطفأ الأضواء والأجهزة الكهربائية لمدة ساعة لرفع الوعي بمخاطر هذا الإسراف الكهربائي. وتشارك في هذه الحملة معالم مهمة في العالم. حيث تغرق في الظلام لمدة ساعة هي ساعة الأرض. أحمد بولس يشعل أمامنا ضوء أخضر على التقنيات الحديثة التي ستوفر طاقة كهربائية هائلة.



thinkstock.com

وفي الوقت الذي يشهد فيه العالم نمواً كبيراً في قطاع التنمية المستدامة، خصوصاً في الأسواق العالمية وأسواق المنطقة باتت العديد من الشركات والمؤسسات تبحث سبل توفير الكهرباء، وترشيد الاستهلاك من خلال تقنية الإضاءة الموفرة للطاقة إل إي دي- LED، بالإضافة إلى استخدام مصابيح الفلورسنت المضغوطة والموفرة للطاقة «سي إف إل- CFL»، والتي تعطي إنارة بنفس مستوى المصابيح العادية، كما أنها تستهلك 20% فقط من الطاقة الكهربائية. وتشير الأبحاث والدراسات إلى توجه المملكة العربية السعودية نحو تخفيض معدلات النمو السنوية للطاقة الكهربائية وخفض الأحمال، وتوفير أكثر من 125 مليار ريال خلال خمس سنوات في بلد يعاني أزمة في توفير الطاقة الكهربائية مع ارتفاع الطلب.

ووفقاً للإحصائيات والدراسات الاقتصادية فإن النمو السنوي للطاقة الكهربائية في المرحلة الحالية يبلغ 8% والمستهدف من خلال تنفيذ برامج الخطة الوطنية في المملكة للترشيد وخفض النمو بمعدل 50% خلال السنوات الخمس المقبلة. ويصل الحمل الذروي حالياً خلال الصيف إلى أكثر من 40 ألف ميجاواط، والنمو السنوي يقدر بثلاثة آلاف ميجاواط وهو يمثل 8% من الطاقة الكهربائية. وحيث إن كل 1000 ميجاواط تحتاج إلى استثمارات تتجاوز 15 مليار ريال وعند توفير 1500 ميجاواط يتم توفير مبالغ تتجاوز 20 مليار ريال سنوياً من جراء تحقيق هذه النسبة في معدلات التخفيض في النمو

تهتم الشركات بالتحول نحو التقنيات الخضراء لتتوافق مع توجهات الحكومات في المنطقة في هذا المجال، وتحقيق الرغبة الكبيرة للمستهلكين في خفض استهلاك الطاقة

السنوي، وبعد خمس سنوات قطعًا سترتفع معدلات الحمل الذروي للطاقة الكهربائية خلال الصيف، وبالتالي ستمثل الـ4% معدلات تتجاوز الثلاثة آلاف ميجاواط الحالية، ولن يكون التوفير أقل من 20 ملياراً سنوياً في جانب الاستثمارات.

وعلى صعيد متصل ينطلق معرض الإضاءة في الشرق الأوسط في 12سبتمبر، ويستمر حتى 14 سبتمبر المقبل. ويبحث المعرض، من خلال أبرز المشاركين في قطاع الإضاءة، عدداً من القضايا البيئية الخاصة بالإضاءة في السعودية ومنطقة الخليج، وذلك في إطار تزايد الاهتمام العالمي نحو تطبيق نُظم الإنارة الذكية وتقنيات الإضاءة صديقة البيئة، والدخول إلى عصر جديد من عالم الإنارة والزينة الضوئية.

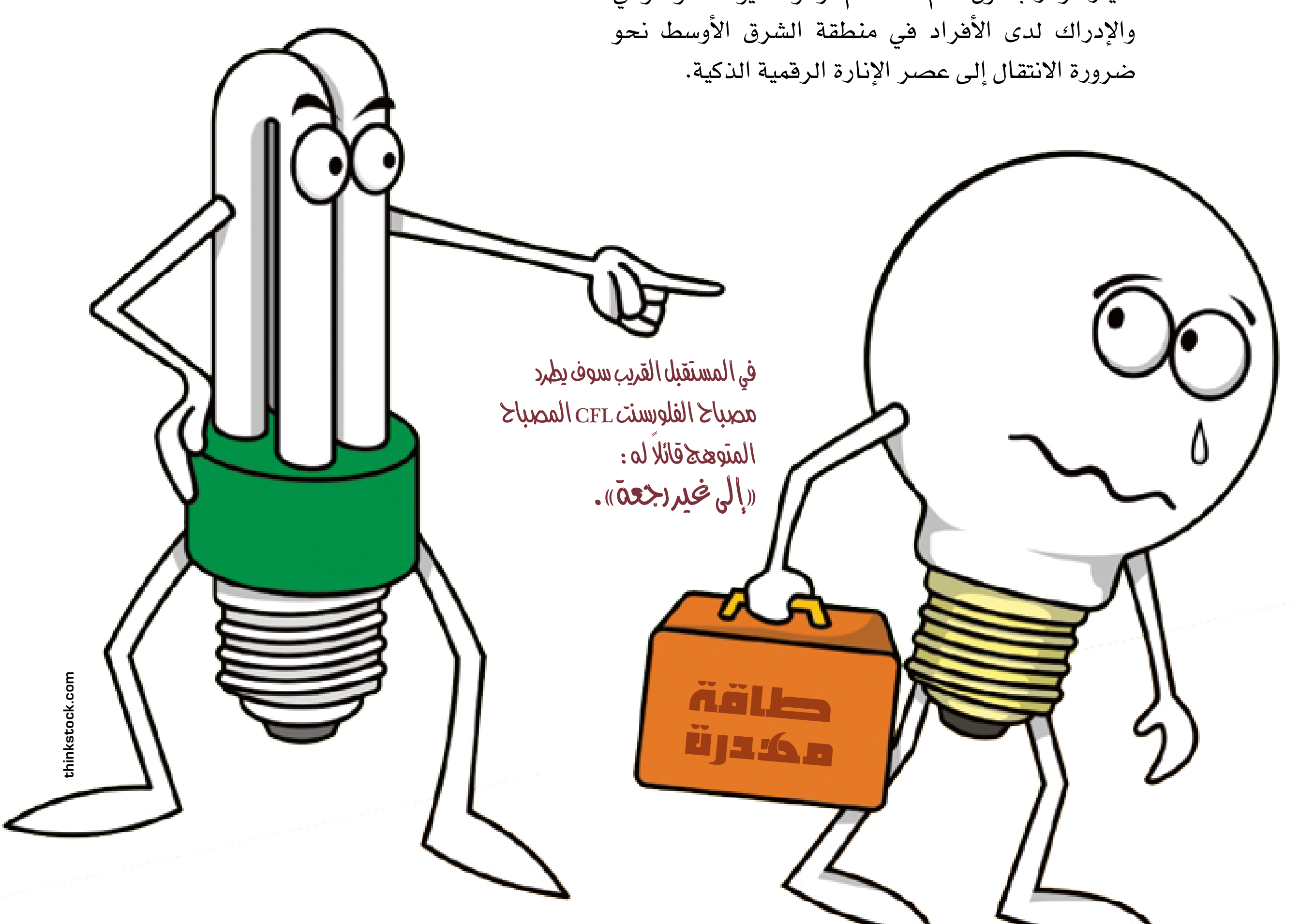
وتتوقع التقارير والإحصائيات الصادرة مؤخراً عن strategyr.com أن يصل حجم السوق العالمية للمصابيح التي تستخدم تقنيتي LED وCFL إلى 24 مليار دولار بحلول عام 2015م، وهو ما يؤكد نمو الوعي والإدراك لدى الأفراد في منطقة الشرق الأوسط نحو ضرورة الانتقال إلى عصر الإنارة الرقمية الذكية.

الإنارة الذكية

تحاول بعض معارض الإضاءة في الشرق الأوسط، تسليط الضوء على الاتجاهات الجديدة في عالم الإنارة ليرى العالم إشراقة مميزة في السنوات المقبلة.

يقول الرئيس التنفيذي في إيبوك ميسي فرانكفورت، الجهة المنظمة لإحدى معارض الإضاءة في الشرق الأوسط، أحمد باولس: « تشهد الأسواق في المنطقة نمواً كبيراً وزيادة كبيرة في الطلب على تقنيات التحكم في الطاقة، والتي بدورها تسهم في خفض استهلاك الطاقة. ولهذا فإنه من المتوقع لهذه السوق أن تشهد نمواً كبيراً في الطلب على مثل هذه التقنيات بما يتناسب مع الطلب العالمي، وبخاصة تقنيات الإنارة الذكية واستخدام المصابيح الموفرة للطاقة المفقودة مستخدمة تقنيات LED وCFL كحلول إضاءة بديلة صديقة للبيئة».

إن السوق في منطقة الخليج تعد من الأسواق الواعدة في هذا المجال قياساً بالأسواق العالمية الأخرى في أوروبا وغيرها، وذلك لأنها تحتوي على مشاريع كبيرة تتنوع بين



في المستقبل القريب سوف يطرد مصباح الفلوسنت CFL المصباح المتوهج قائلاً له : «إلى غير رجعة».

thinkstock.com

المشاريع السكنية والتجارية والمكتبية وغيرها من مشاريع البنية التحتية الأخرى، ولذلك فإن الشركات تهتم بالتحول نحو التقنيات الخضراء لتتوافق مع توجهات الحكومات في المنطقة في هذا المجال، وتحقيق الرغبة الكبيرة للمستهلكين في خفض استهلاك الطاقة.

ومن أبرز الأمثلة للمشاريع التي بدأ بالفعل تطبيق نظم الإنارة الذكية، في الفنادق الكبرى في المملكة العربية السعودية والقصور وبعض المؤسسات والشركات، وكذلك بعض الفنادق في أبوظبي في الإمارات، حيث يحتوي أحدها على 5000 شاشة بتقنية LED المميزة، والتي تضفي على المكان غلاف أضواء حيوياً ومثيراً، وهو ما يجعله يبدو كأنه عرض إضاءة من خلال تقديم ظلال وألوان مختلفة بما في ذلك الصور المتحركة. وهذا هو أكبر عرض LED ملون في العالم. كما أن استخدام تقنيات LED بدلاً من الإضاءة الأكثر تقليدية يساعد على توفير كمية ضخمة من الطاقة.


thinkstock.com

تقنية استخدام LED تساعد على توفير كمية ضخمة من الطاقة.

وداعاً للمصابيح المتوهجة

يرى بعض الخبراء أن دول منطقة مجلس التعاون الخليجي يمكنها توفير حوالي 400 مليون دولار و5.1 ميجا طن من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون سنوياً من خلال التحول إلى استخدام تقنية الإضاءة LED الخضراء، حيث إن مصابيح LED ليست موفرة للطاقة في أثناء استخدامها فحسب، وإنما تتميز بفترة صلاحية أطول بكثير ما يعني عدد مرات استبدال أقل بمرور الوقت.

وقد يشهد المستقبل استبدالاً كاملاً لمصابيح الإضاءة المتوهجة بمصابيح LED على مستوى أسواق المنطقة. كما تمثل التطورات السريعة في مصادر الضوء من الجيل القادم مثل صمامات إصدار الصور العضوية (OLEDs) أحد أبرز الاتجاهات الأخرى في سوق المصابيح، حيث يتوقع أن تصبح OLEDs من المكونات المحورية في تطبيقات الإضاءة مثل الإضاءة المعمارية، إضاءة الأغراض العامة، الإضاءة الصناعية والإضاءة الخلفية.


thinkstock.com

تقنية LED الخضراء ستقلل من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون.

وإلى جانب الإضاءة المنزلية وغيرها يتزايد الإقبال على استخدام تقنية LED في أشكال عديدة من جوانب الحياة اليومية مثل الهواتف المتحركة، وشاشات التلفاز LED، والكمبيوتر الدفتري، والكمبيوتر المحمول، ونظم الإنارة الخلفية لشاشة الكمبيوتر، وإنارة المساحات الخارجية، ومصابيح السيارات.



يُعدُّ الفساد من أكبر المشكلات التي تواجه دول العالم لا سيما الدول النامية، كونه ينخر في الجسد الاقتصادي، فيضع المجتمع على حافة السقوط والانهيار..

جهاد المحيسن يعلق جرس إنذار من الفساد الذي يتحد مع الفقر في معادلة لا يمكن تفكيكها بسهولة.

الفساد بين التمكين والمساءلة

thinkstock.com

يبزغ عهد جديد لمكافحة الفساد في العالم والمنطقة العربية، وهو محصلة لتراكمات معرفية ومعلوماتية، ووعي شعبي بالحقوق، ما يعني تعزيز دولة القانون والمؤسسات ومضاعفة الرقابة والمساءلة والمحاسبة، ولهذا تبادر الدول لإيجاد منظمات للرقابة والشفافية ومتابعة الفساد ومحاربته، لقناعتها الأكيدة بأن ذلك يعني سيادة معايير العدالة للجميع بلا استثناء، ولهذا ولجت بعض الدول العربية هذا الباب لصيانة المال العام وتعزيز مسيرة التنمية.

محاربة الفساد ليست بالمسألة الآنية، ففي أواخر القرن العشرين بدأت بالظهور والتشكل مؤسسات دولية تهتم بمسألة الفساد الاقتصادي على المستوى العالمي، ولعل من أبرزها مؤسسة «الشفافية الدولية» التي تقوم بإعداد التقارير الدورية عن حالة الفساد في العالم، والسبب في تشكل هذه المؤسسات الدولية هو فشل البرامج المالية التي وضعتها المؤسسات الدولية المالية لمساعدة الدول ذات الاقتصاد المرتبك، حيث ينهي هذا الفساد أهداف برامج المساعدة.

وبحسب تقرير منظمة الشفافية الدولية لعام 2010، فإن حالة الفساد باتت أكثر انتشاراً على الساحة العالمية، وباتت بعض المجتمعات أكثر فساداً عما كانت عليه. وذكر تقرير المنظمة أن 56 في المئة ممن استطلعت آراؤهم يرون بلدانهم باتت أكثر فساداً. ووضعت المنظمة أفغانستان ونيجيريا والعراق والهند في قائمة أكثر الدول فساداً، تليها باكستان وأذربيجان وأوكرانيا وفيتنام.
وفي سياق متصل لبحث تفشي ظاهرة الفساد عالمياً ذكر تقرير لهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) أن العالم أصبح يتحدث أكثر عن هذه المشكلة. فقد ذكر واحد من كل 5 استطلعت (BBC) آراءهم، أنه تحدث عن المشكلة مع آخرين، لتصبح بذلك أول مشكلة يجري التحدث عنها قبل التغير المناخي، والفقر، والبطالة، وارتفاع أسعار الغذاء.

وينحى المحللون باللائمة على الأزمة الاقتصادية العالمية في ارتفاع معدلات الرشا، وتراجع ثقة الناس بعدد من الحكومات والبنوك والمؤسسات المالية. وشملت استطلاعات المنظمة 90 ألف شخص في 86 بلداً. أما استطلاع «بي بي سي» فشمل 13 ألف شخص في 26 بلداً. ومن بين الأسئلة التي وجهت لمن شملهم الاستطلاع: ما أكثر القضايا خطورة؟ وجاء الفساد ثاني أخطر قضية بعد الفقر.

وحسب الخبراء، فإن الفساد الاقتصادي يقوم على تحويل المنافع العامة إلى منافع خاصة، على صورة عمولات، ورشا، وتهرب ضريبي، وتهريب أموال، وتهرب من الجمارك، ونشر أسرار العقود، إلى غيرها من عشرات الحالات. وقد يمتد الفساد عمودياً الى أعلى مفصل في بعض الدول، وأفقياً ليشمل عموم قطاعات النشاط الاقتصادي. وكشفت نشرات صندوق النقد الدولي الدورية مئات من الصفقات الوهمية، والحسابات السرية لمعظم دول العالم الثالث، وبذلك يكون الفساد الاقتصادي وهدر المال العام تدميراً لكل أهداف الدول المعنية، إذ تزيد الصفقات الفاسدة من إنفاق الدولة العام بلا عوائد، يقابلها تقلص في الجباية الضريبية للسبب نفسه، ما يفاقم من أزمة الدولة المالية للسيطرة على الكتلة النقدية وحسن استخدامها، كما أن التهرب الجمركي يفسد السياسة السعرية للدولة لتسقط عملية المنافسة في مستنقع البضائع المهربة الخارجة والداخلة.

اقتصاد السوق

تشكل عملية الانتقال إلى اقتصاد السوق وتدفق الأموال لتنفيذ آلية الاقتصاد الجديد بقعة الفساد الملائمة، وحين تلجأ بعض الدول إلى تحويل المؤسسات الحكومية إلى القطاع الخاص تكون تربة الفساد مهيأة. وهذا الواقع يقودنا إلى استنتاج أن الفساد الاقتصادي ظاهرة غير محلية، بل هو ظاهرة دولية، تستدعي مناقشتها وبحثها على صعيد دولي، وتستلزم جهوداً مكثفة لمكافحتها، وربما تكون التقارير الدولية التي تصدر بشكل منظم تسهم بشكل كبير في كشف هذه الظاهرة والحد منها، فبحسب تقرير «منظمة الشفافية الدولية» عن حالة «الفساد في العالم لسنة 2010»، أظهر أن ثلاثة أرباع دول العالم تقريباً شديدة الفساد، وجاءت مؤشرات مدركات الفساد عن حالة 16 دولة عربية شملها الاستطلاع أن الصومال بالدرجة الأسوأ «التصنيف 178» أي الأخير، والعراق «التصنيف 175» واليمن «التصنيف 146» والسودان «بالتصنيف 172»، من مجموع 178 دولة.

هيئة سعودية لمكافحة الفساد

أصدر خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله ابن عبدالعزيز، مؤخراً، قراراً بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، وتعيين الأستاذ محمد ابن عبدالله الشريف رئيساً لها بمرتبة وزير. وتشمل مهام الهيئة القطاعات الحكومية كافة، ولا يستثنى من ذلك كائن من كان، وتسند إليها مهام متابعة تنفيذ الأوامر والتعليمات الخاصة بالشأن العام، ويدخل في اختصاصها متابعة أوجه الفساد الإداري والمالي، والتنسيق مع الجهات الرقابية الأخرى فيما يخص الشأن العام ومصالح المواطنين.

ويتألف مؤشر مدركات الفساد وفق مقياس منظمة الشفافية الدولية «وهي منظمة غير حكومية» من «عشر درجات» ويعطي تقرير مدى تفشي الفساد في كل دولة من دول العالم مقياساً بحد أقصى «عشر درجات» للدول التي يشملها. وكلما زادت الدرجة الممنوحة لدولة ما، كان ذلك يعني ارتفاع درجة مستوى الشفافية بها، فقد نالت الدنمارك الدرجة الأولى وهي «9.3»، بينما نال العراق وهو بالمرتبة قبل الأخيرة «5.1» متقدماً على الصومال فقط.

القضاء على الفساد ليس قراراً يتخذ فحسب، ولكنه منظومة من الأعمال والإصلاحات وإعادة بناء لأنظمة المجتمعات والدول التعليمية والاجتماعية والإدارية والوطنية

وتبني المنظمة تقريرها على معلومات تجمعها من رجال أعمال وأكاديميين وموظفين بالقطاع العام في كل دولة من خلال تجربتهم في التعاملات اليومية. ثم تقوم المنظمة بتحليل تلك المعلومات وتلخيصها في تقرير سنوي، ولا تتطرق المنظمة إلى البحث في فساد القطاع الخاص.

وتُعَرّف المنظمة «الفساد» بأنه: «سوء استغلال الوظيفة العامة من أجل مصلحة خاصة» وهذا ينطبق على القطاعين العام والخاص، وترى المنظمة أن جزءاً كبيراً من الفساد ناتج عن غياب القوانين والقواعد المنظمة للشفافية والمساءلة وعدم نزاهة النظام. كما أن هناك أيضاً أماكن في العالم ينتشر فيها الفساد بصورة كبيرة لعدم استقرار نظامها السياسي والاجتماعي نتيجة الحروب والمشاكل الأمنية الداخلية.
ويشير بيتر آيغان مدير منظمة الشفافية الدولية إلى أن الفقر أكبر مسبب للفساد، كما أنه أقوى عامل يحول دون محاربته. وهذان العاملان يغذيان بعضهما بعضاً، بحيث يدور الفساد والفقر في حلقة محكمة يصعب الفكاك منها. ويرى أن على الدول الغنية أن تتحمل مسؤوليتها في مراقبة الفساد، ومعاقبة الشركات والهيئات التي يثبت تورطها فيه.


thinkstock.com

وربما يكون الفساد أكبر المشكلات العالمية التي تجمع المؤسسات المحلية والدولية على أنها العقبة الرئيسة أمام الإصلاح والتنمية والاستثمار الصحيح وسبباً مهماً لتنامي أعمال المخدرات والمافيات. ورغم أن معظم الحكومات والقيادات السياسية تعلن أن برنامجها هو مكافحة الفساد، فإن الفساد يظل عملياً غائباً عن برامج الحكومات والمؤسسات المختلفة، ذلك أن القضاء على الفساد ليس قراراً يتخذ فحسب، ولكنه منظومة من الأعمال والإصلاحات وإعادة بناء لأنظمة المجتمعات والدول التعليمية والاجتماعية والإدارية والوطنية.

أسباب الفساد

يعزو الخبراء أسباب الفساد المباشرة إلى أخطاء في تعيين الموظفين وضعف أنظمة المحاسبة والتحري الداخلية، وقد نشرت جامعة كاليفورنيا دراسة مهمة لروبرت كليتجارد بعنوان «السيطرة على الفساد»، جاء فيها: «إن الفساد كموضوع لم يدرس إلا قليلاً، ويتحاشى الناس ذكره ويتجنبون الخوض فيه، ويعتقدون أنه لا يمكن عمل شيء تجاهه، وهو يوجد عندما يحاول شخص وضع مصالحه الخاصة فوق المصلحة العامة أو المثل العامة التي تعهد بخدمتها على نحو غير مشروع، ويأتي على أشكال شتى، ويراوح بين الأمور التافهة والأعمال الكبيرة جداً، فهو يشمل سوء استخدام أدوات السياسات العامة وتنفيذ القوانين والعقود، وقد يكون في القطاع الخاص أو القطاع العام، وأصبح الفساد في بعض الدول مؤسسات منظمة.

ودلت دراسات أجريت في تايلند وإندونيسيا والهند وكوريا أن الحكومات تدفع ما بين 20% و60% زيادة على الأسعار التي ينبغي أن تدفعها، ومرد هذه الزيادة في قيمة السلع هو الفساد الذي أصبح يوضع في كلف الإنتاج والتسويق، واضطرت منظمات الغوث الدولية في دول أفريقية إلى دفع رشا كبيرة لمسؤولين كبار لأجل السماح بإيصال المعونات إلى الفقراء، ودفعت دول ثمناً باهظاً على شكل كوارث إنسانية واجتماعية واقتصادية بسبب الفساد المؤدي إلى الإهمال والتساهل في إجراءات السلامة في مبان وسدود ومشروعات اقتصادية كبيرة.

ويرى صامويل هاتنغتون، في كتابه عن التطور السياسي، أن ثمة ظروفاً وحالات ينتعش فيها الفساد الحكومي مثل



النمو السريع والتحديث الذي تتعرض له بعض الدول، وذلك بسبب تغير القيم ومصادر الدخل والقوة والتوسع الحكومي، ويزيد الفساد أيضاً في الدول التي تغلب فيها المصالح التجارية الأجنبية

حجم الفساد

يقدر الخبراء أن الفساد يرتبط بالبيئة المشجعة والمخاطر المترتبة عليه، ولذلك يمكن دون معلومات ميدانية تقدير حجم الفساد إذا أمكن الإجابة عن أسئلة من قبيل: إلى أي حد تلتزم الإدارة بنظام قوي للمراقبة الداخلية؟ هل هناك نظام مناسب لكتابة التقارير بين الوحدات التنظيمية؟ ما درجة الأمانة والكفاءة لدى الموظفين؟ هل السياسات والإجراءات واضحة؟ هل السلطات محددة وموزعة بطريقة صحيحة؟ وهل إجراءات الميزانية وإعداد التقارير تطبق على نحو سليم وفعال؟ هل يترتب على المخالفات والفساد مخاطر وعقوبات معقولة؟

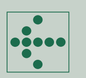
وتقوم كثير من الشركات وهيئات المعونة الغربية بتوجيه عقود استشارية ضخمة نحو طبقة معينة من السياسيين ورجال الأعمال والناشطين وتمرير عقود وصفقات وهبات ومنح وتوكيلات وبخاصة في مشروعات البنية التحتية والاتصالات والمعلوماتية وفي المنح والمعونات الموجهة لخلق نخبة سياسية تمرر مشروعات الخصخصة والاندماج في منظومة الثقافة الغربية وأنماط الحياة والاستهلاك.

وأشارت دراسة حديثة أجرتها لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية إلى أن القارة الأفريقية ما زالت تشكل أكثر المناطق فساداً في العالم. كما جاء في التقرير أن البلدان التي تعاني بيئة سياسية وأمنية مضطربة تأتي في مقدمة الدول التي تقل فيها الشفافية وينتشر فيها الفساد. ويمضي التقرير قائلاً إن بعض البلدان تواجه تحديات بناء مؤسسات متينة وشفافة مع اعتماد آليات ملائمة للمساءلة. ويرى التقرير أن بلداناً أخرى يُنظر إليها على أنها لا تزال تعاني درجة عالية من الفساد رغم أن حكوماتها تعلن محاربتها للفساد بشكل مفتوح بوصفه عائقاً رئيساً أمام جهود التنمية وقضية تعزيز النزاهة والمساءلة في القطاعات العامة والخاصة. ورأت المنظمة أن من الأسباب التي تدعو إلى القلق البالغ استمرار شبح الفساد عندما تعم حالة اللا شفافية في الممارسات العامة، وتحتاج المؤسسات إلى دعم ومساندة، وتعجز الحكومات عن تطبيق الآليات القانونية لمكافحة الفساد. وتقول المنظمة إن حتى البلدان الصناعية لا تخلو من الفساد، إذ إن ممارسات الفساد من رشا وسواها، عادة ما تنتشر في الشركات الدولية الكبرى. وكذلك، فإن أصحاب رؤوس أموال مشبوهة عادة ما يبيضونها ثم يهربونها إلى بلدان غنية بهدف توطينها هناك. ويؤدي انتشار الفساد أيضاً إلى انحسار ثقة أفراد الشعب بمؤسسات الدولة والحكومات الناشئة التي يُفترض أنها تحمي استمرار الدولة واستقرارها.

وفي هذا الصدد، أشارت المنظمة إلى أن ما بين العامين 1990 و2009، كُشف النقاب عن أكثر من 283 شركة دولية كبرى تورطت في ممارسات الفساد، ما كلف دافعي الضرائب نحو 300 مليار دولار.

من الرف الآخر..

الحل والترحال.. التيه بصفته سلوكاً اجتماعياً



يسهب هذا الكتاب «الحل والترحال» لميشيل ما فيزولي «ترجمة عبدالله زارو وصادر عن دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء»، في الحديث عن أشكال النزوع إلى التيه، بصفتها عنصراً مركزياً في أي فهم ممكن لتشكل الحياة الاجتماعية، ليكشف أن كل بنية ثابتة وقارة بحاجة إلى نقيضها حتى تقوي وجودها.

إن الرغبة في التيه، وبشتى الطرق التي تمارس بها، أكانت معلنة أم كتومة، هي أحد الأقطاب الأساسية في كل صياغة للبناء الاجتماعي. إنها رغبة في التمرد على الآلية الوظائفية، وتقسيم العمل والإفراط في التخصصية التي تجعل من كل فرد مجرد عجلة تدور داخل الدولاب الصناعي الأكبر الذي هو المجتمع.

التيه هو النزوع إلى التسكع الذي يعبر في عمقه عن سلوك احتجاجي ضد إيقاع حياتي مصوب نحو الإنتاج ولا شيء غيره.

أياً كان الاسم الذي نعطيه لهذه الظاهرة، ظاهرة التنقل من مكان إلى آخر«تيه، ترحال، تجوال، تسكع...» فإنها منتشرة في الطبيعة الإنسانية ذاتها فردية أو اجتماعية. إن مفهوم الترحال هو من العبارات الأكثر بداهة وقدرة على التعبير عن هذا الوقت الذي يمر، وعن الزوال الضروري لكل الأشياء وفنائها التراجيدي الذي لا مرد له، وعلى هذه الأرضية الثابتة للترحال ينتصب هذا الخليط من الجاذبية والامتعاض الذي يمارسه علينا كل ما له صلة بالتغير. وفي حوزتنا اليوم متن زاخر من الأحاكي والأشعار وأعمال الخيال حول هذا الموضوع، وتنبغي الإشارة هنا إلى أن من خواص القدر الأساسية استعصاؤه على التحكم والتوجيه.
مأساة هذا القرن، بحسب الكتاب، تكمن في ذلك الشرخ الذي يتسع بين الذين يعيشون العالم وفي العالم والذين يتكلمون عنه أو يتوهمون أنهم يمارسون تأثيراً عليه. شرخ يتردى فيه كل «الديماغوجيين» الذين يحبكون خطباً وخطابات حول الكراهية والعنصرية ومعاداة الأجنبي. مأساة حتمية ولا مرد لها.

يذكر ما فيزولي أن للتية قدرة تأسيسية لكل مجموعة اجتماعية، «إضافة إلى أنه يترجم جيداً التعدد الكامن في الشخصية الإنسانية والازدواجية الطابعة للوجود». كما أن التيه يتخذ أشكالاً من التعبير عن نفسه عبر ثورات عنيفة أو كتومة «ضد النظام القائم والمستقر ويسمح لنا بفهم حالات تمرد مسجلة في أوساط الشبيبة. تلك الحالات التي بدأنا بصعوبة ندرك هولها وضخامتها ولم ننته حتى الآن من تقدير آثارها وعواقبها».

يقرأ الكتاب التيه كتعبير عن علاقة أخرى بالعالم «أقل هجومية وأكثر مداعبة وميلاً إلى اللعب، إلا أنه لعب تراجيدي بكل تأكيد».

ومن هنا فالتيه ليس حكراً على بعضنا دون الآخر، «إن كل واحد منا يمارس التيه يومياً وقد لا يدري. إن الإنسان ما بعد حداثي مصنوع من عجينة التيه فوق ما نتصوره».

يرى ميشيل ما فيزولي أنه «لأجل تدجين هذا المصطلح أطلق عليه «اسم الحركية المجالية» التي هي جماع تنقلات يومية تشمل مجالات العمل والاستهلاك. أضف إلى ذلك التنقلات الموسمية من سياحة وأسفار، والتي نتنبأ لها بازدهار فيما يستقبل من أيام، فضلاً عن الحركية الاجتماعية والتنقلات المكثفة للسكان بفعل التفاوتات الاقتصادية».

كانت فكرة التيه من التجذير «بحيث إن قوانين حسن الضيافة تلزم في زمن ما، بتبجيل المسافر التائه من خلال إمداده بنفيس الأشياء وأثمنها حتى ولو كان من

الأغراض الأكثر حميمية».

يؤكد الكتاب أن موضوعة الترحال «مبثوثة في ثنايا التواريخ البشرية وبطريقة منتظمة تكاد لا تختلف». ويلاحظ مافيزولي أنها تكتسب حجماً جديداً وكبيراً وبشكل خاص كلما شارف عالم من العوالم على نهايته. «عندها يدخل التفكير وأنماط العيش والفكر في مرحلة نسبية من التيه، ويقتفي مسالك شبيهة بالمتاهات ويتهيأ لاستقبال تجارب أخرى في الحياة». في شكل آخر يمكن اعتبار التيه «مختبراً تبنى فيه لبنات البنية الاجتماعية القادمة من خلال سلسلة من المحاولات والأخطاء. في مثل هذه الفترات، تكون لموضوعة الهروب من عالم منته أهمية خاصة. فما هو موجود ما عاد مرضياً ويبدأ فتيل الثورات الاجتماعية والتمردات اليومية الصغيرة في الاشتعال، وتتضاءل الثقة في القيم السائدة وإذاك يفقد المجتمع وعيه بذاته».

كما أن التيه يعد «عربون إبداعية في حقبة ما بعد الحداثة قياساً إلى البرجوازية السائدة». وكما أن الترحال ساهم في «بناء» الحضارات السابقة، فهو يساهم اليوم في بناء الواقع الاجتماعي المعاصر.

يصر الكتاب على وجوب فهم هذا الجنوح المعاصر والكثيف إلى التيهان العاطفي في هذا السياق، «طيلة القرن التاسع عشر، كانت الغلبة للاستقرار والإقامة بالمكان الأوحد، أي لجهد مسترسل وحثيث تقوم به المؤسسات لأجل تثبيت العوائد وتدجين العواطف وتخليق المسلكيات.

لكن تبين أن هذا كله غير كاف لاجتثاث تلك الاندفاعة الحيوية الحاثة على تلمس سبل المغامرة واكتشاف الأجنبي والغريب».

يستعرض الكتاب حركات اجتماعية وأقواماً وعادات وسلوكيات مارسها بشر، كل ذلك من أجل الترحال أو التيه عن اللحظة المعاصرة، التي انغلقت على نفسها، سعياً إلى أفق جديد.

لا مندوحة عن الهروب ما إن تنغلق الأشياء على ذواتها وتدار دفتها بشفرات من نوع خاص. إن عدم التجذر في مكان ما والشعور بالراحة من خلال التنقل من ثقافة إلى

MICHEL MAFFESOLI

Du nomadisme

Vagabondages initiatiques

LA TABLE RONDE

أخرى، وفقاً إلى ما فيزولي، باتا موقفاً فكرياً ووجودياً عظيم الانتشار.

يؤكد ميشيل ما فيزولي أن عصر وزمن البنى والمؤسسات المستقرة والراكدة انتهى، «تلك التي نهضت في العصر الحديث على الفرد والهوية الواحدة والأمة والدولة ومستتبعاتها. من الآن فصاعداً، يعود الوجود الإنساني إلى تيهه الأول».

تيه بات نقطة انطلاق لا «محطة» دائمة وغير متغيرة. قد يرعب هذا الكلام كل المؤسسات الاجتماعية التي انتهت مدة صلاحيتها أو بصدد ذلك، وقد يرعب أياً كان ممن تشترط ولادته من جديد موته الآن.

إن ما يميز التائه هو لفته الانتباه إلى التناقض الوجداني الطابع لكل الأشياء من حولنا.

لم يكن الكثيرون يرون في ظاهرة التيه والترحال والتجوال، تحت ضغط مفترضات وأحكام مسبقة، سوى أشكال من التسكع التافه وفي أسوأ الحالات لم يكونوا يرون فيها شيئاً على الإطلاق.





هل نحتاج إلى كوكب آخر؟

أخطار تحدق

40% من الوفيات حول العالم تعزى مباشرة إلى التلوث الذي يهدد كوكب الأرض. الباحث والناشر فرج أبوشمالة يتناول هذه المخاطر والملوثات المحيطة بنا.

shutterstock.com



بـالأرض

لقد صدق من قال إن الإنسان بدأ حياته على الأرض وهو يحاول أن يحمي نفسه من نوائب الطبيعة. وانتهى به الأمر بعد آلاف السنين وهو يحاول أن يحمي الطبيعة من نفسه. لم يقتصر التلوث على سطح الأرض بل طال جوفها، أيضاً، وبات يهدد حياة كل الكائنات.

أصبحت الحياة المدنية تقطع دورة الحياة أو تعيقها في الطبيعة، وهو ما يعرف بصناعة الإنسان للمواد السامة والقائها في دورة الحياة man-made toxic agents التي تلوث البيئة وتسممها، ويرتد أثرها الضار عليه، ولأن بعض الأنظمة البيئية تتكون من دورة حياة معقده ومتفرعة، ما يساعد على حفظ النظام البيئي في حالة كسر الدورة أو تغيير مسارها، وتنشأ علاقة جديدة لتحافظ عليها.

أصبحت مشكلة تلوث البيئة خطراً يهدد الجنس البشري، بل يهدد حياة كل الكائنات الحية والنباتات. ولقد برزت

هذه المشكلة نتيجة للتقدم التقني، والصناعي، والحضاري للإنسان، ويشمل تلوث البيئة كلاً من البر والبحر وطبقة الهواء التي فوقها، فأصبحت الكرة الأرضية اليوم مشغولة بهمومها، وأصبح كوكبنا مشوهاً، وتغيرات المناخ تهدد جوها، والمبيدات أفسدت أرضها، والصناعات مزقت أوزانها، والقطع الجائر للأشجار نخر غابتها، وهدد حيواناتها، والسكان لوثوا مياهها.. وهكذا بات كوكبنا محتاجاً إلى كوكب آخر، لكي نبدأ فيه وننشئ حضارة جديدة نظيفة.

لقد أصاب التلوث الإنسان، والنبات، والحيوان. ولعل من أهم النتائج التي أمكن حصرها أو التعرف عليها أن ربع الأجناس الحية على كوكبنا تواجه الانقراض بسبب تلوث البيئة، حيث ينقرض يومياً ما بين «100» و«200» من الكائنات الحية. فإزالة الغابات الاستوائية تتسبب في اختفاء «17500» نوع حيواني ونباتي سنوياً، أي أن معدل الانقراض هذا يفوق بنسبة ألف إلى عشرة أضعاف ما كان عليه الحال قبل ظهور الإنسان على كوكب الأرض. ما يعني أن الإنسان أصبح مصدر تهديد للكوكب الذي يعيش فوقه.

من هنا كان علم البيئة الذي يهتم بالعلاقة المعقدة بين الحياة واللاحياة. وهو مصطلح biosphere « الغلاف الجوي» يشير إلى العالم الحي ويتكون من عدة أنظمة بيئية ecosystems. النظام البيئي ecosystem يوفر أو يهيئ الظروف المناسبة للنباتات والحيوانات لتعيش، ويجدد العناصر اللازمة لإبقائهم أحياء ضمن «التوازن البيئي» الذي يتكون من دورة حياة تتحول فيها فضلات الحيوانات إلى غذاء للتربة والبكتيريا، والتي تنتج بدورها مواد غذائية للنبات والحيوانات.

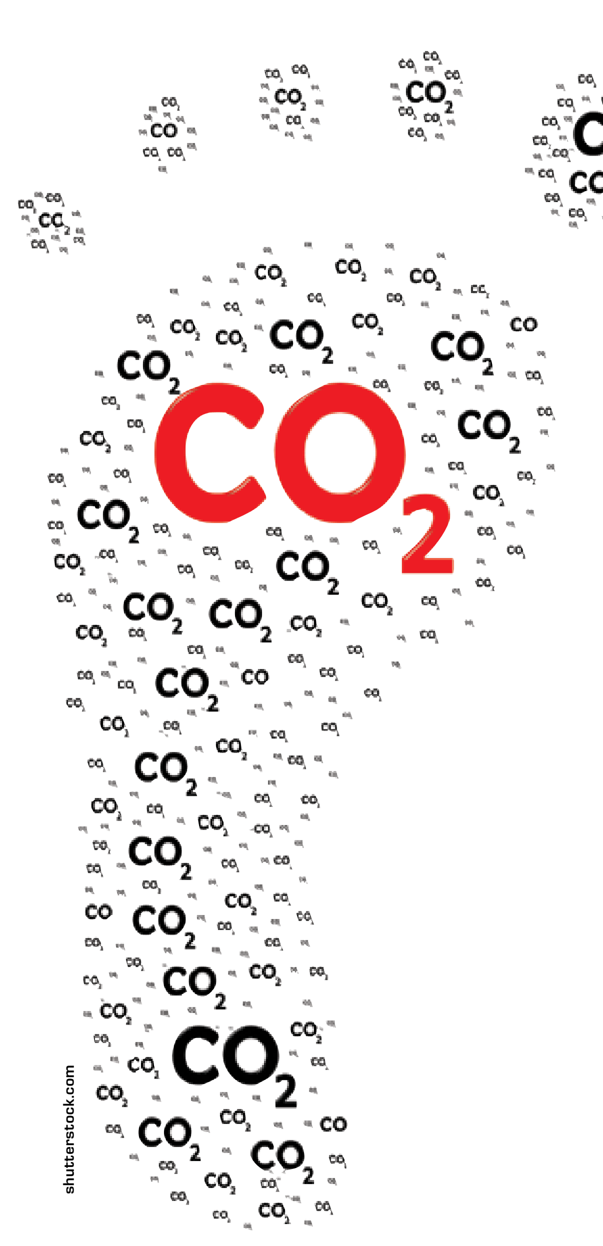
بعض الأنظمة البيئية تتكون من دورة حياة معقدة ومتفرعة. ما يساعد على حفظ النظام البيئي في حالة كسر الدورة أو تغيير مسارها، وتنشأ علاقة جديدة لتحافظ عليها

والتلوث عبارة عن الحالة القائمة في البيئة الناتجة عن التغيرات المستحدثة فيها، والتي تسبب للإنسان الإزعاج، أو الأمراض، أو الضرر، أو الوفاة بطريقة مباشرة، أو عن طريق الإخلال بالأنظمة البيئية. وتعرف مسببات التلوث بالملوثات التي تنتج عنها الميكروبات التي تلحق الضرر بالإنسان وتسبب له الأمراض. والتعريف الحديث للتلوث يشتمل على: كل ما يؤثر في جميع العناصر بما فيها من نبات، وحيوان، وإنسان، وكذلك ما يؤثر في تركيب العناصر الطبيعية غير الحية مثل «الهواء، والتربة، والماء من بحيرات وبحار وأنهار». ويعرف التلوث، أيضاً، بأنه أي تغير يؤدي إلى حدوث خلل في دورات الحياة للمواد الطبيعية الموجودة في الأرض، أو خلل في تدفقات الطاقة المتداخلة مع دورات المواد المتفاعلة معها.

وتشير دراسة أجراها فريق أبحاث من جامعة كورنيل في نيويورك إلى أن نحو 40% من الوفيات حول العالم تعزى مباشرة إلى التلوث، ومعظمها يحدث في بلدان نامية. كما أن التلوث يعرض حياة ملايين آخرين للخطر من خلال أمراض دائمة واضطرابات عصبية.

وتتوالى التقارير والإحصائيات التي تؤشر بشكل واضح عن آثار التلوث في الإنسان الذي هو المسؤول عن إحداث هذا التلوث. وبالرغم من أن تلك الأرقام تصفعنا دون أن نتعظ، فإننا نستمر في إحداث التلوث، وكل من كان يعتقد أن تصدير نفاياته بعيداً آلاف الأميال يكون قد تخلص منها فيكشتف أنه كمن يلقي نفايات بيته تحت وسادته.

shutterstock.com



shutterstock.com

وتقدر منظمة الصحة العالمية أن 2.6 بليون نسمة كانوا يفتقرون إلى مرافق خدمات صحية محسنة عام 2008. ومن الكائنات المهددة لحياة الإنسان التي تنقلها مياه الصرف الصحي وسوء التعامل معها الكوليرا، والتيفوئيد، والديزنطاريا، والبلهارسيا، والتهاب الكبد «أ»، والتهابات الدودة الشريطية المعوية.

ويموت سنوياً 865 ألف طفل دون الخمس سنوات نتيجة لسوء التغذية، والالتهابات التي يسببها الإسهال أو الديدان المعوية.

كما أن هواء المدن أضحى يشكل خطراً على الصحة بدلاً من أن يعطي الإنسان والحيوان والنبات الحياة والطاقة. وهذا ما أشارت إليه تقارير منظمة الصحة العالمية من أن 865 ألف وفاة سنوياً في أنحاء العالم تعزى مباشرة إلى تلوث الهواء خارج المنازل. وترتبط التأثيرات الصحية الرئيسة بإجهاد قلبي وعائي مزمن، وازدياد إصابات سرطان الرئة والالتهاب الرئوي الحاد أو المزمن، ونوبات الربو والحساسية. كما أن التعرض للأوزون الأرضي يتسبب في تهيج العينين والأنف والحنجرة، وجفاف الأغشية المخاطية، وانخفاض قدرة الجسم على مقاومة الالتهابات الرئوية.

ومن التدابير التي ساهمت في الحد من تلوث الهواء تطوير آليات التنقية للوقود المستعمل في السيارات، واستعمال البنزين الخالي من الرصاص، والديزل القليل الكبريت، وفرض معايير صارمة على انبعاثات السيارات والمصانع.

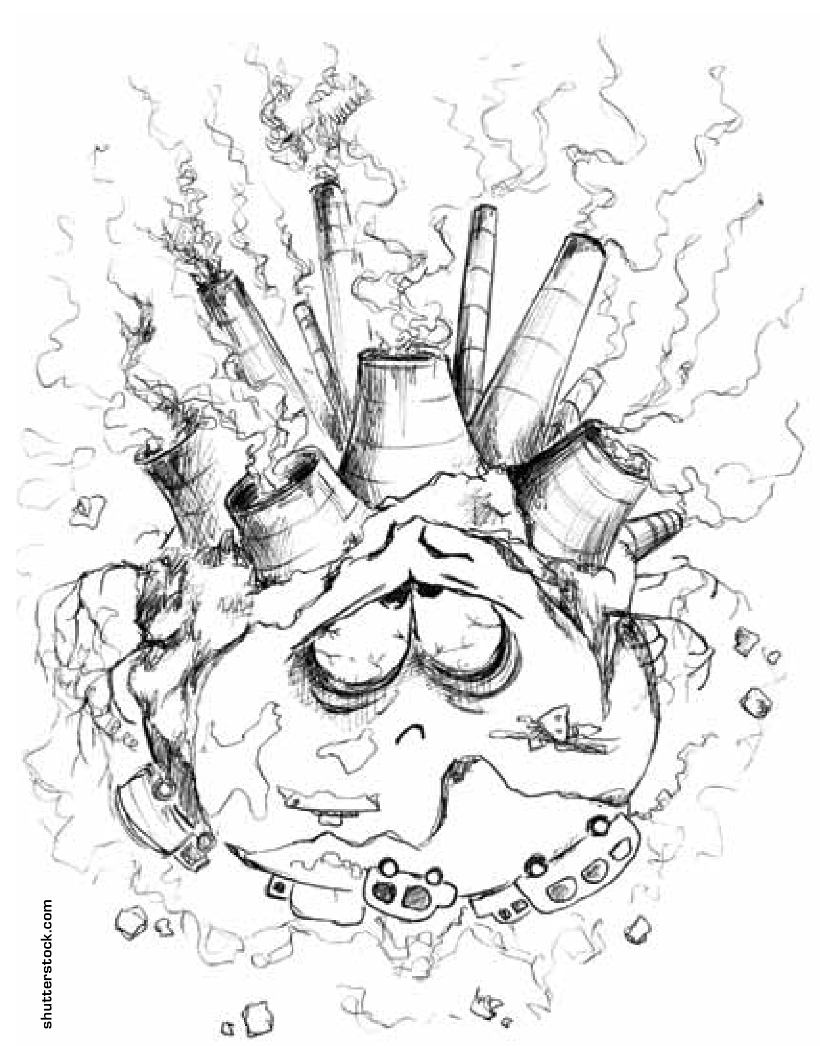
ضريبة الحضارة

من مظاهر الحضارة الجديدة وبعد انتشار الصحف أن كثيراً من سكان المدن يعيدون استخدام الصحف المطبوعة لحفظ الأغذية ووضعها على موائد الطعام، ما يجعلهم عرضة لتناول الرصاص الموجود في الحبر الطباعي وهو من أخطر أشكال التلوث. وقد يؤدي التسمم بالرصاص إلى الشعور بالتعب والصداع، وألم العظام والعضلات، والنسيان، وفقدان الشهية، واضطراب النوم. وغالباً ما يعقب ذلك إمساك، ونوبات من الألم الشديد في البطن. وفي الحالات المتقدمة تحدث تشنجات وغيبوبة وهذيان، وصولاً إلى الموت.

والأطفال هم الأكثر عرضة للتسمم بالرصاص من البالغين، وقد يعانون تلفاً عصبياً، وألماً، وإعاقة في النمو الجسدي والعقلي. أما تعرض النساء الحوامل للرصاص فقد يؤدي إلى أذى للجنين، وإلى ولادات مشوهة. وقد أدخلت في بعض البلدان تحسينات على عمليات إعادة تدوير البطاريات، وباتت أكثر تنظيماً.

لكنها في كثير من البلدان الأشد فقراً ما زالت تجرى بطرق عشوائية محفوفة بالأخطار الصحية والبيئية. وتصنف بطاريات السيارات التالفة في فئة النفايات الخطرة بموجب اتفاقية بازل.

وقد فتحت عدة بلدان نامية باباً واسعاً لشرائها بكميات كبيرة من أجل استخلاص الرصاص منها. وتجرى عمليات إعادة تدوير البطاريات وصهر رصاصها في معظم مدن



shutterstock.com

العالم النامي، وغالباً في أماكن مكتظة بالسكان ومن دون ضوابط صحية وبيئية أو تدابير سلامة، وتطلق كميات كبيرة من النفايات المشبعة بالرصاص، وهذا يسبب تسمماً خطيراً للعمال والمجتمعات المجاورة.

الوهم الكاذب

تقف الأخطار الناجمة عن العناصر المشعة وعلى رأسها اليورانيوم على قمة المخاطر التي ترعب كل باحث في مستقبل الحياة على وجه الأرض بعد أن خفت الرعب النووي الناجم عن الحروب. فالدقائق المشعة يمكن أن تدخل الجسم من خلال الطعام، أو الماء، أو الهواء. ولا يوجد مستوى «مأمون» للتعرض الإشعاعي. وقد تكون تأثيراته دراماتيكية، فيهاجم جميع وظائف الجسم في حالات التعرض الحاد، وغالباً ما يتسبب في عدد من الأمراض السرطانية نتيجة التعرض الطويل الأمد، أو يؤثر في الشيفرة الوراثية، ما يؤدي إلى مشاكل صحية تنتقل إلى الأجيال التالية وتسبب تشوهات خِلْقية.

وتستعمل المواد المشعة لتوليد الطاقة، ولأغراض عسكرية، وصناعية، وطبية، وعلمية. أما النفايات المشعة فتصنف ضمن فئتين: نفايات عالية المستوى تنتج بشكل رئيس من الوقود المستعمل في مفاعلات مدنية أو عسكرية، ونفايات منخفضة المستوى تنتج من المفاعلات والاستعمالات الصناعية والتجارية وغيرها. والمواد المشعة لا يمكن معالجتها، ولا يزول خطرها إلا عندما تكمل انحلالها. ولأن ذلك قد يستغرق آلاف السنين، فيجب تخزين هذه المواد حسب الأصول.

وقد اتجهت أوروبا نحو الطاقة النظيفة عن طريق الطاقة الشمسية. وتقول التقارير العالمية إن الصحراء العربية الأنقى والأفضل لتوليد هذه الطاقة، لا سيما أن الصحراء الجزائرية والأردنية، مثلاً، علاوة على نسبة السطوع الشمسي العالي توفر الرمال الصالحة لصناعة ألواح الزجاج اللازمة لتشكيل الخلايا لتوليد الطاقة.

الهواء السام

من أهم أسباب تلوث الهواء داخل المنازل في العالم النامي هو حرق الفحم أو الحطب لأغراض الطبخ والتدفئة والإضاءة. ويحصل أكثر من 50٪ من سكان العالم على الطاقة اللازمة للطبخ بهذه الطريقة. وبسبب سوء التهوية، عادة، تنتج تركيزات من الأبخرة السامة داخل المنازل وتشكل خطراً صحياً على العائلات. والأكثر تأثراً هم النساء اللواتي يتولّين الطبخ، والأطفال الصغار الذين يلازمون أمهاتهم.

ويساهم تلوث الهواء الداخلي في نحو 3 ملايين وفاة سنوياً، ويشكل 4٪ من العبء المرضي العالمي. ومن تأثيراته الصحية الالتهابات التنفسية الحادة، والانسداد الرئوي المزمن، وسرطان الرئة وإعتام عدسة العين «كتراكت»، والسل، واضطرابات الحمل والولادة.

تنفث مرافق صهر المعادن ومعالجتها كميات كبيرة من الملوثات الهوائية، مثل فلوريد الهيدروجين، وثاني أكسيد الكبريت، وأكاسيد النيتروجين، والأدخنة، والأبخرة، والغازات المؤذية والسامة وسواها. كما تطلق معادن ثقيلة مثل الرصاص، والزرنيخ، والكروم، والكادميوم، والنيكل، والنحاس، والزنك. وتُستهلك في معالجة المعادن كميات كبيرة من حمض الكبريتيك الذي ينطلق أيضاً. والتعرض لهذه الملوثات التي ينقلها الهواء يمكن أن يؤدي إلى أمراض حادة ومزمنة، قد تبدأ بتهيج العينين والأنف والحنجرة،



وتتفاقم إلى مشاكل القلب والرئتين وحتى الموت قبل الأوان. وتشكل المعادن الثقيلة أخطاراً صحية مزمنة، بما فيها تراكم العناصر السامة، ما قد يتسبب في عيوب خِلْقية، ومشاكل في الكليتين والكبد، وتقرحات في القناة الهضمية، وآلام في المفاصل، فضلاً عن اختلالات في الأجهزة العصبية والتنفسية والتناسلية.

باطن الأرض

لم يقتصر التلوث على سطح الأرض بل طال جوفها أيضاً، حيث يعتمد مئات ملايين الناس في العالم النامي على المياه الجوفية، غالباً، من خلال آبار محفورة. وهذه يمكن أن تتلوث بسهولة نتيجة أنشطة بشرية تصنف في أربع مجموعات، هي المصادر البلدية، والصناعية، والزراعية، والفردية.

وتشمل المصادر البلدية مكبات النفايات المكشوفة، والمطامر سيئة الإعداد والصيانة، والمجارير. أما التلوث الصناعي فقد يأتي من تصريف المياه، والنفايات الصناعية وارتشاحها، وتسرب المواد الكيميائية من المخازن. ويأتي التلوث الزراعي أساساً من الإفراط في استعمال المبيدات والأسمدة التي قد ترشح إلى المياه الجوفية. ويتسبب الأفراد في تلويث المياه الجوفية من خلال التخلص من النفايات بشكل غير مناسب.

ومن التأثيرات الصحية للمياه الملوثة الإسهال وتهيج المعدة، كما أن تراكم المعادن الثقيلة وبعض الملوثات العضوية في الجسم يمكن أن يؤدي إلى الإصابة بالسرطان وبتشوهات خِلْقية وأضرار خطيرة أخرى.

والملوثات الرئيسة في النظم المائية هي البكتيريا، والفيروسات الموجودة في الفضلات البشرية، والمعادن الثقيلة، والمواد الكيميائية العضوية التي تنتج من النفايات الصناعية. وابتلاع كائنات ممرضة عن طريق الشرب أو تناول طعام تم إعداده باستعمال ماء ملوث هو السبيل الأكثر شيوعاً للمرض. كما تتأثر صحة الإنسان بمحاصيل استمدت ملوثات من مياه الري، أو من أراض طافت بمياه أنهار ملوثة. وتتسبب الجراثيم في عدد من الأمراض المعدية المعوية، التي قد تكون مميتة للأطفال وللأشخاص الضعفاء. وتظهر بيانات منظمة الصحة العالمية أن تلوث المياه هو أحد أهم أسباب الوفيات المرتبطة بعوامل بيئية. وغلي الماء يقضي على معظم الكائنات الممرضة، لكنه يحتاج إلى وقود لا يتوافر كفاية لدى المجتمعات الفقيرة.

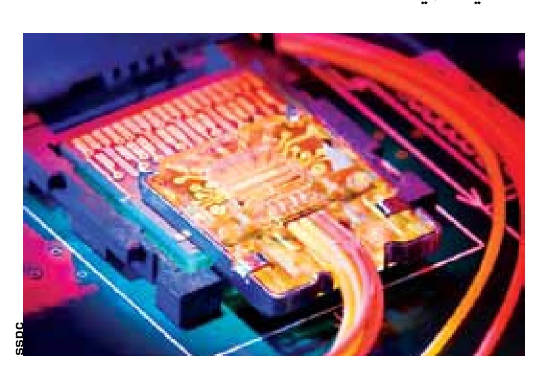
زاد العلوم

مقابر سحيقة

يقول شاعر إسبانيا العظيم لوركا:
لا أحد ها هنا يغني، أو يبكي..
أريد أن يدلوني على بكاء كالنهر..
له غيوم ناعمة وضفاف سحيقة..
فليصبح الليل في أدغال الدخان..
إن البحر يموت أيضاً..
صُمِّم هذا المبنى الغريب ليكون مقبرة لموتى مدينة مكسيكو، وهو عبارة عن هوة سحيقة، ونفق ينحدر عميقاً داخل الأرض، كحفرة فارغة تستجلي الشعور بالفراغ والفقد الذي يرافق الموت عادة، وضعت فيه أماكن التوابيت في صفوف طويلة حتى تصل إلى أعمق نقطة في المبنى بطريقة هندسية بديعة.
وتتم مراسم الدفن بأن ينزل مشيعو الميت مع عزيزهم إلى طبقات المبنى تحت الأرض، ويضعوه في مكانه المخصص بعد طقوس الموت المعتادة، ثم يعودوا إلى الضوء وسطح الأرض بعد تجربة رحلة موت قصيرة. وسيعمل المبنى على تقليص مشكلة ندرة المقابر الفارغة المتفاقمة في مدينة ذات تعداد سكاني يفوق أي مدينة أخرى في العالم.

معالجات الكمبيوتر الضوئية

لا تزال حمى التنافس على امتلاك الكمبيوتر الأسرع على أشدها بين الشركات العالمية، وفي هذا السياق توصلت شركة إنتل الأمريكية، رائدة صناعة المعالجات والشرائح عالية التقنية، إلى تطوير معالجات تعمل على تقنية الفوتونات «الفوتونات تعد العنصر الأساس المكون للضوء وبقية الإشعاعات وأشكال الأشعة الكهرومغناطيسية الأخرى»، ما يتيح للمعلومات الانتقال بسرعة الضوء «٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة» عن طريق استخدام الألياف الزجاجية الشعرية بدلاً من الأسلاك النحاسية التقليدية، التي عادة ما تفاقم مشكلة ارتفاع الحرارة في المعالجات، ما يقلل كثيراً من كفاءتها.
التقنية الجديدة ستدفع بعجلة تطور المعالجات إلى آفاق لم تبلغها من قبل، وستمكن من بناء كمبيوترات بسرعة الضوء وبأسعار منافسة، ما سيسهم بدوره في دمج الإنترنت في القنوات الفضائية واليوتيوب بطريقة فعلية ومجدية وباستخدام كامل الشاشة الرقمية، ولن تكون هناك حاجة إلى المزيد من إضاعة الوقت في انتظار التنزيل أو التحميل، كما ستعمل شركات أخرى مساندة في مد كابل ألياف زجاجية ضخمة مدفونة في البحر بين القارات لتفعيل تلك التقنية عالمياً.



sspc

تدفئة مجمع سكني بحرارة الأجساد البشرية

تدفئة المباني باستخدام الطوابير البشرية التي تنتظر قطار باريس تحت الأرض..
تقليعة جديدة من فرنسا، بيد أنها هذه المرة تقليعة بعيدة عن الأزياء والموضة، إذ قامت الحكومة الفرنسية بتركيب نظام تدفئة تجريبي لأحد مشاريعها الإسكانية في باريس، يعتمد في آليته على الاستفادة من الحرارة المنبعثة من أجساد الطوابير البشرية التي تنتظر قطار باريس تحت الأرض، في سابقة لم يعهد لها مثيل في زخم التقنيات الحديثة، ومن المتوقع أن يقوم النظام بتدفئة ١٧ شقة سكنية، وعدة محال تجارية، فضلاً عن خفض التلوث الكربوني بمقدار الثلث، مقارنة بالأنظمة التقليدية للتدفئة، وبالرغم من أن ذلك يُعد من الاستخدامات الذكية لطاقة مهدورة في الأصل.


sspc

الحرارة تُولِّد برودة!!

تمكّن فريق من العلماء في ألمانيا من تطوير تقنية حديثة تتيح استخدام الطاقة الشمسية لتشغيل الثلاجات بدلاً من الطاقة الكهربائية، وهذا سيمنح الدول الحارة مثل المملكة العربية السعودية ومعظم الدول العربية فرصة للاستفادة من هذه التقنية وتخفيف الحاجة إلى الكهرباء.

وأكد العلماء أن الثلاجة الحديثة بالتقنية المتطورة سوف تقلل من تكلفة الكهرباء المنزلية، بحسب الأبحاث التي أجريت في هذا الإطار. وقالت مجموعة من العلماء الشباب الذين يعملون مع مركز فيسنبوش جلادبيك للاختراعات بالتعاون مع جامعة العلوم التطبيقية في منطقة جلسنكرشن: «هذه التقنية ستعود بفوائد جمة على البلاد الحارة».

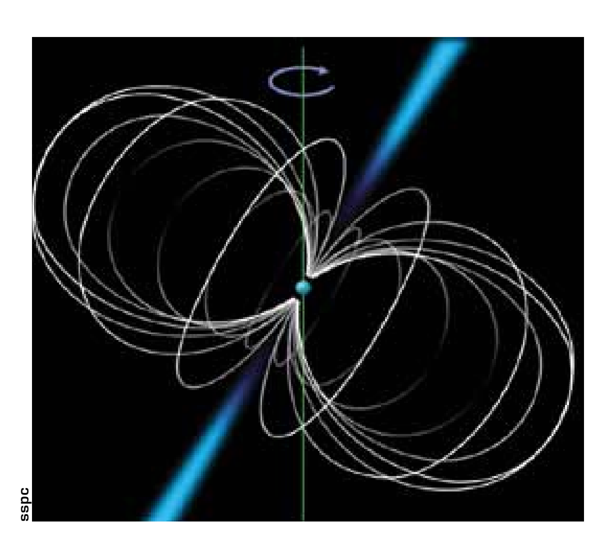
ويقول الأستاذ بالمركز الدكتور راينر براون: «إذا ذهبت خلف الثلاجة فإنك تلاحظ أن الجهاز الذي يبرِّد طعامك يصدر حرارة، وأنه ساخن إلى حدٍّ لا يجعل لمسه ممكناً. فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا تنتج الحرارة برودة؟».

ومبدأ التبريد بالطاقة الشمسية معروف منذ عام 1810م، وقد طور العلماء نموذجاً أوليّاً سيستخدم قريباً في محطة تخزين بارد في المغرب.

النجمة النيترونية... ملعقة منها تزن مليار طن

جاءت إلى الوجود بعد مخاض عنيف، وولدت من رحم نجم ميت، عالية الكثافة لدرجة أن ملعقة صغيرة من مادتها تزن أكثر من مليار طن، شديدة الحرارة، وتبث خلال ٠,٢ من الثانية كمية من الإشعاعات تعادل ما تبثه الشمس في ألف سنة، وتدور حول مركزها بسرعة خرافية تتعدى الـ٣٠٠ مرة في الثانية الواحدة، إنها النجمة النيترونية.

اكتشف السير جيمس تشادويك النجم النيتروني عام ١٩٣٤م، واستغرق العلماء ٣٠ سنة بعدها ليلحظوا وجودها بالفضاء السحيق، وهي تعد بالواقع من جنس نجوم «البولسارات» النابضة، ما أفرز الكثير من التساؤلات والتكهنات حول أصل هذه الأجرام وماهيتها، وهل كانت انفجارات المستعر العظيم «السوبر نوفا» سبباً في ظهورها؟ وهل تتكون من جزيئات أصغر من الذرة المعروفة، أم أنها تتكون من نيترونات دون إلكترونات أي من نوى ذري فقط حسب ما يعتقده غالبية العلماء؟ وهو سبب تسميتها بالنجمة النيترونية. وما الذي يجعل جاذبيتها تصل إلى تلك الدرجة المرعبة، والتي تفوق جاذبية الأرض بملايين المرات بالرغم من أن حجمها لا يتعدى حجم مدينة صغيرة؟!


sspc



Magnos

مدن الرمل..

واحات تبنيها البكتيريا

صدق أو لا تصدق..
ربما نهضت في هذه الألفية مدن تشبه مدن ألف ليلة وليلة، تتراءى للمسافرين وسط الصحراء كسراب مدينة بناها المردة والعفاريت. إنها مدن عجيبة موادها ليست من الأسمنت والحديد، ولم تبنَ بسواعد البنائين، بل هي مبنية من الرمل وسط كثبان رملية بواسطة كائنات دقيقة لا ترى بالعين المجردة. تحكي لنا ياسمين عبدالله عن هذا الحلم الغريب الذي لا يصدق: إنه حكاية بحث علمي بيئيّ منذ عام 2008م وهو يدغدغ أحلام الفارين من تصحر المدن وزحف الرمل.

إن مشكلة التصحر التي تواجه دول العالم الثالث تجعلهم عرضة للفقر والمجاعات، حيث يطمر الرمل الزروع. ففي الصحراء الكبرى في إفريقيا تزحف الكثبان الرملية بمعدل 600 متر شهرياً متجهة جنوباً، مخربة بذلك الأراضي الزراعية. ومهددة سكانها بالترحيل القسري بسبب التصحر.



صورة تخطيطية لفكرة مشروع جدار البكتيريا الذي سيوازي سور الصين طولاً، وتبدو فكرة الكهوف مكانًا مبدعًا للسكن.

إن التصحر يؤثر في بلدان عديدة، تشمل الجمهوريات السوفيتية في آسيا الوسطى والصين والصحراء الكبرى في جنوب إفريقيا. كما تهدد 140 مليون نسمة من سكان نيجيريا. ما جعل الرئيس النيجيري الأسبق أوليسيغون أوباسانغو يقوم في عام 2005م بطرح فكرة مشروع الحزام الأخضر الكبير، وهو حزام شجري وقائي للتصحر يمتد من موريتانيا في غرب القارة الإفريقية إلى جيبوتي شرق القارة، مروراً بمالي والسنغال والنيجر ونيجيريا. ويبلغ طوله 7 آلاف متر، وعرضه 15 كلم. لقد أبهرت هذه الفكرة الاتحاد الأوربي وتجمع دول الساحل والصحراء. فبدأ الرئيس السنغالي عام 2008م بالتشجير منفذاً، بذلك، الجزء الذي يخص بلاده، حيث يبلغ طول الحزام الشجري الخاص بالسنغال 515 كم.

أخذ ماغنوس فكرة استخدام البكتيريا من فريق باحث يعمل في جامعة كاليفورنيا ديفيس، حيث استخدموا هذه البكتيريا لترسيخ الأرض في المناطق المعرضة للزلازل

فكرة خلاقة وعجيبة

بما أن ثلث سكان الأرض هم ضحايا مهددون بشبح التصحر، فإن هذه الكارثة الرملية تحتاج إلى فكر خلّاق وروح مبدع لإنقاذ البشر بإنقاذ مواردهم الغذائية من خلال فكرة ذكية. حتى وإن بدت الفكرة غريبة بعض الشيء وغير قابلة للتصديق لدى كثير من الناس، ومثيرة للجدل في أوساط العلماء.

لقد مرت ثلاثة أعوام على البحث البيئي الذي قدمه المهندس المعماري ماغنوس لارسون كمشروع يحقق التكيف، في إطار هندسي، وذلك باستخدام المواد المتاحة في الطبيعة، مستجيباً للقضايا البيئية. لقد كان ماغنوس مهتماً بدراسة الاستراتيجيات التخفيفية التي تهتم بتصميم وبناء أجسام للحماية والتخفيف من الكوارث الطبيعية. وذلك بجعل الأماكن المعرضة للكوارث كالزلازل والطوفان مكيفة لتلقيها، لا أن تمنعها. وبما أن ماغنوس شدته الصحراء الممتدة بجمال رمالها الذهبية. فقد كان مشروعه يدور حول هذه الكثبان الرملية في الصحراء الكبرى التي يفر منها السكان الأصليون لاجئين إيكولوجيين خوفاً وهلعاً من أن تبتلعهم بمدها الذي يتسلل كتسلل حبات الرمل في الساعات الرملية. تتجلى فكرة ماغنوس في بناء جدار ضخم يضاهي سور الصين العظيم في طوله إذ يبلغ 6000 كم، قاسماً الصحراء الكبرى ممتداً من موريتانيا حتى جيبوتي، ومكملاً للحزام الأخضر الشجري، وليس بديلاً عنه. إن هذا الجدار سيبنى بأسلوب هندسي فذ، وبواسطة نوع من البكتيريا!

كيف يحدث هذا؟!

هل يستطيع مهندس معماري أن يحل مشكلة التصحر بواسطة بكتيريا؟! ويبني مدناً في الرمل ومن الرمل بمعاونة كائن لا يُرى بالعين المجردة ؟! تبدو الفكرة شبيهة بأفلام الخيال العلمي، لكن بحسب رأي مؤسسة هولسيم السويسرية المُصنعة للأسمنت، والتي تمنح كل عام جوائز للمهندسين الأكثر ابتكاراً، فقد منحت هذا الشاب السويدي جائزة عن مشروعه الذي أدهش لجنة التحكيم في المؤسسة، كما أدهش الخبراء الصينيين، فضلاً عن بقية العلماء والخبراء، وتحمسوا له علّه ينقذهم من مشكلة التصحر التي يعانونها في صحراء غوبي الشاسعة.

لقد أخذ ماغنوس فكرة استخدام البكتيريا من فريق من الباحثين يعملون في جامعة كاليفورنيا ديفيس، حيث استخدموا هذه البكتيريا لترسيخ الأرض في المناطق المعرضة للزلازل بجعلها رمالاً كونكريتية.. وتقوم فكرة لارسون على حقن الكثبان الرملية على نطاق واسع ببكتيريا عصيّات باستيوري، وذلك باستخدام بالونات مملوءة بها. وتنتج هذه البكتيريا كيميائياً الكالسيت، وهو نوع من البلورات الطبيعة التي تتجمع بفعل هذه العصيّات، وتنتج نوعاً من الأسمنت الطبيعي يجعل الأرض صلدة.

لا تحتاج المهمة، حسب عرض مارغنوس، سوى 1400 دقيقة ليُبنى جدار بطول 6000 كم، مشكلاً حاجزاً منيعاً ضد زحف الرمال.

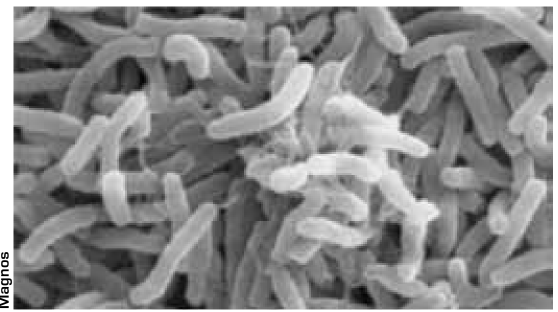
مدينة الرمل

لن يكون الحزام الشجري الأخضر الذي دعا إليه الرئيس النيجيري الأسبق بكافٍ للحماية من المد الرملي ما لم يكن هناك بشر يقومون بحمايته من غوائل البيئة المحيطة به، لذا كانت فكرة ماغنوس الهندسية، التي تقوم بناءً على هيكل يحضن هذه الأشجار ويحميها، فكرة منطقية إلى حد كبير. إن هذا البناء المستدام الذي سيعتمد على المواد المتاحة في الطبيعة سيوفر مأوى حياتياً للإنسان والكائنات الأخرى، حيث إنه يشبه الكهوف التي يغلفها الرمل الصلد، وذلك بفعل عصيّات باستيوري، حيث تدخل هذه الكائنات الدقيقة بين حبيبات الرمل وتتفاعل معها منتجة مادة السيليكايت التي تعمل كمادة لاصقة بين الحبيبات، ومشكلة، بذلك، جسماً صلباً يواجه الريح الصحراوية والرمل الزاحف. مما يتسنى لنا إقامة جدران تخفيفية مكونة بناءً صالحاً للسكن شبيهاً بالكهوف والهياكل التي تحضن الشجر. وتكون ذات جمال هندسي، حيث تمتد هذه الكهوف والهياكل متراصة في جدار عريض أشبه ببناء ضخم بلا فاصل تتوزع بينه الأشجار والتجاويف الجمالية. كما يمكن نشر هذه البكتيريا على الطبقة السطحية



Magnos

صورة جوية شبه حقيقية للواحات الجديدة المبنية داخل هياكل رملية.



Magnos

تحت المجهر تبدو بكتيريا عصيّات باستيوري المنقذ المستقبلي من كارثة التصحر.

للصحراء لتكون الأرض صلدة تقوم مقام الأسفلت في المدن، وتخفف من ضرر العواصف الرملية. مما يجعل هذه البقعة التي حول الجدار الحاجز أشبه بواحة خيالية، تتوافر فيها جميع المرافق من منازل صالحة للسكن، ومدارس، ومستشفيات، ومطاعم. وربما كان في جزء من هذا الجدار منتجعات صحراوية ساحرة. إن هذا الجدار سيغدو وسيلة هندسية فريدة لربط الدول الصحراوية ببعضها من خلال هذه الواحات الخلابة، وكل هذا سيتم بفعل كائنات لا تُرى بالعين المجردة!

التصميم الهندسي

خلال 1400 دقيقة تستطيع أن تتحول الكثبان الرملية إلى تحف معمارية. وتتحول الصحراء إلى واحات خضراء. وبسبب فعل بيلوجي ناشئ عن اتحاد البكتيريا مع الرمل تقف هذه التكوينات الهندسية في طريق الكثبان قاطعة عليها الطريق. كما أن ماغنوس اختار لهذه التكوينات أشكالاً تشبه البيئة من حيث التجاويف في الجبال بفعل عوامل التعرية، أو ما يشبه الصخور الغائرة والمدفونة في الرمل. ويذكر ماغنوس أن هذه الحبيبات المتلاصقة بالإمكان أن تُبنى منها تفاصيل دقيقة تشبه بتفاصيلها الكنائس القوطية. لكنه يؤمن بأن شكل التصميم يجب أن يتوافق مع البيئة المحيطة به، ليضيف على الصحراء مدناً ذات بُعد درامي وخيالي لتلوح من بعيد مدناً حقيقية يحسبها المسافر سراباً.

قصة ابتكار
الكمبيوتر

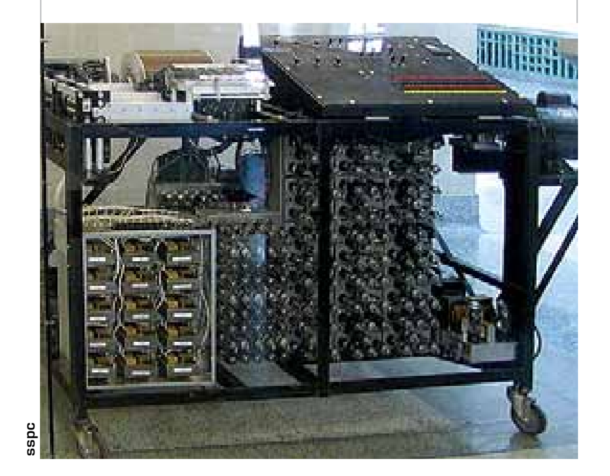
كلمة حاسوب «كمبيوتر» لم يعد لها تلك الدلالة الكافية لتصف أجهزة فائقة السرعة والقوة، وإذ كانت قد انطبقت على الآلات الحاسبة القديمة والكمبيوترات في بدايات عهدها، إلا أنها لا يمكن أن تصف عقلاً إلكترونياً جباراً وصل بسرعته ودقته إلى 3 بيتا فلبس، أي 3 تريليونات عملية حسابية في الثانية الواحدة.

كمبيوتر كونارد (Z)

المخترع كونارد زوس، مهندس البناء الألماني من (1910م - 1995م) الذي كان يعمل لدى شركة هانشل للطائرات في برلين، قام ببناء سلسلة من الآلات الحاسبة الميكانيكية لتساعده على حساباته الهندسية، فكانت بمنزلة البذرة الأولى للكمبيوترات.

وفي عام 1939م، أتم زوس بناء (z2) الكهروميكانيكي ويُعدُّ أكثر تكاملاً وأقرب للكمبيوتر الحقيقي من (z1)، ثم بعزيمة وثَّابة أتم (z3) عام 1941م، الذي يُعدُّ الكمبيوتر الرقمي الأول في العالم القابل للبرمجة، استناداً إلى نظام التحويل، وقام بتطويره حتى وصل به تقريباً إلى كل سمات الكمبيوتر التقليدي باستثناء القدرة على تخزين البرامج في الذاكرة مع البيانات في الوقت نفسه، لأن سعة ذاكرة (z3) كانت فقط 64 كلمة، وكتب كونراد أول لغة برمجة حسابية (بلانكالكول) واستخدمها لعمل أول برنامج ألعاب في العالم (لعبة الشطرنج).

وعندما فشل زوس في إقناع الحزب النازي لظروف الحرب العالمية في تبني مشروع بناء كمبيوتر على أساس الصمامات الإلكترونية، هرب خلسة ومعه جهاز (z4) غير المكتمل في شاحنة عسكرية من ألمانيا إلى سويسرا، حيث أكمل بناء (z4) في معهد زيوريخ التقني، وكان لـ(z4) ذاكرة ميكانيكية سعة 1024 كلمة، وذات قدرة على قراءة بطاقات عدة في وقت واحد. كما استخدم هذا الكمبيوتر تقنية البطاقات المثقوبة (punched cards)، وبرامج مرنة أخرى أعطته القدرة على ترجمة العناوين وما أشبه. والطريف أن المعهد استمر في استخدام هذا الكمبيوتر حتى عام 1955م.


sspc

كمبيوتر أتنسوف وباري

قام كل من البروفيسور جون أتنسوف وأحد طلبة الدراسات العليا كليفورد باري على مدى 3 أعوام ما بين 1939م - 1942م، ببناء أول كمبيوتر إلكتروني رقمي في العالم في جامعة أيوا الأمريكية، وحمل هذا الكمبيوتر ابتكارات حاسوبية عدة جديدة بما فيها النظام الثنائي الخوارزمي، والمكثفات، والمعالجة المتوازية، أي أنه يمكنه معالجة موضوعين في الوقت نفسه، والذاكرة المتجددة وتشبه ذاكرة «الكاش» في الوقت الحالي. وتم فيه الفصل بين الذاكرة ووظائف الحوسبة، واستخدمت فيه الأنابيب المفرغة (vacuum tubs) لأول مرة، وكان عددها 300 أنبوب، واستند إلى الأرقام الثنائية.

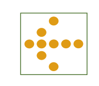
وأمضى العالمان عامين آخرين في تطوير كمبيوترهما حتى وصل وزنه إلى أكثر من 300 كيلوغرام، ووصلت قدرته إلى معالجة عملية حسابية كل 15 ثانية. ويعد ذلك بطيئاً جداً في مقاييس اليوم التي وصلت بها الحاسوبات العادية إلى معالجة 150 مليار عملية حسابية في كل 15 ثانية وتزيد.

مارك ون (MARK 1)

في عام 1944، وبتمويل من آي بي إم (IBM)، قام كل من هوارد آيكن وزميلته جريس هوبر في جامعة هارفارد الأمريكية بتصميم سلسلة مارك (mark) وبنائها ابتداء بمارك ون (mark1) وكان بحجم شاحنة كبيرة بطول 17 متراً وارتفاع 2.5 متر، وبوزن 5 أطنان. وبنى مارك ون من 750.000 قطعة، واستخدمته البحرية الأميركية لإجراء حسابات العمليات الصاروخية والمدفعية حتى عام 1959م.

شركات الكمبيوتر

دخلت الشركات الإلكترونية على خط التصنيع وبدأت تطور أجهزة الكمبيوتر حتى يومنا هذا، إذ تعددت الخيارات بين الأجهزة المتطورة جداً.



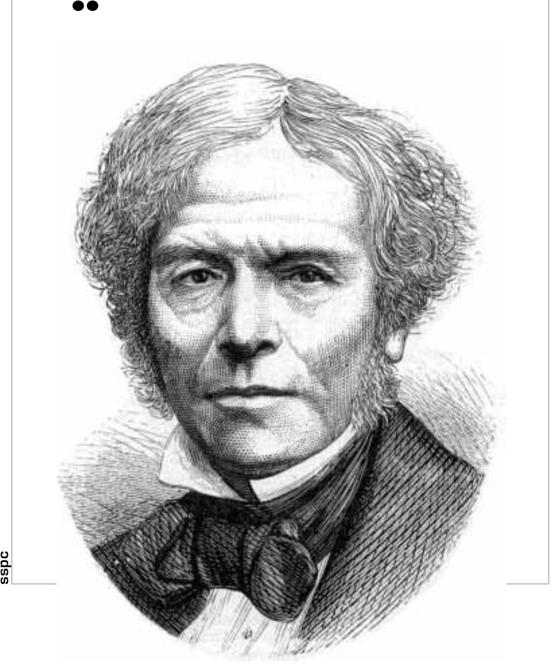
الحديث عن هذا العالم يصعب اختزاله في إطار ضيِّق، بيد أن أطروحاته ونظرياته واختراعاته لا شك في أنها أثَّرَت الحياة المعاصرة، وأعادت صياغة الوعي والذهنيَّة العلميَّة على نطاق العَالَم.

وُلد مايكل فاراداي عام 1791م في جنوب لندن، ولم تسمح له أوضاع عائلته الفقيرة من إكمال تعليمه، لذا لم يتلقَّ فاراداي سوى الأساسيات والحدود الدُّنيا من التعليم. وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره عمل مُجَلِّداً للكتب عند رجل يقال له جورج روبي، ممّا أتاح له فرصة قراءة العديد من الكتب العلميَّة التي كان شغُوفاً بها حَدَّ الهوس طوال مدة عمله التي دامت سبع سنوات. وعندما أتمَّ مايكل عامه العشرين وهو ما زال بعدُ في متّجر الكتب واظب على حضور محاضرات همفري دافي العالم الكيميائي المعروف، وذلك في المؤسسة الملكية، ثم قام باختصار ما قاله دافي في محاضراته في كتاب من 300 صفحة وأهداه إلى دافي نفسه. وقد أثار هذا العمل دهشة العالم وإعجابه، وقرر تعيين مايكل فاراداي مساعداً له.

وصادف أن سافر فاراداي مرة مع العالم ديفي في جوله شملت قارة أوروبا بعد ما قرر الأخير اصطحابه معه، وبحكم أن فاراداي لم يكن من طبقه النُبَلاء لذا وجد في رحلته تلك أنواع المهانة والازدراء خصوصاً من قبل زوجة دافي قاسية القلب، فكان لذلك وقع سيِّئ في نفس فاراداي، وأراد العودة إلى موطنه وترك العلم والعلماء إلى غير رجعة.

قصة مبتكر

مايكل فاراداي



ssps

أبرز إنجازاته العلميَّة

عُرف فاراداي بأعماله الكهربائيَّة والمغناطيسيَّة، واكتشافه لطريقة توليد الكهرباء جاء عفويّاً، وذلك عندما قام بلفِّ سلكين معزولين على حلقة من الحديد ولاحظ أنه عند تمرير تيار كهربائي خلال أحد السلكين فإن تياراً قصيراً يمر خلال السلك الآخر وهو غير متصل بالكهرباء، هذه الظاهرة تعرف بظاهرة الحث المتبادل. ولاحظ، أيضاً، أنه عندما يمرر مغناطيساً داخل لفافة أسلاك عارية، فإن الكهرباء تتدفق داخلها، وكانت تلك التجربة كافية لقدح مكامن عبقريته ليبدأ سلسلة من التجارب كان من نتيجتها اختراعه «الدينمو الكهربائي» أبا مولدات الكهرباء التي كان لها الدور الأكبر في صياغة العصر الحديث بجميع أبعاده. وكان له باع طويل في حقل الكيمياء. كما أنه أول من اكتشف البنزين واخترع آلة لحرقه، وأول من وضع أسس الكهرومغناطيسيَّة، وقوانين التحليل الكهربائي، ومن جعل الكهرباء طاقة يستفاد منها واكتشف أرقام الأكسدة.

يُعدُّ فاراداي المكتشف الأول لظاهرة الجزيئات الفلزية النانوية، والتي تمخَّض عنها ما يعرف اليوم بتقنية الصغائر أو المنمنمات التي تتعامل مع آليات وهياكل بحجم 1 إلى 100نانوميتر، ويُعدُّ رائداً من رواد نظرية الكهرومغناطيسيَّة الحديثة، وواضع الأسس لتحديد الضوء كظاهرة كهرومغناطيسيَّة. وقد ساهمت اكتشافاته- إلى حد كبير- في الوصول فيما بعد إلى اكتشاف الإلكترون وهيكل الذرة.

وقد أثْرَت اختراعات فاراداي الحياة المعاصرة، وما زال طلبة الأقسام العلميَّة يخوضون في: تأثيرات فاراداي، وقوانين فاراداي، وقفص فاراداي، وثابت فاراداي، وموجة فاراداي، وعجلة فاراداي... إلى نهاية قائمة طويلة من المسميات العلميَّة التي تحمل اسمه. وعندما تزور مدينة لندن تفاجأ بتكرار اسم فاراداي في كل زاوية من زواياها، فهناك تمثال فاراداي، وحديقة فاراداي، وشارع فاراداي، ومحطة فاراداي.. وغيرها كثير.

وفاته

تُوفِّي مايكل فاراداي في همبتون كورت عام 1867م وقد ناهز السادسة والسبعين من العمر بعد معاناة من المرض. وهكذا مات هذا العبقري دون وريث يرثه، إذ تزوج مرة واحدة وكان ذلك عام 1821م من سارة برنارد ولم يرزق منها بولد. من مآثر هذا العبقري تخصيصه لمساء يوم الجمعة من كل أسبوع لإلقاء محاضراته العلميَّة للفقراء.

اطلب العلم

تتمتع منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بميزة ديموغرافية (سكانية)، وتحظى بفرصة سانحة للاستفادة من إمكانات العدد الكبير والمتنامي من السكان الشباب. ولكن من أجل الاستفادة من هذا المصدر الإنتاجي والاستهلاكي في آن، يجب التصدي للبطالة التي تهدد هذه الشريحة السكانية وتوجيه الإمكانات الضخمة لهؤلاء الشباب.

في شتى أنحاء العالم يتوق الناس للحفاظ على شبابهم– ومرحلة الشباب حقبة من العمر يربطها معظمنا بالإمكانات والطاقة والنشاط والحيوية– ويمثل الجيل الشاب (ما بين 15– 24 سنة حسب تعريف الأمم المتحدة)، واحداً من أكبر مصادر قوة أي بلد، فهم الوعد المأمول بالإنتاجية، والاستهلاك الطويل الأجل، كما يمثّلون العاملَ الداعم للبرامج والخطط التقاعدية، والدينامية الإبداعية والاجتماعية.

تحدي البطالة.. والاستثمارات

لكن العدد الكبير من السكان الشباب يمثل أيضاً تحديات لواضعي الاستراتيجيات، فهناك حاجة إلى الاستثمار في التعليم، والتدريب المهني، وتنمية المهارات، والفرص التجارية المبادرة، وإيجاد فرص العمل، ودعم البحث عن وظائف للشباب. وهذا يعني في دلالته أيضاً العمل على ضم أولئك القادمين من خلفيات– اقتصادية واجتماعية– فقيرة، والاستفادة من الإمكانية الإنتاجية للشابات إلى جانب الشبان. وهذه أمور جوهرية لضمان أن يحصل هؤلاء على ما يحتاجون إليه ليصبحوا أعضاء فاعلين ومشاركين في الأسرة، والمجتمع، والاقتصاد عموماً. ويُعَدُّ ذلك تحدياً يواجه جميع البلدان التي ترتفع فيها نسبة البطالة بين الشباب، لكنه يُعَدُّ تحدياً حاسمَ الأهمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا وهو تحدٍّ ملِحٌّ أيضاً يجب مواجهته دون إبطاء.

ووفقاً لمنظمة العمل الدولية، فقد فاقمت الأزمةُ الاقتصادية تحدي البطالة بين الشباب، إذ بلغ عدد العاطلين منهم 81 مليوناً بنهاية عام 2009م، أي بزيادة قدرها 8.7 مليون عاطل مقارنةً بعام 2007م. وتعاني منطقتا الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أعلى معدلات البطالة بين الشباب في العالم. فواحدٌ من بين كلِّ خمسة شبان من القوة العاملة في المنطقة عجز عن العثور على عمل عام 2008م. في حين ستبدأ نسبةُ البطالة بين الشباب في الانخفاض في مناطق العالم الأخرى كلِّها في العام الحالي 2011م. ومن المتوقع أن تستمر النسبة في الارتفاع.

من المؤكد أن التعافي من الأزمة الاقتصادية سيتطلب وقتاً أطول بالنسبة للشباب مقارنةً بالبالغين. ومع محاولة الشباب عبور المرحلة الانتقالية بين الدراسة والعمل، لا سيما في البلدان النامية، يخضعُ كثيرٌ منهم لشروط عمل سيئة وعقود غير مستقرة بأجور متدنية. وعندما تَقلُّ الفرص وتندر يرتبط عددٌ متعاظم من الشباب الساخطين بارتفاع معدلات الجريمة، وأعمال العنف، والاضطراب السياسي. ومع استمرار أعداد السكان الشباب في الارتفاع في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فمن الضروري تيقن حصول المنضمين الجدد إلى سوق العمل على الفرص المناسبة للعمل في وظائف لائقة.

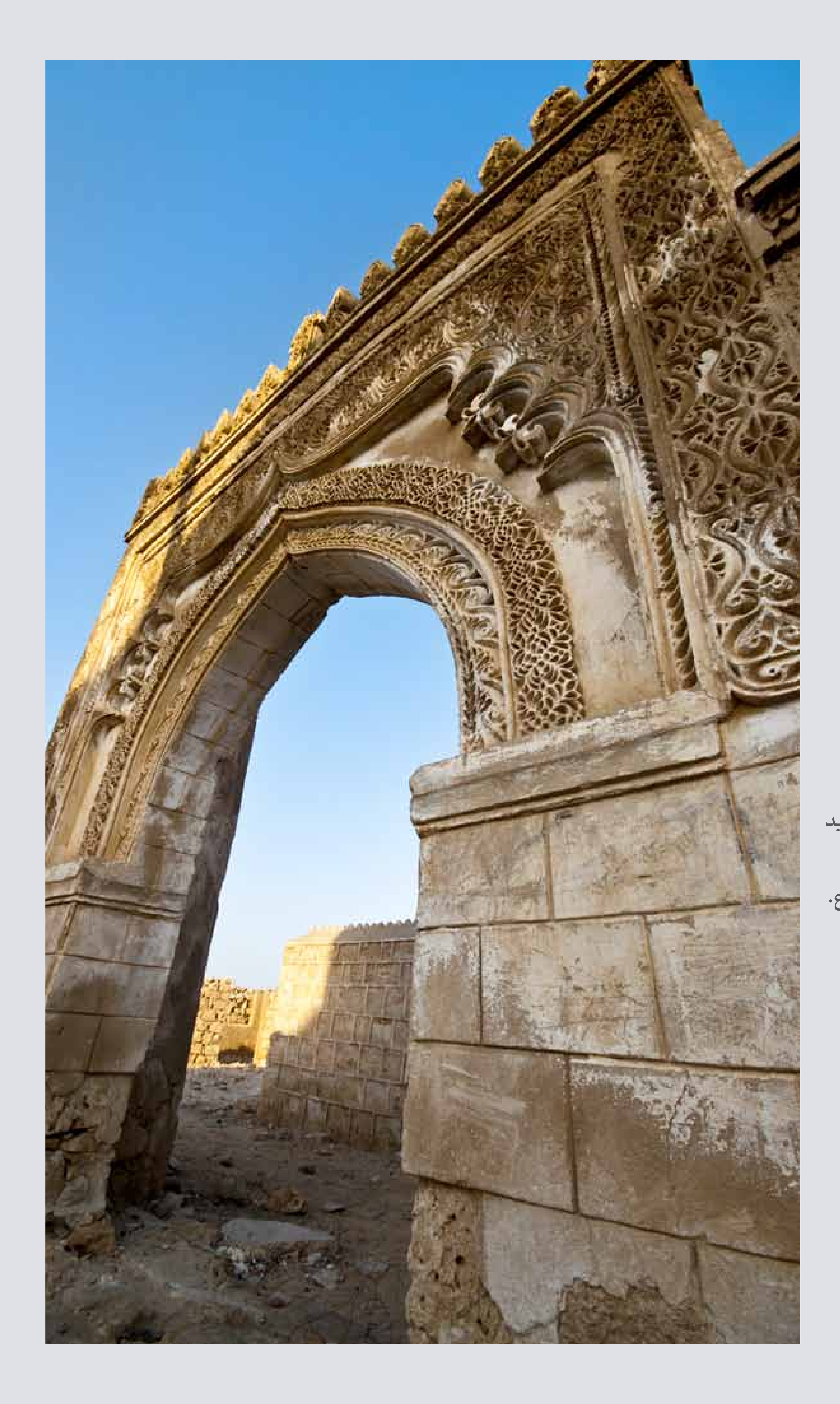
ويجب أن تضع الدول خطط عمل محددة لإيجاد فرص عمل للشباب، وتسهيل المرحلة الانتقالية من الدراسة إلى العمل. ويشمل ذلك تنفيذ برامج تركِّز على التعليم، والتدريب المهني، وتحسين المهارات، فضلاً عن التدريب المهني والحرَفي للشباب، مع توجيه اهتمام خاص بضمِّ الشباب من الطبقَات المحرومة والشابات. يمكن للتقنية أيضاً أن تمثل مصدراً قوياً ومؤثراً في هذا الجهد. فمع قليل من الإبداع والعزم، يمكن استخدام الهواتف الخلوية مثلاً وسائل، وأدوات، للجمع بين الشباب العاطلين وفرص العمل المتوافرة المناسبة لهم. كما يمكن للتقنية أن تساعد في جَمع البيانات والمعطيات وتوسيع قاعدة المعلومات المتعلقة بالسكان الشباب في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وبينما تعاني بلدانٌ مثل: الولايات المتحدة وألمانيا والصين مشكلةَ شيخوخة السكان، يتمتع الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بميزة وفرصة لَلاستفادة من إمكانات العدد الكبير والمتنامي من السكان الشباب. إذ يُمثِّل الشبابُ الوعدَ المأمول بدفع عجلة الاقتصاد قدماً، أو تحدي خسارة هذه الإمكانيات والقدرات. لكن مفتاحَ تحويل تحدي البطالة بين الشباب إلى وعد مأمول هو: صياغةُ سياسات رشيدة وتوظيف الاستثمارات الضرورية في الشباب.

سابينا ديوان

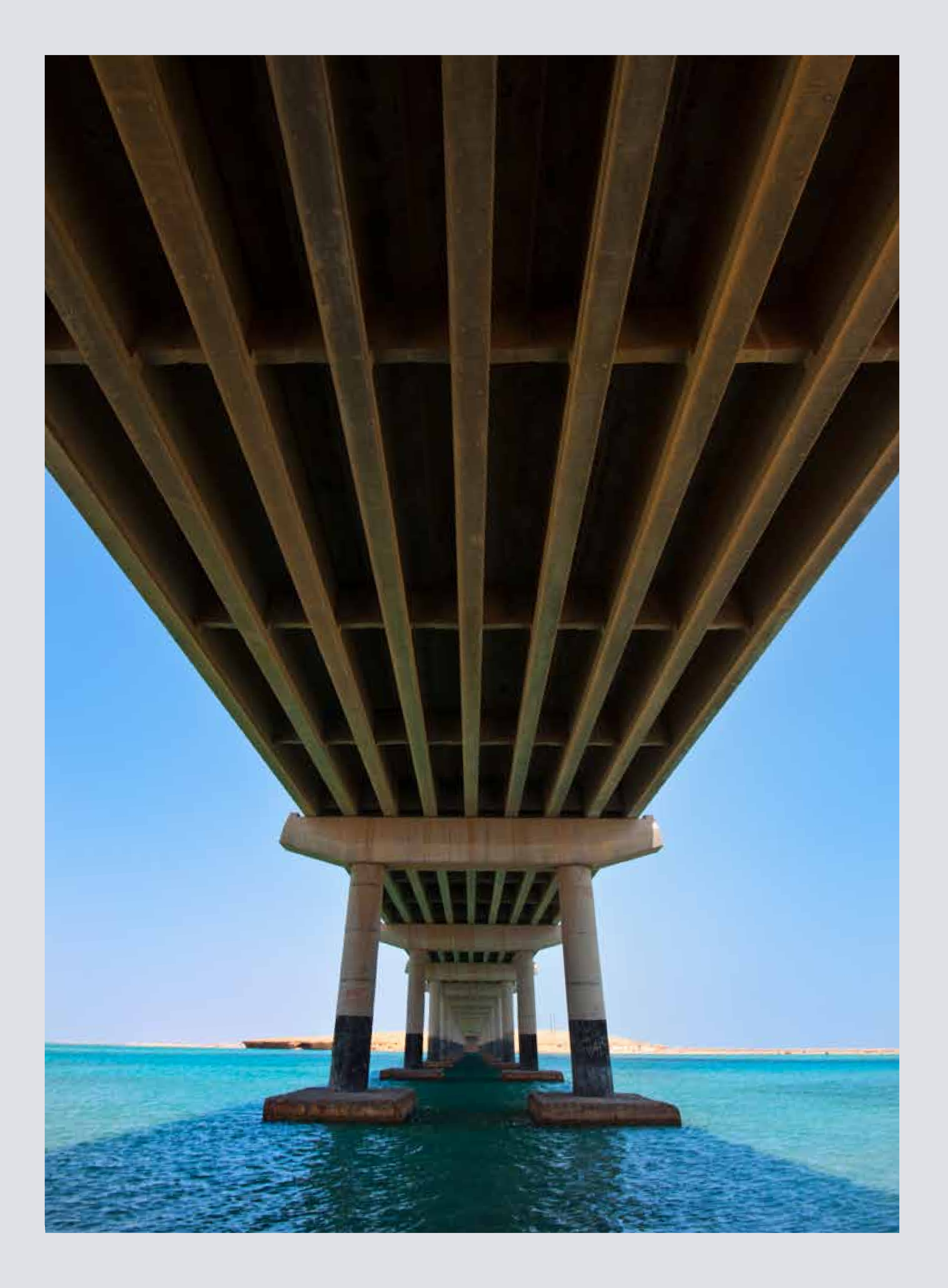
مديرة مساعدة للسياسة الاقتصادية الدولية في مؤسسة أمريكان بروغرس.

حسن جبران معشي



فرسان

من باب الشمس
تتهادى حكايا البحر
تستريح على الشواطئ،
وتصعد قلاعاً عثمانية،
وتمر على جسرٍ
يربط الجزر ببعضها.
في فرسان
البحر.. والطير.. والحريد
يطل الطير من البحر!
وتطل الذكرى من القلاع.
بينما نستريح نحن
من العناء
على شاطئ الرمل،
ننتظر الأحبة
لنمد..
جسراً من وداد.
ع. ف







حسن جبران معشي

مُصوِّر سعودي من مواليد منطقة جازان، حاصل على دورات تدريبية في التصوير الفوتوغرافي، وحاصل على عدد من الشهادات التقديرية، عضو في الجمعية السعودية للتصوير الضوئي. أقام عدداً من المعارض وأشرف على بعضها الآخر، منها المعرض الفوتوغرافي الثاني لجمعية الثقافة والفنون بجازان، والمعرض الفوتوغرافي بمناسبة اليوم الوطني لدولة الفيليبين، وذلك بتنظيم من سفارة الفيليبين في العاصمة الرياض.







الحب على الطريقة الجزائرية

أعترف أن الرجل الجزائري بخيل في التعبير عن مشاعره للمرأة، وهذا البخل غير مقصود، هو لا يعي بوجود هذه الصفة لديه، والمرأة بطبيعتها تعبيرية، تحب سماع الكلام الرومانسي الجميل، لكنها اعتادت صمته وأخمدت احتياجها إلى كلمات الحب في بهو اليأس، وإذا حدث منه ضجيج جميل قد تندهش ولا تصدق، بل وتشعر بارتياب إزاء اعترافاته.

ربما هذا ما آلت إليه تركيبة الرجل الجزائري في مجتمع أهمل أو تجاهل أهمية التعبير عن الأحاسيس الجميلة للمرأة، ومكانة التواصل والبوح اللذين يفتحان فضاءً أنيقاً من الارتياح النفسي اللذيذ وحديقة ياسمين من التوافق العشقي. أو ربما لأن المجتمع الجزائري على مر الزمن لم يكن لديه الوقت لترصيف الكلمات وخلق قاموس مفردات رقيقة تليق بالمرأة الجزائرية يهديه لها عندما يكون في حالة إعجاب أو حب، ذلك لأنه أمضى وقته في الدفاع عن الوطن من كل أنواع الغزوات التي تصب في جغرافيته.

وهنا أتذكر مقالاً للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي حيث قالت، على سبيل النكتة، إن الرجل الجزائري مكث إبان الثورة الجزائرية مدافعاً عن وطنه ضد الاستعمار الفرنسي وساندته في ذلك المناضلة الجزائرية، ولتعتيم حالة الانجذاب الطبيعي كانت لغة الحوار بينهما تبدأ بأخي وأختي فأصبح المجتمع الجزائري بعد الاستقلال يتكون من إخوة وأخوات فهذا هو القاموس الذي خلَّفه الاستعمار.

إن تعبير الرجل للمرأة عن المشاعر، مهما كانت صغيرة، مفعولها بمنزلة «الجداول التي تصنع الأنهر العظيمة»، ولا ألوم هذا الجزائري الذي يعاني الخيبة التعبيرية، فهو لم يرث من أجداده سوى لغة النضال والدفاع عن أرضه، وكيف يتمرد على المتحكم به، مهملاً لغة التخاطب عن الحب بين الرجل والمرأة ولم يفكر في تطويرها. على عكس الرجل المشرقي الذي لم يرث كفاحاً تاريخياً جيداً فحسب، بل ورث، أيضاً، قاموساً عاطفياً في فن مغازلة المحبوبة والزوجة.

وإذا أراد الجزائري أن يشاكس عن حب أو يعاقب زوجته أو أخته أو كل أنثى تدور في فلكه، يكفيه أن يغلق جهاز التلفاز على أحد المسلسلات المصرية أو التركية المدبلجة بلهجة شامية مغرية، لتحدث الكارثة في بيته، لأن المرأة الجزائرية تتعطش لسماع كلمات حب، فتظل تبحث وتقلِّب عنها في القنوات المليئة بهذه المسلسلات التي قد تروي ظمأها.

وإذا أراد الجزائري أن يغازل حبيبته تجده يلجأ إلى لغة أخرى ولتكن الفرنسية، بوصفها غنيمة حرب، وما تحويه من مفردات أنيقة، وكم هو رائع هذا الجزائري في حبه بلغة «فولتير»، وكم هو مبدع في اقتناء أرق الكلمات وأعذبها مذاقاً إلى قلب المرأة بعدما عجزت اللهجة الجزائرية عن مواكبة تطور مفردات العشق وفي التعبير عن الحب! أما إذا لم يجد الجزائري غير لهجته للتحدث عن مشاعره، فلا تفوِّتي أيتها الجزائرية فرصة التأمل في وجهه، إنها مناسبتك للنيل من عينيه اللتين أرهقتاك إرهاقاً جميلاً، فالحب يستحق العناء، ستجدين وجهه يتصبب عرقاً، وهذا ليس خجلاً ولكن بسبب الكبرياء، فالاعتراف بالحب عند الجزائري مسألة كرامة، إنها لحظة انعدام توازن أمام إعلانه عن حبك، والفاصلة بين البوح والشعور تشعره بخلل في رجولته، كأنه فقد شيئاً منها لأنه أظهر ضعفه، وربما لو خيَّروه بين الاعتراف بالحب والحرب لاختار جبهة الحرب!

نعم، سيفضِّل مقاومة الاحتلال على الاعتراف باحتلالك لقلبه، ورغم ذلك فالجزائري كائن عاطفي جداً، وحينما يكون في حالة حب فهو عملي يقدم الفعل قبل القول ليبرهن عن حبه. فانتظري أيتها الجزائرية أدوية الصداع العشقي بدل الكلمات الشافية للصداع!

تمنيت بعد هذا التلاحم الكوني، وعصر الفضائيات، وتعدد اللهجات، أن ينتبه الجزائري ويتعلم ويملأ قاموسه بمفردات الحب. وفي كل مرة أزور الجزائر أجد قائمة من مصطلحات جديدة في اللهجة الجزائرية أحرص على تدوينها وفهمها وحفظها ثم أصعق لما أكتشف معانيها، فمفردات الحب لم تتطور كثيراً وحتى البدائل عبارة عن شفرات سرية لا يفهمها إلا الجيل الجديد. وهكذا تظل لهجتنا تعاني إفلاساً عاطفياً ولغزاً محيراً حتى إذا أحدث صوت وأناب عن الصمت المعهود يصعب حله.

ندى مهري
شاعرة وقاصة جزائرية


shutterstock.com

أيتها الشاشة.. رفقاً بنا!



تخيل.. لو استيقظت صباحاً لتجد أن الشاشات بجميع أنواعها وأحجامها قد اختفت من حياتنا.. يا ترى ماذا سيحل بالعالم؟! هذه ليست فكرة فلم سينمائي إنما رحلة مع فريق القافلة للتخيل والتعرف على أثر هذه الشاشات في حياتنا اليومية.

هل نستطيع أن نتخلص من هيمنتها الطاغية علينا؟ وهل هذه الهيمنة مشروعة، أم تحتاج منا إلى انتفاضة وإعادة ترتيب لحياتنا؟ هل الخوف من الشاشة وأضرارها مبرر، أم هو خوف لا داعي له؟ دعونا نجوب بكم في عالم الشاشات السحري لنتعرف على مدى هيمنة ذلك الناقل للصور والحديث المكتوب على حياتنا اليومية.



الشاشة كائن مهم في حياتنا اليومية بدءاً من التسلية والمراقبة ولغة الأرقام.

لم تعد الشاشة حكراً على جهاز التلفاز الذي أبهر العالم في بدايات القرن العشرين، بل أصبحت جزءاً من الهاتف النقال، وجهاز الحاسب، والآي باد، وأجهزة كاميرات المراقبة بأنواعها، وشاشات البورصة، وشاشات المطارات. فهي جميعها نوافذ تنقل إلينا الصور والحدث، وتحاصر حياتنا اليومية، سواء في العمل، أو الترفيه، أو التواصل الاجتماعي.

ماذا لو اختفت جميع هذه الشاشات من حياتنا بدءاً من شاشة التلفاز المثيرة، فلم يعد باستطاعتنا أن نرى تلك الصور الحية، أو نتابع بالصورة مسلسلاتنا المفضلة..؟! ماذا لو اختفت شاشة الهاتف النقال فلم يعد يظهر أمامنا رقم المتصل، ولا الرسائل النصية؟! حتى لوحة المفاتيح «الكيبورد» لم يعد لها قيمة مع غياب شاشة جهاز الحاسب

shutterstock.com



الشاشة العملاقة..
قلب أعمال أرامكو النابض

لعل شاشة مركز تنسيق الأعمال التابع لشركة أرامكو السعودية في الظهران من أكبر شاشات المتابعة اليومية التي لا غنى عنها في حياة شركة نفطية عملاقة، إذ تمثل العصب الرئيس في التحكم بأعمال الزيت والغاز، كما تعرض هذه الشاشة خمسة جوانب حيوية مهمة، وهي: شبكة الزيت الخام، شبكة الغاز وسوائل الغاز الطبيعي، تخطيط أعمال الفرض وجدولتها، شبكة المنتجات المكررة، وشبكة الطاقة الكهربائية.

تم إنجاز هذه الشاشة في عام 2005م بحجم عملاق، إذ بلغ طولها 67 متراً وعرضها ثلاثة أمتار. كما تتكون من 150 شاشة عرض، ويتم التحكم في كل شاشة من هذه الشاشات الجدارية بشكل منفرد بوساطة الكومبيوتر الشخصي. ولقد صُمِّمت هذه الشاشة معتمدة على تقنية معالجة ضوئية رقمية، فالصور فيها تتشكل عن طريق عكس الضوء من خلال مرايا صغيرة، يخترقها الضوء المعكوس، وهذه الشاشات المئة والخمسون متصلة ببعضها مُكونة شاشة أعمال عملاقة ضخمة.

الجدير بالذكر أن هذه الشاشة تعمل طوال اليوم دون توقف، وذلك باستعمال أجهزة كومبيوتر وبرامج مراقبة مختارة بعناية.

shutterstock.com

التي من خلالها نتواصل عملاً وترفيهاً ومعرفةً. ماذا لو لم يعد للآي باد شاشة؟! حتماً، سيتحول إلى مجرد لوح أسود. حتى الشاشات في صالات البورصة ستتحول إلى صناديق فارغة! وفي المطارات ستحل الفوضى والأسئلة عن تلك الرحلات القادمة والرحلات المغادرة. حتى كاميرات المراقبة المعلقة على أبواب البيوت لن تجدي نفعاً، ففي ظل غياب الشاشة لن تستطيع أن تنقل صورة من يقف أمام باب بيتك والتعرف على هويته.

عندما تختفي الشاشة بحلوها ومُرِّها، حتماً، ستختفي أشياء كثيرة من حياتنا. وسنصاب بالعمى الجزئي! فجزء كبير من الرؤية في حياتنا يعتمد على الشاشات التي هي المعبر إلى هذه الرؤية التي اختفت، وحل محلها الفراغ. فلم نعد نستطيع أن نرى إلاّ ما يواجهنا حقيقة.

ماذا تعني الشاشة؟!

من خلال نظرة سريعة وفاحصة على محتويات بيتك تكتشف أن هناك أجهزة كثيرة مزودة بشاشات لإظهار الصورة أو الأرقام والحروف. تُعد بمنزلة نافذة سحرية عجيبة تنقل لنا ما يجعل حياتنا، أحياناً، أكثر سهولة وراحة. فجهاز الميكرويف ماذا يعني لو لم يكن مزوداً بشاشة مؤقِّتة! فالشاشة تبين أنه ربما كان للثانية فيه فعل الاحتراق. إننا في حياتنا محكومون بمتابعة الشاشة، سواء كانت شاشة تلفاز ينقل الأخبار المروعة، أو شاشة ميكرويف يسخن لنا طبقاً بارداً، أو في انتظار مكالمة مهمة تضيء شاشة الهاتف بالرقم. لقد باتت الشاشة صديقنا اللصيق، سواء كنا في المكتب، أو في المنزل.. في السيارة، أو في أكثر الأماكن حميمية.

كما أن الشاشات فرضت علينا نوعاً من السلوك ونحن نواجهها يومياً، كالصمت والتركيز، والتأمل. وأصبح لشاشات الهاتف النقال استخدامات كإضاءة الطريق في العتمة! كما أنها قد ملأت أوقات الفراغ لدى بعضنا. لكنها، ربما، أضاعت أوقاتاً مهمة في حياة بعضنا الآخر. إن الشاشة تعني شيئاً كبيراً في حياتنا. فهي الصديق عندما يعز الأصدقاء، وهي النافذة التي تفتح مصراعيها لتسعدنا وتبهرنا بالرؤية.

يوم دون شاشة

لو قررنا يوماً أن نعيش دون شاشات نواجهها..يا ترى ماذا ستكون البدائل؟! في بعض الحالات ستكون البدائل مفيدة للصحة والتواصل الاجتماعي كبديل التلفاز، مثلاً. بينما ستكون بدائل شاشة جهاز الحاسب فادحة على صعيد العمل. أما بدائل شاشات الهاتف وكاميرات المراقبة



مع مرور الزمن تطورت الشاشات، وتعددت استخدامها فلم تعد حكراً على أجهزة التلفاز بل أصبحت جزءاً أساسياً في أجهزة عديدة نستخدمها يومياً.

والبورصة وشاشات المطارات فستكون، حتماً، مربكة. هل نستطيع أن نعيش دون شاشة؟! سؤال يثيره ما يقال عن الشاشات وضررها الصحي والاجتماعي.

إن يوماً واحداً دون شاشة سيغير حياة الأطباء والمهندسين والمديرين والطلاب حتى ربات البيوت. ربما اختفت البهجة من يومهن في يوم اختفاء الشاشة. ستكثر الأخطاء وستؤجل الأعمال.. سينزل مؤشر البورصة، وتغادر الرحلات الجوية بأقل من المطلوب هذا إن غادرت في غياب شاشات كبينة القيادة في الطائرة.



بيرد في أثناء تجارب جهاز التلفاز

أنواع الشاشات وتاريخها

الأسكتلندي جون لوجي بيرد(1888-1946م) والذي كان يعمل مهندساً كهربائياً استطاع أن يغيّر حياة الناس ونمطها، وذلك باختراعه جهاز التلفاز، إذ يبث صوراً متعددة من خلال شاشة فضية. لقد كانت الشاشة الفضية هي نقطة الانطلاق نحو الشاشات المختلفة الأنواع والأحجام والأغراض. فالشاشة تختصر السؤال والجمل، إذ تنقل الصورة فتغني عن مئات الكلمات. كما تختصر لنا الوقت الذي نقضيه في الوصول إلى المعرفة.

مع مرور الزمن تطورت الشاشات، وتعددت استخدامها فلم تعد حكراً على أجهزة التلفاز. بل أصبحت جزءاً أساسياً في أجهزة عديدة نستخدمها يومياً. لذا تتسابق شركات الصناعة الدقيقة في تصنيعها واستحداث الجديد منها ملغيَةً ما قبلها بمميزات أشمل وأكثر جدة. تتنوع شاشات ما بين شاشات «إل سي دي» و«أو إل اي دي» في حين أن الأولى تعتمد على اثنين من الفلاتر من مادة مستقطبة بينهما محلول من الكريستال السائل. وعندما يمر التيار الكهربائي خلال السائل الكريستالي يتحول الضوء لصورة أو رمز أو إشارة. وتتكون الشاشة من بكسل عبارة عن نقاط من الألوان أو الضوء. يستعمل هذا النوع من الشاشات في جهاز التلفاز والهواتف النقالة والساعات المؤقِّتة وشاشات الحاسب. وشاشات الكريستال الملونة تنقسم إلى قسمين: الأول: نسيج خامل إس تي إن وهي أقل كلفة، ونسيج فعال تي إف تي، وهذا النوع يظهر الصورة بشكل أكثر جودة.

أما النوع الثاني فهو شاشات أو إل اي دي المضيئة بذاتها ولا تحتاج إلى إضاءة خلفية، وزاوية الرؤية فيها كبيرة تصل إلى 160 درجة، وتتميز عن شاشات الكريستال بأنها ذات سطوع أكبر، وأخف وزناً، وأكثر متانة. كما أن زمن الاستجابة فيها قصير جداً. وتتفوق على الشاشات الكريستالية بسرعة الاستجابة والألوان الأقرب إلى الواقع. وربما سيطر هذا النوع على سوق الشاشات في المستقبل القريب. ولقد ظهرت تباشير هذه السيطرة في نهاية عام 2010 المنصرم عندما أعلنت شركة سوني اليابانية المصنعة لشاشات الكريستال السائل أن مبيعاتها بلغت أقل من 25 مليون وحدة خلال السنة الماضية. وهذا يعد رقماً لا يبشر بالنمو المرتجى في عالم صناعات الشاشات، ما جعل شركة سوني تخسر أكثر من نقطة في تداولات البورصة.

حتى وإن كان المخترع الأول إسكتلندياً، فإن الشركات اليابانية والتايوانية، الآن، تتربع على عرش الصناعات الدقيقة، ما جعل اليابان وتايوان تتنافسان في صناعة الشاشات. فلقد ضخت مؤخراً شركة الصناعات الدقيقة

التايوانية هون هاي مبلغ مليار ومئتي دولار أمريكي لوحدة الشاشات إل سي دي التابعة لشركة هيتاشي اليابانية. ما جعل تايوان هي الصانع الأكبر في العالم لشاشات إل سي دي الكريستالية، وخلافاً للأنواع الأخرى من الشاشات التي تسيطر عليها شركات يابانية وتايوانية. كما تُعد شركة هون هاي التايوانية من كبرى الشركات التي تزود شركة أبل الأميركية بشاشات الآي فون، والآي باد.

الشاشة ذات الشعور

هل يكفي أن تنقل لنا الشاشة صوراً بألوان أقرب إلى الواقع، أو بأبعاد ثلاثية لا تستدعي المشاهد أن يرتدي نظارة ليشاهد الصور، كما فعلت توشيبا الرائدة في صناعة التقنية اليابانية، والتي بدأ بيعها في اليابان هذا العام، لتفرض هذه الهيمنة الطاغية، ونستبدلها بالأصدقاء ومجلس الأقارب؟! هل يكفي ذلك لتكون الشاشة الرقم الأول في حياتنا؟

لقد طور فريق من الباحثين اليابانيين ومنهم المهندس نوريو ماكامورا، أحد علماء فريق البحث والمتخصص في صناعة الألعاب، جهازاً تلفازياً بأبعاد ثلاثية يمكن المشاهد من لمس ونقر وتكبير الصور على الشاشة، كما يمكن للمشاهد أن يختار ما بين خمسة أحاسيس وهي الشعور بنعومة الشيء أو خشونته، وإثارة الإحساس بدفع جسد أو سحبه من على الشاشة.

عادات سيئة أمام الشاشة

بما أن هذا الكائن المدعو شاشة جزء من حياتنا اليومية فإنه لزاماً علينا أن نتعاطى معه بما يتيح لنا من خدمات وترفيه دون أن نلحق الضرر بأنفسنا أو بالآخرين، وأن نتوخى الحذر عندما نقضي معظم وقتنا أمامه. لذا، فالنصائح الطبية والاجتماعية التي تلاحقنا يجب أن ننظر إليها بعين الاعتبار. فالشاشة صديق لصيق بنا، لكنها ربما جلبت الضرر النفسي لنا ولأطفالنا الذين يواجهون الشاشات ساعات طويلة من اليوم. ولقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن الطفل الذي يجلس ساعات طويلة، سواء أمام شاشة التلفاز، أو الحاسب، أو ألعاب «البلاي ستيشن» تجعله عرضة للانطواء أكثر من غيره، حيث يمتنع عن المشاركة الاجتماعية والتواصل الحقيقي مع الآخرين. كما أن الجلوس غير المقنن أمام الشاشات، سواء بهدف التسلية، أو العمل يلحق ضرراً صحياً بالعين وبالجهاز العصبي والعمود الفقري، ويضر بالبشرة. كما يلحق ضرراً بالعلاقات الأسرية حيث ينشغل الزوجان عن بعضهما أمام الشاشة، والأم عن أطفالها، والأبناء عن والديهم، ما يجعل الشاشة هادمة للذات الحقيقية، ومفرقة للجماعات.. كما أن بعض العادات السيئة التي تصاحب الجلوس أمام الشاشة كالأكل، والجلوس بطريقة غير صحية، وعدم الالتزام بالوقت المقنن تحتاج منّا إلى انتفاضة حقيقية.. فالتقنية بجميع أوجهها وجدت لتضيف إلى حياتنا الراحة والبهجة لا السمنة والاكتئاب. لذا يجب أن نعرف كيف نتكيف مع هذة الشاشة، فهي ليست ضيفاً مؤقتاً في حياتنا، بل هي كائن متطور ينمو معنا، ويدخل في تفاصيل حياتنا شئنا أم أبينا.



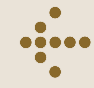
sspc

تواصلنا مع شريحة من الناس المضافين لدينا، ومن خلال شاشة الهاتف وصلتنا آراؤهم حول كيف ستكون الحياة دون شاشة.

صورة شخصية



سوما..
خياط منفوحة العتيد



قد لا يكون سوما مُصمِّمَ أزياء عالمياً، أو يملك داراً للأزياء ويعرفه القاصي والداني، لكنه شخصية مثيرة للتذكر والتساؤل. له قناعاته الخاصة وموهبته التي لا يباريه فيها إلا القلة. وبالرغم من ذلك اتخذ لها مكاناً في حي بسيط في العاصمة الرياض، لا يغادره إلا في زيارته السنوية لبلاده. بين المقص والإبرة، وبين صوت ماكينة الخياطة وقصص الزمن الجميل، ترسم عبير الفوزان شخصية رجالية تحيك فساتين النساء ببراعة واقتدار منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

عندما يتردد اسم سوما بإعجاب في بعض المجالس النسائية في مدينة الرياض، فلا بد أن يستحضرن وصف مكانه ولوحة محل الخياطة التي لم تتبدل منذ أكثر ثلاثين عاماً. في شارع العشرين المتشعب من حي منفوحة يقع محل «الخياط السعودي» الذي يعمل فيه سوما كمعلم للخياطة منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

لم تكن قصة سوما في محل الخياطة من قصص النجاح التي تنمو تصاعدياً، فتزدهر من محل صغير لا تتجاوز مساحته أربعة أمتار في ستة أمتار إلى محل أكبر، ومن محل في شارع العشرين في منفوحة إلى منطقة أكثر جدة ورقياً. لقد ظل سوما كما هو، فنجاحه البسيط كان مقنعاً بالنسبة إليه. فهو بالرغم من اعتداده بنفسه، وثقته بعمله إلا أنه لا يتكيف بسهولة مع الأماكن والأشخاص، فالصبيان الذين كان معلمهم أصبحوا معلمين، إلا أنهم ظلوا معه يديرهم ويدير كهولتهم! حتى زبائنه القدماء لهم من الود مساحة لا يطغى عليه زبون جديد مهما كان. لذا فإن مكانه في منفوحة ظل كما هو منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

من المفارقات أن الخياط الهندي سوما يسكن منفوحة، الآن، متعايشاً مع مكان سكن الشاعر الجاهلي العتيد الأعشى. وكما أتقن شاعرنا الأعشى نظم القصيد، فإن سوما أتقن نظم الخيط في الإبرة، وأبدع مهنة خياطة الملابس النسائية. ومن المفارقات، أيضاً، أن الأعشى كان يعاني ضعفاً في البصر، وكذلك هو سوما الذي يرتدي نظارة طبية بإطار ذهبي ليتغلب بها على ضعف بصره الذي لم يعقه عن إتقان عمله. ومن المفارقات أن سوما ذا الديانة المسيحية يفكر كما فكر الأعشى في الدخول إلى الإسلام، وبالرغم من أنه لم يدخل الإسلام إلى الآن إلا أنه يصوم شهر رمضان!

إن حي منفوحة الذي يضرب به المثل، الآن، في فقره وفقر طبقة سكانه، حيث يجمع طبقة من العمالة والبسطاء يبدو للمتبصر مكاناً يجمع تاريخ المتناقضات المغموس بالإبداع. لذا، ربما هذا ما جعل سوما لا يغادره بالرغم من قدم شوارعه، وتهالك مبانيه، ورحيل زبائنه.

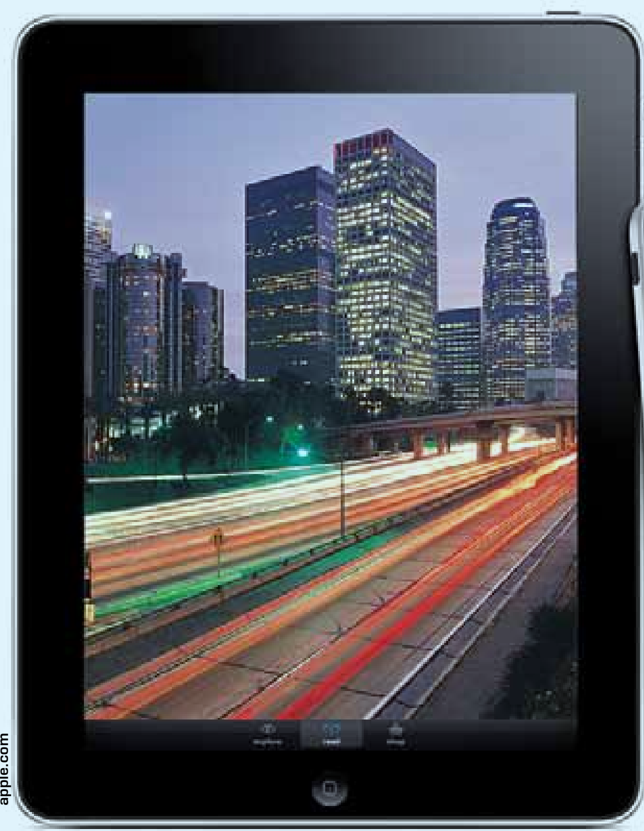
من الثمانينيات الميلادية

في أوائل الثمانينيات الميلادية كان لسوما كل الوهج، فمن يقم سوما بتفصيل مريولها بمقصه الفضي ستكن أكثر الطالبات أناقة، ومن يدرز سوما فستانها بماكينته ستكن أكثر السيدات حظاً، فلقد كانت أسعاره بالنسبة لبقية الخياطين، في ذلك الوقت، مرتفعة جداً. كما كانت مواعيده تطول فتصل إلى عشرين يوماً أو شهر لينتهي الفستان أو التنورة أو أي قطعة ملابس! بينما زبوناته لا حيلة لهن، في ذلك الوقت، من أن يجادلن أو يترجين سوما لينتهي من فستان إحداهن لأنها سترتديه لتحضر حفلة عرس أو مناسبة عيد. لقد كانت كلمته الأولى لا تُثنى ولا ترد. فهو حازم، صارم، والخطأ لا مكان له في قاموس عمله. يملك هذا الخياط العتيد شخصية معلم وناقد. يثق بعميلاته ويثقن به. فمن تشتري قماشاً يصل سعر متره إلى ألف ريال لا تثق إلا بمقص سوما الذي حالما يرى القماش ويتلمسه ويقلِّب وجهيه ليرى نوعيته حتى يقول لها إنه هو من سيفصله ويقوم بخياطته، ومن ثم لن يركن إلى أحد من الصبيان في المحل ليقوم بمساعدته. هنا تتنفس الزبونة الصعداء وتثق بأن قماشها الغالي بين أيد أمينة. فسوما العارف بخفايا الأقمشة، لا شك في أنه سيبدع في التنفيذ وسيشارك في التصميم الذي اقتنصته هي من مجلة أزياء فرنسية.

سوما المبدع والمصمم

يؤمن سوما بأنه في آخر لحظة قد ينتج عملاً مبدعاً، وأن إتقان العمل من ضرورات مهنة الخياطة، لذا كان عمل سوما دائماً في الطليعة، مبهراً بالنسبة لزبوناته اللاتي يتناقلن أخباره وإتقانه، وكيف يخترع من بقايا القماش قماشاً آخر، وكيف كان يعرف أسعار الأقمشة وما يناسبها من موديلات؟! في طفولتي كنت أتخيل أن تفصيل الفستان وخياطته يستغرقان وقتاً طويلاً، ولم أكن أعلم، وقتها، أن الزمن الذي يستغرقه سوما في خياطة مريول مدرسي لا يتجاوز الزمن الذي تقضيه النساء في طبخ كبسة الأرز! لم أكن أعلم أن المواعيد البعيدة لا تعني أن العمل يحتاج كل هذه الأيام، بل إننا نقف في طابور طويل لنحصل على ما نتمنى أو نريد، لنكون متميزات، وربما أتيناه من أماكن بعيدة رغبة في ذلك الإتقان الذي يجيده سوما.

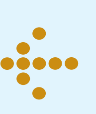
في ذلك الزمن الجميل والبعيد جداً حيث محلات الخياطين تنتشر في شوارع الرياض، كان الفارق في الأناقة يكمن في «من الخياط؟!» تماماً كما يحدث الآن في «من المصمم؟!» بالتأكيد لم يكن سوما كارل لاغرفيلد مصمم دار شانيل ولا سارة بروتون مصممة دار الكسندر ماكوين، لكنه يملك من البراعة ما يجعله قريباً منهما، لكن هي الظروف وعشقه لمكان يبدو غريباً بالنسبة لطموح مبدع جعل من سوما في الوقت الحالي ذلك الخياط المقلد حد الإبداع. لقد تراجع من كونه مساعداً في التصميم إلى خياط يقلد فساتين أشهر دور الأزياء العالمية. تراجع من الإبداع إلى الإتقان، وأصبح في جدول مواعيد التسليم لديه مساحات فارغة، وخف الوهج كثيراً، وضعف بصره أيضاً. إن طفرة الأزياء، والأسواق، وانتشار دور الأزياء العالمية، والزمن، جعلت سوما يتراجع من الخياط رقم واحد إلى خياط يسكن منفوحة، فيرضخ، غالباً، خلافاً للسابق، لطلب زبوناته عندما يردن منه أن يستعجل في تنفيذ فساتينهن التي هي صورة مقلدة من فستان لمصمم عالمي. لقد شارف سوما على الكهولة، وفقد الكثير من إصراره وحزمه وعناده، لكن لم يتغير مكانه وإتقانه.





apple.com

تعددت الألواح واللوح آي باد



عند العودة لأسلوب الأجداد في التعليم نجد مفارقات بين الألواح التعليمية والتثقيفية قديماً وحديثاً، حيث يمثل جهاز الآي باد أحد هذه الألواح الحديثة التي يشار إليها باللمس. تم القافلة تم تتناول فيما يلي هذا الموضوع.

هل تصدق أن جهاز الآي باد اللوحيّ الذي تم إصداره العام الماضي في أبريل من قبل شركة أبل، والذي يُعد أول جهاز من هذا النوع، لم يكن في تصميمه الشكلي إلاّ نسخة تقنية من الألواح التي كان الأجداد يكتبون عليها الأبجدية، وحروف الهجاء! تبدو المفارقة غريبة بعض الشيء، وقابلة للتصديق، أحيانًا. فعندما نعقد المقارنة بينهما نجد أن جهاز الآي باد لوحي الشكل، وألواح التعليم القديمة كذلك. وعلى سطحيهما تنبثق المعارف. وكلاهما يستخدم مقتنيات خاصة. لو قيل لأحد أجدادك إن بإمكان أحد أحفاده أن يكتب الحرف بلمسة ويمحيه بلمسة، وإن بإمكانه، أيضًا، أن

يقرأ الحرف في اللوح أفقيًا أو عموديًا، بحسب وضعيته هو لا حسب ما يفرضه عليه اللوح أو المعلم.. فهل تراه سيصدق؟! وهل سيجد هذا الأمر منطقيًا، أم أن ما يراه سحر ساحر؟!

إن التقنية الحديثة تسوق لنا المبررات المنطقية. لذا نتعاطى مع كائنات التقنية بشغف ومحبة بقدر ما لهذه المبررات من تسلسل في التطور التقني. إن جهاز الآي باد، أو الجهاز اللوحيّ، هو وليد أجهزة أخرى، ووليد حاجة الناس للرفاهية والوقت في زمن يتسارع إيقاعه، ويتطلب منّا أن نكون دائمًا على اتصال بثلاثة.. العالم والعمل والعلم.

ظاهرة لوحية!

عندما تتجه إلى مقهى أو بهو جامعة، أو تكون في أحد المطارات أو بعض صالات الانتظار، تجد هذا اللوح محمولاً بخفة بين الأيادي، ففيه سر مغاير عن لوح الكتاتيب الذي كان الأجداد يحملونه وهو بثقل الخشب، وثقل الطرائق الأولى المضنية. إن الآي باد الذي صمم بشكل صفحة وخصص للقراءة والتصفح بسلاسة، يتوقع بعض المهتمين في عالم القراءة أنه ربما سيساهم في تعزيز محبة القراءة لدى بعض الناس. فهو يواكب التطور الذي ينشدونه. فعوضًا عن قلب الصفحة الورقية، تمضي الصفحة للأعلى أو الأسفل بإغراء لمسي لا يقاوم بأصبعه الإبهام. وربما استبدلت بصفوف المجلات والكتب على الرفوف للغبار والزمن أيقونات تحمل هذه المجلة أو ذلك الكتاب. ربما عزز الآي باد اتجاه دور النشر الكبرى والمؤسسات الصحفية العربية إلى تحويل محتواها إلكترونيًا، تماشيًا مع متطلبات العصر، واللحاق بما يوازيها عالميًا. وربما تراجع الكتاب الورقي ليصبح ضمن مقتنيات نفيسة أشبه بورق البردي التي لا تُرى إلا في المتاحف، ولكن بعد أن يكون بذاكرة أكبر، ويدعم تعدد المهام.

> التقنية الحديثة تسوق لنا المبررات المنطقية، لذا نتعاطى مع كائنات التقنية بشغف ومحبة بقدر ما لهذه المبررات من تسلسل في التطور التقني

الآي باد بين الشكل والغاية

لماذا يلجأ الناس إلى الآي باد وهم يملكون حواسيب محمولة، وهواتف نقالة تدعم باللمس وتمكنهم من التصفح؟! ما الذي يدفعهم إلى اقتناء الآي باد.. هل هو إغراء اللمس، أم دواعي الكسل، أم لخفة الجهاز ورشاقته، أو أن ما يدفعهم لذلك هو الترف الذي يوفره الآي باد كإكسسوار؟

«تعددت الأسباب واللوح آي باد»، بالرغم من تنافس الشركات في تصنيع أجهزة لوحية إلا أن الآي باد كاسم لمنتج تجاري ولسبقه في الإصدار أصبح هو الاسم المتعارف والمتداول لكل الأجهزة اللوحية التي تماثله ويتسابق الناس، هذه الأيام، إلى اقتنائه.

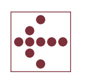


في استبانة حول هذا الجهاز والغاية من استخدامه لم تأت الإجابات مختلفة بالرغم من أن الاستبانة شملت شرائح عمرية مختلفة من سن ١٨ سنة حتى ٤٥ سنة. فقد أجمع المشاركون على أن الجهاز يستخدمونه لتصفح المجلات والمواقع الإلكترونية والبريد الإلكتروني وهم خارج المنزل. ومن كان في الشريحة العمرية ما بين ١٨ سنة إلى ٢٩ سنة أشاروا إلى أنهم يستخدمون الآي باد لبرامجه الملحقة والألعاب وتحميل الألعاب من المواقع. بينما شريحة من ربات البيوت اعترفن بأنهن يستخدمنه كنوع من الترف.

أما عن شكل الآي باد، وبماذا يذكرهم فكانت الإجابات مختلفة. فمنهم من قال إنه يشبه إطار الصور، ومنهم من قال إنه يشبه الدفتر. أما الأصغر سنًا فيرون أنه يشبه سبورة المدرسة. وربات البيوت قلن إنه يشبه صينية الفناجين! موظف قال إنه يشبه ألواح الأولين التي يكتبون عليها حروف الهجاء، وطالبة جامعية قالت إنه يشبه نفسه!

الجهاز اللوحي أيًا كان يشبه وأيًا كان من يستخدمه يعلن أمام الملأ، وبمرور عام على تداوله، أنه سيكون كتابهم الجديد من غير ورق، وسيكون مكتبتهم التي بلا غبار.. فهل نصدقه، أم نقول عنه هذا ساحر فلا تصدقوه؟!

سعد البازعي:
لا أتخيل مشهداً ثقافياً هادئاً



يتعاظم الجدل حول أهمية أن يكون للكاتب صوت مطلق الذاتية والتفرد، خصوصية ما، جغرافيا غير مكتشفة يحتلها، هندسة مغايرة يبشر بها عبر نصوص خلاقة دوماً، تجريبية، انقلابية، كل تلك الصفات المصرة على التجديد في كل شيء. فبعض الكتّاب يبحث عن نفسه في آخرين، ربما يخترعهم ويمنحهم من داخله ما لم يقصدوه.

من هنا قيل إن كل كاتب يخترع أسلافه ويعيد تشكيلهم... أين د.سعد البازعي من كل ما تقدم؟ وكيف يجسر الفجوة المضاعفة بين القارئ والأثر المنقود؟ أحلام الزعيم حاورته ليجيب عن كل هذه التساؤلات.

كتابك «ثقافة الصحراء» كان له أن يتطور إلى مشروع، لكنك توقفت ولم تواصل تجذير أطروحاتك فيه.. لماذا؟

بالنسبة لـ«ثقافة الصحراء» كان يمكن بالفعل أن يتحول إلى مشروع لكنني لم أواصل، ولذلك توصيفه بمشروع ليس دقيقاً. كان مجموعة أفكار تبلورت بشكل معين وقت إنجاز العمل في فترة ظهور الحداثة الشعرية والقصصية في أواخر الثمانينيات. كان يمكن فعلاً أن أطور هذا المجال لمشروع لكنني لم أفعل، والسبب أنني انشغلت بأشياء أخرى، أهمها أنني كنت، وما زلت، أكاديمياً، لدي اهتمامات بحثية في تخصصي، ويهمني أن أنجز في مجال التعليم، ويهمني أن أكوِّن نفسي كأستاذ جامعي، فعملت في مجالي في الأدب المقارن، وأخرجت كتباً ودراسات في هذا المجال. وهذا سبب عدم مواصلتي في مشروع الصحراء. لكن مفهوم ثقافة الصحراء لم يغب تماماً، هو موجود بشكل ضمني في أعمال أخرى صدرت لي.

مثل ماذا؟ وهل فكرة العودة للمشروع موجودة؟

الفكرة موجودة في كتاب «إحالات القصيدة» لكن لا أعدها تطويراً للمشروع، وإنما وما زلت أرى أن مفهوم ثقافة الصحراء يساعد على فهم الأدب الحداثي المنتج في البلد في تلك المرحلة. فكرة العودة للمشروع موجودة، وأذكر أن بعض الزملاء والأصدقاء من المهتمين في هذا المجال، من السعودية وخارجها، ألحوا عليَّ بألا أهمل هذه الفكرة، ومنهم الصديق د.حمادي صمود من تونس، الذي نبهني إلى أن هذه الفكرة كان ينبغي أن تطور في اتجاهات أخرى. وهي فعلاً قابلة للتطوير ولكن ليس بالضرورة بالتعريف والفهم السابقين نفسيهما. بمعنى أن مجيء أدب جديد وتطور الأدب المحلي نفسه يقتضيان مراجعة ذلك المفهوم وقراءة الأدب الذي أُنتج فيما بعد بزاوية مختلفة. ففي «إحالات القصيدة» مثلاً نظرت إلى ثقافة المدينة بدل الاعتماد على ثقافة الصحراء. الأدب نفسه هو الذي يقترح ذلك، يعني مثلاً قصيدة النثر لم تكن لتولد في ظل ما سميته ثقافة الصحراء، وكذلك الرواية هي ابنة المدينة، حاولت أن أطور هذه الفكرة في كتاب سرد المدن، المدن والصحراء في عناوين كتبي تشير إلى المكان. تدخّل المكان هل يفرض شروطه على الإبداع؟ أم أن الإبداع يدخل في نوع من الجدلية مع المكان؟ الإجابة عن هذا الاستفهام تحلل الملامح المختلفة للإبداع.

كل كتاب من إصداراتك يمثل قيمة فكرية ونقدية، لكنك ربما لم تترك وقتاً للقارئ أن يستوعب تجربتك على صعيد الكم والتنوع... هل يتأتى للقارئ غير المتخصص استيعاب ما تكتبه؟

لا أتوقع أن هناك قارئاً متخصصاً بأعمالي فقط، ولا همَّ له إلا أن يقرأ للبازعي، القارئ يختار ما يريد أن يقرأ، اهتماماتي بالأدب السعودي لها كتب خاصة، والذين لديهم اهتمامات بالأدب المقارن يمكنهم العثور، في هذا المجال، على مؤلفات ودراسات وأبحاث خاصة. لاحظت من خلال تجربتي أن من يهتم بالأدب السعودي لا يهمه ما كتبته عن اليهود مثلاً. ومن ثم ليس هناك قارئ مختص فقط بالبازعي. ولذلك لست معنياً بأن أكون محدداً لقارئ معين، أنا متوجه لنفسي أولاً، لأني أريد أن أكتشف ما لدي، والقارئ مهم بالنسبة لي، ولكن لا أحمل قارئاً معيناً بشكل واع في ذهني. الهدف الأساسي لدي المساهمة في إثراء الثقافة العربية، وكيفية إثرائها تعتمد على ما لدي من مخزون ومحصول، وكأي إنسان لدي فترة إنتاج محددة أكون فيها نشطاً على مستوى الإبداع والتأليف. أريد أن أقول في هذه المرحلة كل ما يمكن أن أقوله. وأعتقد أنه وبشكل تلقائي تنظم الكتب والأعمال نفسها. يعني مثلاً آخر كتاب أصدرته «لغات الشعر» أشرت في الغلاف الأخير إلى أنني أصدرت ستة كتب في الشعر، ومن ثم أذكِّر القارئ أين سيجد ما كتبته عن الشعر. أنا بنفسي أنظر كقارئ وأجد أن هناك اهتمامات هيمنت عليَّ كالشعر. أنا لا أعد نفسي ناقداً روائياً مثلاً، لكنني مهتم بالرواية.

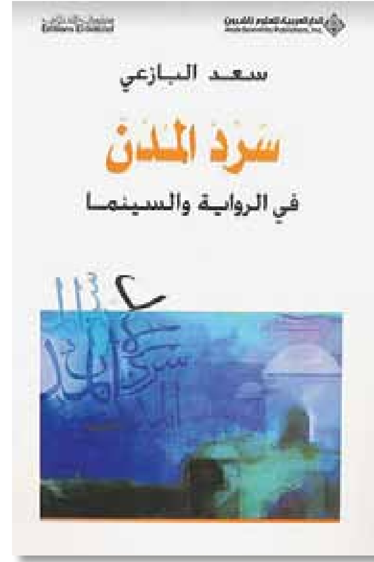
في السنوات الأخيرة بزغت فكرة النقد الثقافي التي روَّج لها أصحابها بحكم أن النقد الأدبي بات من الماضي، وتطور هذا السجال الفكري لينعكس على الصفحات الثقافية في الصحافة المحلية.. كيف تصنف نفسك ضمن هذه المصطلحات؟

النقد الأدبي هو الأساس. أنا أسمي نفسي ناقداً أدبياً، ولكن لدي اهتمامات فكرية، ولذلك أفضل كلمة باحث. هناك من يسمي نفسه ناقداً ثقافياً لكنني لا أعرف الكثيرين ممن يسمون أنفسهم نقاداً ثقافيين، الغالبية يسمون أنفسهم نقاداً أدبيين. أعتقد أن النقد الأدبي باق ما بقيت الثقافة الإنسانية، وما دام الأدب موجوداً لا بد أن يكون له نقد، الثقافة تحتاج إلى مفكرين وباحثين ومحللين. ولكن وجود ناقد للثقافة بالمعنى الذي أقترحه لا يبرر أن نطلق على شخص ما لقب الناقد الثقافي. بل قد يكون محللاً أو باحثاً، لأن النقد عملية أدبية بالدرجة الأولى، عملية التصقت بالأدب وهي جزء من عملية الإنتاج الأدبي، لذلك الثقافة لها مفكروها وباحثوها ومحللوها ومؤرخوها، وليس لها نقاد بالمعنى المعروف للنقد الذي يميز الجيد من الرديء، والذي يقيِّم الأعمال ويحللها، هذه صفة مختصة بالأدب.

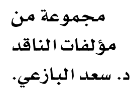
لماذا لم يتطور عملك مع ميجان الرويلي في تأصيل المصطلح النقدي في «دليل الناقد الأدبي»؟

أصدرنا ثلاث طبعات، الأولى تضمنت ٣٠ مصطلحاً، والثانية ٥٠ مصطلحاً، والثالثة ٧٠ مصطلحاً. وسبب التوقف هو انشغالي بأعمال أخرى. فأنا لا أحبذ أن أحبس نفسي في مشروع واحد، أمضيت في هذا المشروع مع الرويلي خمس








مجموعة من مؤلفات الناقد د. سعد البازعي.

سنوات، وأعتقد أنني يجب أن أقول شيئاً آخر. أحب أن أنشر باستمرار وأحضر ندوات ومؤتمرات. وهذا النشاط يؤدي بي إلى الانشغال بأشياء أخرى غير العمل الذي اشتغلت عليه لفترة، هناك احتمال أن نعود إليه ونضيف عدداً من المصطلحات التي ظهرت خلال العقد الأخير.

النقد مغامرة، والساحة الثقافية والفكرية لا تخلو من سجالات... إلى أي مدى أدت التزاماتك وقناعاتك إلى تكوين أعداء لديك؟

لا أذكر أنني كونت أعداء من خلال النقد الأدبي تحديداً أو من خلال نقدي لأعمال كتاب، لأنني أصلاً لست معنياً بتوجيه اللوم لأحد أو إبراز نقاط الضعف عند أحد. هناك خلافات نقدية تحدث وهناك من اختلفت معهم في وجهات النظر. ولم يتحول هذا الخلاف إلى سجال، ومن ثم ليس هناك عداوة، بل مجرد اختلافات في الرأي، قد تؤدي إلى قطيعة أحياناً، لكن العداء بمعنى سوء النية والترصد غير موجود.

كتابك «المكون اليهودي في الحضارة الغربية» أثار ضجة كبيرة، إذ عدّه بعضهم أنه ينطوي على نظرة إيجابية لليهود، وهي نظرة تختلف عن رؤى الدكتور الراحل عبدالوهاب المسيري، وهو الرائد في ذلك المجال.. كيف يمكن أن تختصر لنا رؤيتك التي قدمتها من خلال هذا الكتاب؟

كان اليهود حتى بداية القرن التاسع عشر منغلقين وممنوعين من الاتصال بالحياة العامة إلا بشكل محدود، ثم انفتحوا. قبل ألفي سنة كانوا وحدة واحدة عاشت في الشرق الأوسط، ولكن منذ ذلك الحين لم يعودوا تلك الوحدة وهم يدعون ذلك. اليهود يعيشون في شتات، وكل جماعة منسجمة في المحيط الاجتماعي الذي تعيش فيه. هم ليسوا جماعة عادية، هم أقلية فاعلة، أو كما يقول د.حسن ظاظا، الأقلية المهيمنة. لكنها قوية بعلمها ومالها وبتخصصاتها وإبداعها. ويجب أن نعترف بذلك. كتابي يحاول أن يقدم للقارئ العربي صورة بانورامية للمجالات التي أسهم فيها اليهود في إثراء الحضارة الغربية والتي جعلتهم جزءاً من حداثة المجتمع، في الطب والكيمياء، والفلسفة، والأدب، وفي مختلف المجالات. هذا حصل بعد أن انتشروا في الأرض أصبحوا يبدعون في كل المجالات.

كيف تصف علاقتك بالمسيري، وما وجه الاختلاف بينكما؟

علاقة حميمة جداً وقوية. هو أخيراً صار عنده توجه إسلامي سياسي، هذا أساسي في شخصيته. وبالنسبة لي، من الطبيعي أن يكون لدي التوجه نفسه في الأشياء الأساسية على المستوى الديني. لكن طبيعة اهتمامي بالناحية الإسلامية تختلف عن المسيري. كان هو ناشطاً، وكان عضواً في معهد الفكر الإسلامي في نيويورك، وأنا من الذين استفادوا من آرائه، لكنني لا أحمل الحماسة نفسها التي لديه. هناك جماعات متشددة لا يرضيها شيء. المسيري كان اهتمامه بالإسلام معرفياً وحضارياً أكثر من كونه اهتماماً فيما يتصل بالشؤون اليومية التعبدية. وهذا ما أعرفه عنه. كان يرى في الإسلام نظاماً حضارياً كبيراً، ويبرز هذه الجوانب في الإسلام التي لا يبرزها

آخرون. يذكرنا بالرؤية الإسلامية للوجود ويقارنها بالرؤى العلمانية واليهودية للوجود، هو أكبر منتقد للعلمانية. ونقده مميز جداً. استفدت منه من حيث النظر للغرب والتعامل مع الحضارة الغربية، لكن الاستفادة شيء والاندماج الكامل في أطروحة أخرى شيء آخر.

فتحت أبواب القصيدة في قراءاتك النقدية على أسماء معروفة ومكرسة، ألم تدعك حداثتك إلى شعراء التسعينيات وما بعدها؟

بلى، قدمت الكثير من القراءات لشعراء معاصرين من الشباب والشابات أمثال أحمد الملا وإبراهيم الحسين وهدى الدغفق.

الأدب بكل أشكاله يواجه تحدياً اليوم أمام الثقافة المرئية وثقافة التلفاز والسينما تحديداً، هل يمكن رصد تأثيرات متبادلة بين الاثنين؟

تأثر ضعيف للأسف. أعتقد أن التلفاز لم يستفد بشكل حقيقي من الأدب السردي. هناك من درس في الغرب مثلاً تأثير السينما في الشعر. بعض القصائد فيها شيء يشبه السينما، لكنني لا أعرف أدباً سعودياً تأثر بمسلسلات أو بطبيعة السينما والتلفاز.

الصوت الأعلى هو للروائيين، وهم أسياد الساحة، وصوت النقد والشعر انخفض وسط هذا الضجيج الروائي

ما طبيعة العلاقة بينك كناقد وبين منتجي النصوص الأدبية؟ من يعلو صوته على الآخر؟ الناقد أم المبدع؟

طبيعة العلاقة هي الدراسات. أدرس أعمالهم، وكثير منهم أصدقائي، ونلتقي في أماكن كثيرة. الحقيقة الآن أن الصوت الأعلى هو للروائيين، وهم أسياد الساحة، وصوت النقد والشعر انخفض وسط هذا الضجيج الروائي. في كل مكان دائماً هناك ضجيج وهناك أشياء متميزة. لا يمكن أن أتخيل مشهداً ثقافياً هادئاً وكل الناس تحب بعضها، لا بد أن يكون هناك بعض الفوضى.

هل تتوقع أن تظهر نظرية نقدية تُسيطر على المشهد الأدبي لسنوات مقبلة مثلما حدث مع البنيوية وما بعد الحداثة؟

لا بد أن تظهر، دائماً هناك جديد سيظهر. ولكن أتمنى ألا نستورد النظرية بقدر ما أتمنى أن يكون للنقاد والمفكرين دور في تكوين النظرية المقبلة من خلال تطوير أطروحات تساعدنا على قراءة المنتج المحلي بشكل أفضل من الاستعارة الدائمة من الخارج. وإذا كان لا بد من الاستعارة فلتكن استعارة تطور وتكيف بشكل يناسب المنتج المحلي بدل أن تكون قالباً جاهزاً. عندنا من النظريات الجديدة التي لا أعتقد أنها مشهورة الآن «النقد البيئي» أو النظرية البيئية.. وأنا أيضاً درست مجموعة من طالبات الدكتوراه والماجستير، وكثيرات منهن مهتمات بهذا الجانب. وأتوقع أن مثل هذا النوع من النقد له ما يبرر الاستفادة منه محلياً. ولو عدنا لسؤالك الأول حول ثقافة الصحراء، سنجد أنها نوع من النقد البيئي رغم أنني عندما كتبته لم أقصده بهذا الشكل بقدر ما قصدت دراسة الجغرافيا المكانية على النص الأدبي. وما آمله الآن هو أن يتزايد الوعي النقدي في اتجاه علاقة الأدب العربي بأدب العالم الثالث أو بالأدب الآسيوي وأدب أمريكا الجنوبية. هذا الوعي ضعيف، حاولت أن أملأ بعض الفراغ في كتابي الأخير «لغات الشعر» بترجمة مجموعة من القصائد. أريد أن يزيد الوعي بالشعر الهندي، والكوري، والصيني. هذا الوعي لو تضاعف وتعمق قد يؤثر في قراءتنا لأدبنا، لأننا سننظر إليه بزاوية مختلفة عما يحصل لو نظرنا من مستجدات ما بعد الحداثة التي استعرناها من الغرب.

كيف تتحايل على الوقت لتنشر دراسة نقدية، أو تؤلف كتاباً نقدياً؟

أعتقد أنه من الجيد أن تنتج كتاباً كل سنة، ومع ذلك لست راضياً عما أنتج. وأعتقد أنه جهد مقل. المشكلة الرئيسة التي تواجهني هي الصحافة والإعلام الثقافي، لأن الصحافة تطالب باستمرار بالتعليق على الأحداث ومقالات عن موضوعات وأحداث معينة. ومطالبتي بالتعليق عليها يسرق الكثير من الوقت. والإنسان لا يستطيع أن يعزل نفسه تماماً. وهذه ميزة العمل في الجامعة، فهي تعطيك سنة تفرغ كل ثلاث سنوات أو أربع سنوات. سنة كاملة ليس لديك إلا أن تنشر وأن تكتب، وهذا لا تقدمه أي مؤسسات أخرى. وهذا ما ساعدني على إنجاز بعض الأعمال التي أعتز بها. لكنني أظل في صراع مع الوقت.

رحلتك السنوية لأمريكا، ما دوافعها؟ وكيف انعكست على كتاباتك؟

ارتبطت بأمريكا أساساً نتيجة الدراسة وقضيت سنوات عدة فيها. بناتي الكبار كلهن مولودات هناك. لدي علاقة عضوية بالمكان وبالثقافة. اللغة الإنجليزية هي باب العالم. أقضي وقتي في مكتبات الجامعات بعيداً عن الضجيج، خصوصاً أنني أتجه للريف. مؤخراً شاركت في مؤتمر عن أمين الريحاني في مكتبة الكونجرس، وألقيت محاضرة هناك. اثنان من طلابي درسا بعض أعمال أمين الريحاني في الماجستير، وهو يعد رائد الأدب العربي الأمريكي، وأول من أصدر رواية عربية باللغة الإنجليزية اسمها «كتاب خالد»، وطُلب مني أن أكون ضمن اللجنة الدولية للاحتفاء بمئوية أمين الريحاني، فأقيمت ندوة وكنت آخر المتحدثين فيها، وكان هناك مجموعة من أعضاء الكونجرس وباحثون في الأدب العربي الأمريكي وكتّاب أمريكيون وكتّاب عرب.



بين الصورة والكلمة تتوحد الرؤية، حيث تحرض اللقطة الفوتوغرافية على تأويل شعري. أثير السادة يقرأ لنا في تزاوج تم بين صورة النص، ونص الصورة. جاعلاً كتاب المستحيل الأزرق للشاعر البحريني قاسم حداد والمصور الراحل صالح العزاز أنموذجاً فذاً لهذا التزاوج المبدع...

إشكالات التواصل والتأويل

الصورة الشعرية والصورة الفوتوغرافية



لا غرابة إذا سمعنا حديثاً عن الصور في الشعر، فالشعر في بنائه مجموعة صور يعاد تشكيلها عبر اللغة. ولذلك يقال الصورة الشعرية والتصوير الجمالي والصور الجمالية على اعتبار أن مفردة صورة وجذر «صور» يتسع لكثير من الدلالات والإشارات الحقيقية منها والمجازية.

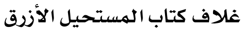
إن الحديث عن الشعر في عالم الصورة والتصوير الفوتوغرافي تحديداً يبدو مسألة تستحق الالتفات لجدتها من جهة، وللأسئلة التي تتمخض عن هذا الربط بين الاثنين، فإذا كان أعذب الشعر أكذبه، كما يقال، فإننا اعتدنا النظر إلى جمال الصورة في صدقها وهذا يكفي لتحريضنا على التفكير في هذه المفارقة التي يحملها قول بعضهم بأن الصورة الفوتوغرافية هي أقرب الأشياء إلى الشعر.

الشعر نافذة على الخيال والصورة الفوتوغرافية نافذة تشرف على الواقع. هناك تحرضك الصورة على الاندفاع صوب الأحلام والتأويلات وكل ما تتحدث عنه المخيلة. وهنا تشعر أن طريقك أقصر إلى إدراك الأشياء، ليس ثمة سفر بعيد متى ما نظرنا إلى الصورة الفوتوغرافية على أنها ضرب من توثيق الواقع، إلا ما انزاح عن الوصف المباشر، والنقل الأمين لذاك الواقع فهو قد اختار فسحة الترميز والتعمية لبلوغ لحظة شعرية في الصورة، لحظة تلامس المخيلة قبل الواقع فتصبح ملهمة للمعاني.

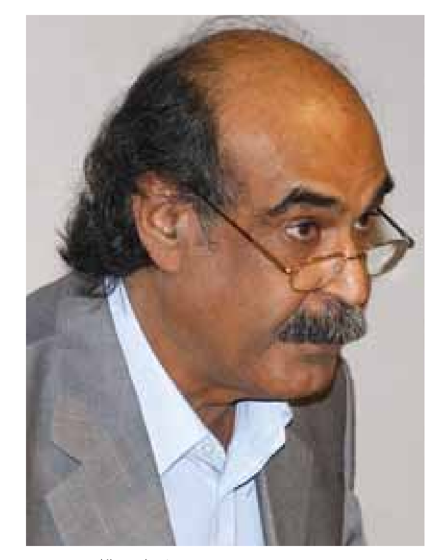
في الأغلب الأعم يأتي استخدام وصف القصيدة/الشعر في عالم التصوير من باب الإطراء وإضفاء قيمة أخرى للعمل الفني. فالمراد تجميل الصورة الفوتوغرافية من خلال وصلها بواحد من أكثر الفنون جاذبية وحضوراً ضمن الثقافة الإنسانية، لكن هذا وحده لا يكفي لفهم هذا الاندفاع ناحية إيجاد حالة من التشابك بين الشعر والصورة، وليس ذلك الغرض الوحيد الذي تصاغ لأجله العلاقة بينهما. ثمة ما هو أوغل عمقاً من أشكال التداخل والتشابك بين هذين الفنيين، ما يمكن أن يحسب على اتجاهات ما بعد الحداثة التي تشاغلت بهذا التداخل بين الفنون على نحو العموم، وسعت إلى إيجاد علاقة جدلية وتفاعلية بين مختلف الإنجازات الإبداعية من الشعر إلى القصة فالمسرح والتشكيل والتصوير وهكذا..

في العالم العربي تبدو تجربة «المستحيل الأزرق» التي جمعت بين نصوص الشاعر قاسم حداد والمصور الراحل صالح العزاز الأكثر شهرة على مستوى تجارب المزاوجة بين الشعر والصورة، فيها يقدم قاسم نصوصاً مصاحبة لصور منتقاة من مجموعة الراحل العزاز، يقترب بلغته الشعرية من موضوعاتها، وإشاراتها، ويحاول أن يرهف السمع لما بها من تدفقات جمالية.




غلاف كتاب المستحيل الأزرق


المصور صالح العزاز


الشاعر قاسم حداد

يتبدى الإصـدار كامتحان للشعر أكثر منه للصورة. فالصورة تختال بحضورها التام مستقلة عن شروط الشعر، فيما يجهد الشعر هنا لملاحقة الصورة، والتحايل على شروطها لإنتاج قصيدة لا تدعي انقطاعها عن الصورة إلا أنها تلمح إلى قدرتها على التأثير فيها عبر استحضار صور ومعان خبيئة تارة، وعبر استعارات تتحدى صرامة الواقعية في بناء الأشياء داخل الصورة تارة أخرى.

أكثر من ثمانين صورة يحفل بها الإصدار، راوحت بين رصد حياة الصحراء، والطبيعة بنحو عام، وبين تضاريس القرى القديمة، ووجوه الأطفال والكهول. وسنحاول أن نعرض لعدد من اللوحات المقدمة ضمن الإصدار، وأن نفتش في داخلها عن الرابطة والأثر الناشئ عن لحظة التواصل.

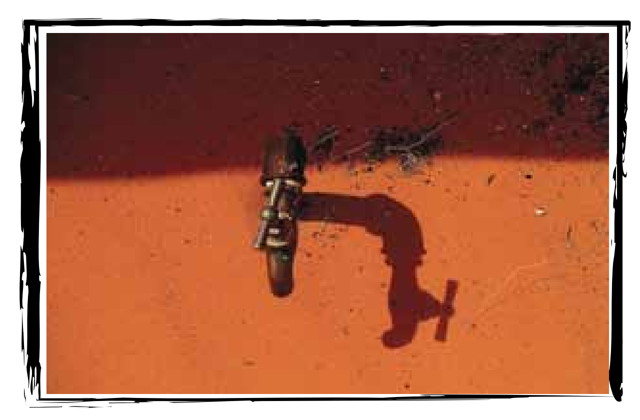
الصورة الفوتوغرافية نافذة تشرف على الواقع تحرضك على الاندفاع صوب التأويلات، بينما الشعر نافذة على الخيال تحرضك على الأحلام

هذه المجموعة من الصور والتي اقتصرنا فيها على موضوعة الصحراء يمكن أن تعطي انطباعاً عاماً عن المجموعة، فهناك ما يشبه المراوحة بين الانضباط ضمن حدود الصورة والخروج عليها، ما بين الركون إلى جاذبيات الظاهر من الصورة والافتراق عن مفرداتها وإيحاءاتها، ليس ثمة وتيرة واحدة ولا إيقاع مستقر لشكل العلاقة، الأمر الذي يدفع للسؤال أحياناً عن قيمة النص وجودته، ولعل إعمال التحليل والنقد لاكتشاف الفارق الجمالي والثقافي في التعاطي مع ثيمة الصحراء بين العزاز والحداد، أقول لعله يحمل لنا اكتشافات تفيدنا في تحديد المسافة بين النص والصورة. فالعزاز يبحث عن ذاته عبر فوتوغرافيا الأماكن الأثيرة عنده وهو القادم من تلك البيئة المتشاكلة مع الصحراء، فيما الحداد يحيط الأزرق بكل فصول ذكرياته ولا يملك حرارة الذاكرة التي تحرضه للتعالق بالنحو نفسه مع ثيمة الصحراء.

العزاز الذي بدت لمساته الفنية واضحة على الصور كانت له مساحته أيضاً للحديث عن تفاصيل اللحظات المرصودة. في مقدمة الإصدار يكتب لنا تواريخ الصور وأماكنها، مع شيء من مرئياته عنها، شيء يقترب من وصف حوافز التصوير ورغباته عنده، ولا نعلم إن كان قاسم قد أفاد في ذلك خلال كتابته للنصوص، خصوصاً أن بعض نصوصه قد تشابك كثيراً مع نص العزاز من حيث المحتوى والاتجاه.

والسؤال الذي لا زال مفتوحاً: ما الذي استفزته الصورة في البناء الشعري عند قاسم؟ ما هو المعادل الجمالي الذي ابتكره في النص الشعري للتواصل مع الصورة؟ قاسم الذي عرفناه من خلال الإيقاع المختلف في بناء الجملة، جمله الشعرية القصيرة جداً، محطاته الكثيرة التي تحصنت فيها القصيدة بالغموض، هل كان فعلاً متحرراً من قصدية المصور؟ من حدود إطار الصورة؟

أظن أن مقاربة أخرى أوسع وأعمق يمكن أن تأخذنا إلى اكتشافات حقيقية في إشكالات التواصل من جهة، وإشكالات التأويل، تأويل المصور لموضوعاته، وتأويل الشاعر للصورة، وتأويل القارئ للاثنين معاً في لحظة المشاهدة، فالصورة أقرب للنظر من النص عادة، هي الأسبق في اختيار القارئ، وهذا يفرض شروطاً على النص حتى قبل مطالعته.



عطش الرمل

هذه الصورة تظهر لقطة من أعلى لصنبور ماء، وتبدو الصورة التي اتخذت من الرمل الأحمر خلفية لها تحمل مفارقة بجمعها بين الماء والصحراء، بين سخاء الماء وعطش الرمل في الصورة، حيث نطالع بقايا عيدان صغيرة متيبسة. سعى المصور إلى تحويل أنظارنا عن الأصل باتجاه الظل عبر التركيز على ظل الصنبور بدلاً من الصنبور ذاته، ضمن تقسيم جمالي لمساحة الظل والضوء في صورة العزاز.

هنا يقدم لنا الحداد مناجاته للصنبور الذي وصفه بحارس الماء، ليسأله عن ماذا قرأ من الرمل، ويستدعي بعض تلك الصور والدلالات المحتملة التي كنا قد اقتربنا منها بمجرد مطالعة الصورة عبر شكايته من جفاف الينابيع في القرى. وهنا يحاول أن يتورط في لغة موغلة في التوصيفية حين يؤكد طبيعة الصنبور بالقول أيها الحارس المعدني، وتستمر معه لغة الاستعارة: الماء النحيل، غفلة الأرض، حارس الماء.



في عمق الصحراء

في صورة أخرى يكتب حداد نصاً يبدأ بالسؤال: من يسأل الرمل؟

الصورة تظهر بناءً متهالكاً من الطين في عمق الصحراء، ينغمس جانب منه في الرمل، فيما يقاوم الجزء المتبقي كل تصاريف الزمان والمكان، لا يحيط به شيء سوى تلك الحبيبات التي لا يصعب على الريح تحريكها، والسماء باهتة اللون هي جزء من هذا الفراغ المتمادي في الضياع. ما يصنعه الحداد في نصه المرافق هو استدعاء تلك الصور التي تختزنها الذاكرة عن الرمل والصحراء، ويبدأ بالتهكم على سيرة الرمل الطائش الذي يستحيل زجاجاً لأنه «لا يتعظ»، الرمل الذي يقول حداد إنه لا يصغي لمفسري أحزانه. وكما نرى هنالك تصعيد للحوارية مع الرمل كثيمة أساس، وتصعيد لصور التشبيه. فالرمل في الصورة كالغزاة حين يحتل البيت... فيما باقي المفردات: الوحشة والفراغ وما يتصل بالصحراء كالعطش تشابه مجموعة الصور الذهنية التي خلصنا إليها قبل مطالعة النص، الصور التي حركتها الصورة في الذهن بتكوينها وألوانها.

وفيما نلاحظ من هذين النصين أن هناك شهوة توصيفية «نزعة حسية» إلى جانب شهوة أخرى تأويلية تتحكم في اتجاه الكتابة.



بقايا زرقة

صورة ثالثة تظهر فيها امرأتان تتدثران بالسواد وتنظران إلى البعيد، إلى مساحة رملية مشبعة بالاخضرار، وأفق أزرق بعيد تظهر الصورة جزءاً يسيراً من بقايا زرقته، ورغم الشعور الأولي بالوحشة والوحدة لوجود هاتين المرأتين في هامش صغير من صحراء الصورة، إلا أن مفردات الصورة تدفع إلى إضفاء حسن احتفالي بالطبيعة، إلى التغزل بألوان دافقة بالحياة وبنضارتها.

حداد من جانبه اختار أن يستعير عنوان الوحدة بداية كمدخل للنص المرافق حيث يقول:

لسنا وحيدتين بما يكفي
سوادنا يفضح أكثر مما يستر

لا يذهب الشاعر بعيداً عن الصورة في بناء النص، فهو يحاول إعادة بناء الصورة عبر مجازات اللغة. فالأخضر المتناثر في ثنايا الصحراء يصبح «السراب الأخضر»، وهو برأيه عنوان للشفاء والشفافية أو الظهور، وهنا يذكرنا بالطبيعة وفعلها في الحياة، حين يقول:

وفي الطبيعة من العناصر ما يكفي
ويمنح الكائنات أسماءها الأولى.

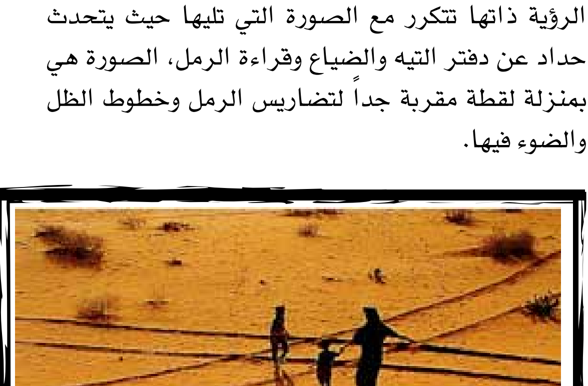


ظل عابر على الرمل

صورة بالأبيض والأسود لظل شخص عابر، يقطع الطريق فوق رمال الصحراء، ظل ممتد من الزاوية إلى الأخرى، تضاريس الرياح وآثارها على الرمل بارزة بوضوح ضمن تعرجات تتحرك بنحو قطري.

حارس الرمل كالرمل، يقول حداد في نصه المقتضب الذي لن يجاوز وصف مفردات الصورة: الريح، الرمل، المشي، التعب:

تجتازه الريح
يقرأنا في كتاب الهواء



فيمحو.. وينسى

الرؤية ذاتها تتكرر مع الصورة التي تليها حيث يتحدث حداد عن دفتر التيه والضياع وقراءة الرمل، الصورة هي بمنزلة لقطة مقربة جداً لتضاريس الرمل وخطوط الظل والضوء فيها.



آثار العبور

صورة رابعة ضمن موضوعة الصحراء نرى فيها امرأة وطفلين في الطرف الأقصى من الصورة، يتلهون بالمشي على الرمل الذي يحفل بآثار عبور السيارات، ومثلها الكثير من خطوات البشر، خطوات غير منتظمة في دلالة على كثرة العابرين وتداخل خطواتهم...

هذه الآثار هي ما استثار حداد في نصه المرافق، آثار وصمها بالوشم حين قال: والأرض موشومة بالأثر، متسائلاً عن البشر الذين كانوا هناك، الذين مروا على صفحة الرمل، عن الوقت الذي ترجل عن هناك، ويقول:

عربات من الوقت كانت هنا ورحالة ومكتشفون
يقيمون ميزانهم بالحجر
لكم هذه الأرض
أين البشر

• جميع الصور مأخوذة من كتاب المستحيل الأزرق للمصور السعودي الراحل صالح العزاز والشاعر البحريني قاسم حداد. الصور من إبداعات الراحل صالح العزاز.



قراءات في ثنائيات شائكة

جمود النقد الفني العربي

سيبقى النقد الفني العربي غارقاً في عدم التمييز بين الثقافة والضوضاء في الساحة الفنية العربية ما لم تتوافر حلول حاسمة للثنائيات الشائكة التي يعانيها.

يعد النقد الفني وأدواته ونظرياته جزءاً من أي منظومة ثقافية، ومن ثم لا يمكن مناقشة واقع النقد الفني العربي بصورة عامة والنقد الفني التشكيلي بصورة خاصة بمعزل عن الأزمات التي واجهت الثقافة العربية برمتها. يقدم د. مازن عصفور قراءة في هذه الثنائية الشائكة.

غالباً ما تتردد في البحوث والدراسات عند استعراض أزمات الثقافة العربية المختلفة مصطلحات وإشكاليات مختلفة، مثل:

السبات الثقافي والحضاري الذي يرجعه الباحثون في غالبية الدراسات للموروث العثماني، وفي حالات أخرى لمركزية الثقافة الغربية وسطوتها على الثقافة الإنسانية منذ عصر النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر، مروراً بالثقافة الحداثوية وما بعد الحداثوية التي فرضت نفسها كمنجز ثقافي، إضافة إلى إفرازات الاستعمار الحديث، والتجزئة، والعولمة، والثورة العلمية والإلكترونية، وعوامل عربية داخلية مثل: سلطة الثقافة، وثقافة السلطة، والطائفية، والقبلية، ومحاورة الآخر.

كذلك تبرز مصطلحات شائكة كتأصيل الهوية والبحث عن الذات... إلخ. وهي من العناوين والمصطلحات التي عجز مفكرونا وباحثونا عن تقديم إجابات واضحة وحاسمة لها، ما جعلنا ندور في حلقات مفرغة نراوح فيها بين جلد الذات والدوران في فلك الآخر، وبات عدد من النقاد والباحثين ينتظرون الحلول الغربية الجاهزة لأزماتنا الثقافية، المصاحبة لأزمات الثقافة الغربية ذاتها الغارقة تحت عناوين «موت الفن ونهايته»، وما لازمها من أطروحات: موت النقد والفلسفة والتاريخ المطروحة على الساحة الفنية والثقافية العالمية. وبفعل ارتباطنا بمركزية الثقافة الغربية وحتى أزماتها أصبحنا ننتظر الحلول الجاهزة لتلك الأزمات من الغرب المنهمك بجدية لحلها. وهذا خير دليل على عجز الفعل الثقافي العربي عن تقديم مشاركة فاعلة لحل أزماتنا الثقافية، ومنها أزمة النقد الفني العربي وجموده في زمننا الراهن.

ومع ذلك، لا بد من الإقرار بالعديد من الجهود الفردية الجادة التي قدمها باحثون ودارسون عرب في مجال النقد الفني أو التشكيلي في العالم العربي، وإن بقيت أصواتهم «تغرد خارج السرب»، ولم تشكل منظومة نقد فني عربي جاد وفاعل، متحاور مع المنجز الثقافي والفني والنقدي العالمي دون التقوقع في فلك الآخر أو الغليان «في فنجان قهوة محكم الإغلاق».

ولأن النقد الفني الجاد مثله مثل الكائنات الحية لا يمكنه العيش دون أجواء الحرية والمعرفة المتكاملة المفتوحة والمنفتحة، فإن النقد الفني العربي كذلك لا يمكن أن ينمو ويزدهر ويتطور دون وعي معرفي وتطبيقي بجوهر النقد وأدواته ودوره ورسالته ومعرفياته الجمالية والتاريخية والاجتماعية التي ينبغي انصهارها جميعاً في بوتقة الناقد المثقف العلمي الجاد الذي نصبو إليه.

من جانب آخر لا بد من الإقرار عند معاينة أزمة النقد التشكيلي البصري العربي بصورة خاصة بالميزة الخاصة للفن التشكيلي بوصفه فرعاً من الفنون البصرية «المكانية» التي تشترط الفراغ والحيز المادي في إثبات حضورها ووجودها بخلاف الفنون الأدبية والكتابية التي تحتضنها شكلاً وتعبيراً الكلمة العربية، الحامل والحاضن لموروثنا الإبداعي، والمتسلحة بالقرآن الكريم الذي صان لغتها وبلاغتها ودلالاتها أمام تحولات الصراع والتحدي، وأمام العولمة والتغريب، فكانت اللغة والكلمة سنداً للفنون الأدبية في تحقيق منجز إبداعي ونقدي مواكب لما عصف بالخطاب الثقافي العربي من تحديات. أما حال الموسيقا العربية فكان حظها أوفر في تأسيس خطابها ومحتواها الإبداعي والنقدي، كونها حظيت بمساحة وافرة من التواصل الثقافي وتراكم الخبرة بمرور الأجيال، بحكم كونها من الفنون الزمانية التي تعتمد على الذاكرة والشعور والأداء المتوارث من جيل إلى جيل. على هذا فقد حظي الاشتغال النقدي في اللون الأخير بآفاق نقدية أوسع مقارنة بالفن التشكيلي البصري، بسبب شعبية الفنون الموسيقية والأدبية وامتدادها الجماهيري الواسع من ناحية، وبسبب قدرتها على المواجهة والتكيف مع رياح التغريب والعولمة وسطوة العلم، وتسارع المعرفة من ناحية أخرى، ولتجذرها، أيضاً، في النفس البشرية دون قيود الحيز والمكان. بينما نجد الفنون التشكيلية البصرية ونقدها من أكثر الفنون العربية التي عانت تأثيرات الصراع لإثبات حضورها ومواجهة تحديات تأصيل الذات والهوية من أي فنون أخرى. هذا إضافة إلى توتر الاشتغال النقدي التشكيلي العربي على أصعدة كل من المنهج والفاعلية والأداء. هذا ويرجع جمود الاشتغال النقدي الجاد إلى عدد من العوامل، من أبرزها:

- انقطاع التواصل الثقافي، وتراكم الخبرة في الثقافة البصرية العربية منذ أفول الدولة العربية المتماسكة والحية بثقافتها وعلومها منذ قرون، ثم الاستفاقة أو شبه الاستفاقة المفاجئة مطلع القرن الماضي في مواجهة فنون بصرية تشكيلية مستمدة في جوهرها من الحداثة الغربية جعلت الفنون التشكيلية العربية تتنازع بين ثنائيات لم تجد لها حلولاً، مثل: الهوية والمعاصرة، محاربة التغريب ومحاورته، إضافة إلى إشكالية الأمية البصرية، وسطوة الكلمة في الثقافة العربية وغيرها من العوامل. ولقد استفاق الفن التشكيلي العربي بعد سبات عميق بعيداً عن تراكم الخبرة البصرية، دام لقرون، ليجد نفسه إزاء ممارسة تشكيلية مفاجئة لم يعتدها تمثلت في اللوحة المتأثرة بالقيم الغربية بكل مكوناتها البنيوية والتعبيرية والجمالية المتصلة بالثقافة الغربية النهضوية وما تلاها من تراكم.
- لم يكن أمام الفنان العربي سوى التحاور والتعاطي مع هذه اللوحة بمستويات مختلفة راوحت بين التطبيق

الاستنساخي الأعمى أو المهجن، أو الانغلاق الكامل في تراثية محلية دون تجديدها وإحيائها، وبانغلاق كامل، خوفاً من الدوران في فلك الآخر.

كان من الطبيعي نتيجة لتلك العوامل والظروف أن تفرز اشتغالات نقدية تشكيلية عربية اتصفت بالتوتر والتملق والخواء. وإذا أضفنا إلى ما سبق ما عصف في القرن الماضي بالواقع العربي من ظروف ومستجدات سياسية، ومن تجزئة، وانقسامات، وطفرات نفطية وحروب، وما عكسته تلك الظروف على الفعل الإبداعي والثقافي العربي من اهتزاز جعل الثقافة البصرية والفن التشكيلي، ولعوامل تربوية وروحية، يحتلان مكانهما في نسيج الثقافة العربية بمساحة ضيقة على شكل إكسسوارات ثقافية هامشية مورست على الساحة بلا جدية. وانعكس ذلك حتى في مؤسسات التربية وإعداد النشء الجديد فنياً في العالم العربي، ما أبقى الثقافة البصرية مقتصرة على مثقفي النخبة والبرجوازية الثقافية المتأثرة بالثقافة الغربية.

> **الفنون التشكيلية البصرية من أكثر الفنون العربية التي عانت لإثبات حضورها ومواجهة تحديات تأصيل الذات والهوية**

أزمة النقد

كان لا بد للمعطيات والظروف السالفة أن تفرز أزمة النقد التشكيلي العربي الحالية وتكرس جموده. وكان لا بد لتلك العوامل والظروف أن تؤثر بشكل كبير في نوعية المنجز الفني التشكيلي العربي إذا أضيف إليها غياب النقد الفني ودوره في المعاينة، والمرافقة، والتحليل، والتوجيه، وأن يجعل الساحة التشكيلية العربية تخلو من أقلام نقدية جادة وفاعلة باستثناء القليل ممن اشتغلوا بالنقد، رغم قوة الصراع وتعرضهم لرياح الأزمات الاقتصادية والسياسية وطفرات المال وغيرها.

بصورة عامة يمارس النقد الفني التشكيلي العربي في أيامنا الحالية تحت مظلتين رئيستين:

الأولى: تتمثل في النقد الفني غير المتخصص، ويتفق، عادة، على تسميته «بالنقد الانطباعي» أو التأثري، وفيه يعتمد الناقد على أدواته الذاتية الشخصية في تناول العمل، غير أن هذا النوع من النقد تعوزه الأدوات والمناهج، وإن وُجدت، فغالباً ما تستند إلى التأثر والانطباع العاطفي عند تناول العمل.

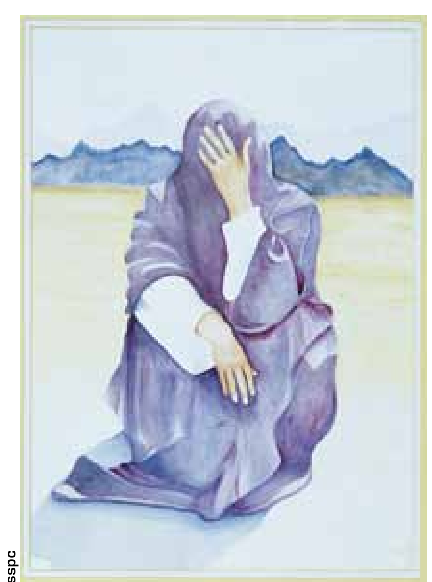
في كثير من حالات النقد الانطباعي تسيطر الكلمة والبلاغة اللغوية في وصف النص على حساب الرصد الموضوعي للقيم البصرية والجمالية الثقافية فيه، ويعود السبب في ذلك إلى انصراف الأدباء عن الفن البصري ومصطلحاته إلى حد كبير، باستثناء القليل من الأدباء العرب الذين كتبوا في النقد الفني البصري التشكيلي وقدموا دراسات ورؤى معمقة، ولو بقيت تحت مظلة النقد الانطباعي غير المتخصص. أما الأدباء العلميون فقد قدم الكثير منهم اشتغالات نقدية جادة لها بصماتها الواضحة في الفن العالمي، منهم، على سبيل المثال، أدباء وروائيون وشعراء أمثال: إليوت، وبريتون، وتزارا، وغوته، الذين رفدوا النقد التشكيلي الغربي باشتغالات نقدية فنية مؤثرة وفاعلة، إضافة إلى تنظيراتهم التي وضعت أسس الحركات الفنية العالمية، كالسريالية، والدادائية، والرومانسية، وغيرها.

نشر الثقافة الفنية

تحت مظلة النقد الانطباعي والتأثري، أيضاً، يمكن إدراج بعض الاشتغالات النقدية الفنية الصحفية، سواء أكانت محمولة بروافع أيديولوجية أم دعائية. وفي هذا السياق خلط كثيرون بين الكتابة النقدية الصحفية والنقد الفني رغم الفرق الشاسع بينهما، إذ إن الكتابة الصحفية الفنية التي اصطلح على تسميتها عالمياً بالتقرير الصحفي الفني Art Reporter هي بعيدة كل البعد عن النقد الفني التحليلي المتعمق والجاد. ورغم أهميتها البالغة في نشر الثقافة الفنية والتعريف بالفنانين، إلا أنها لم تسد ثغرة النقص الحاد في النقد الفني المتخصص والمتعمق في الساحة النقدية العربية، ذلك أن الكثير من اشتغالات النقد الفني الصحفي، والتي نشهدها في العالم العربي هذه الأيام تفتقر إلى أبسط مقومات النقد الفني العلمي والمنهجي، كالوصف والتحليل والتفسير، ثم إطلاق الأحكام. وعادة ما يتسم أغلب تلك الكتابات بالتلميع الإعلامي وصناعة النجومية، باستثناء القليل منها الذي قد يأخذ شكل الدراسات الجادة، خصوصاً في الصفحات الثقافية الأسبوعية الموسعة.

أخيراً، يضاف إلى هذا النوع من الاشتغال النقدي التشكيلي العربي، وفي ظل غياب النقد الفني العلمي المنهجي الجاد، ما يقدمه بعض الفنانين التشكيليين أنفسهم من اشتغالات لا يمكن إغفال إسهاماتها الفاعلة بحكم الصلة المباشرة لهؤلاء الفنانين المشتغلين بالنقد بالثقافة الفنية المتعمقة والدراية المجربة بتقنيات العمل وخفاياه البنيوية والأسلوبية.

أما النموذج الثاني من النقد الفني التشكيلي، فهو النقد الفني المتخصص، ونعني به النقد الفني التشكيلي المستند إلى أدوات ومناهج علمية فاعلة ومدروسة ومجربة في الساحات الفنية العالمية. وقد نقله إلى ساحتنا الفنية المحلية العربية قليل جداً من الدارسين للنقد المتخصص الغربي الذين لا يتجاوزون أصابع اليد. هذا إذا أضفنا


sspc


sspc

إليهم دارسي علم الجمال وتاريخ الفن الذين امتلكوا الخبرة العملية وأدوات النقد الفني المتخصص بالتجريب والممارسة.

هؤلاء النقاد التشكيليون المتخصصون، أمام قسوة الصراع والظروف الثقافية والاجتماعية، قدموا نماذج من النقد الفني، حاولوا فيها الاقتراب من العمل الفني لغةً وشكلاً وخطاباً بشكل أعمق. إلا أنهم اصطدموا بتلك الإشكاليات والعوائق التالية رغم جهودهم المشكورة في ترسيخ الكثير من اللمسات العلمية المنهجية المدروسة في الاشتغال النقدي العربي المتخصص.

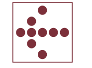
من أبرز تلك الإشكاليات والعوائق

- تزايد الفجوة القائمة بين المرسل «الفنان» والمتلقي من جهة، وبين الناقد والمتلقي من جهة أخرى، حيث تنعدم التخصصية العلمية المعمقة في تناول نقدي، ما أسهم في تسطيح تذوق المتلقي بصرياً وثقافياً بفعل الممارسات النقدية السالفة الذكر، وجعل النقد التشكيلي المتخصص الناجع يوجه خطابه في كثير من الحالات إلى النخبة الصغيرة المزودة بالثقافة الفنية.
- انصراف العديد من النقاد التشكيليين المتخصصين إلى الاختباء وراء جدار التدريس الأكاديمي، وتفضيله دور التثقيف الفني، ورفع الذائقة عبر التدريس، وتقديم البحوث والدراسات. وقد أسهم ذلك بالطبع، رغم أهمية تلك الإسهامات الأكاديمية وحسن نواياها، في تكريس غياب النقد الفني الميداني الجاد الذي تحتاج إليه الساحات الفنية العربية حاجة ماسة. ولعدم وجود أنظمة للتفرغ النقدي كما في الدول المتقدمة، فليس هناك من النقاد العرب الجادين من يؤثر التفرغ للنقد المتخصص بلا دعم مستقل.
- عجز النقد الفني العربي وباحثيه عن مواجهة تحديات من نوع جديد تمثلت في ظاهرة النمطية والتكرار في تطبيق المناهج النقدية العالمية التي درسوها وتمرسوا فيها، إضافة إلى ما يتعرض له هؤلاء النقاد من انتقادات حادة من المطالبين بتأصيل الهوية والذات بوصف هؤلاء النقاد المتخصصين قد أسرتهم سطوة القوالب النقدية الغربية ومناهجها التي اشتغل بها عدد من نقادنا في الساحة العربية بطريقة آلية ميكانيكية جامدة دون أي إضافات أو تطوير، ودون تكييفها وصهرها في السياق الثقافي العربي الحافل بالمناهج الفكرية التحليلية الموروثة بدلاً من تطبيقها في الأعمال التشكيلية على طريقة مواصفات الكتالوج الجامد بنمطية جافة واصطلاحات تتكرر بخطاب نقدي موجه بشكل رئيس نحو النخبة لا للعامة. ويسعى في كثير من الحالات إلى إقصاء الآخر.

- يواجه النقد الفني التشكيلي العربي المعاصر معضلة تهميش تدريس النقد الفني الجاد والمتخصص في المؤسسات التعليمية الفنية العربية، وتبقى المعاهد الغربية ملاذ الدارس الوحيد بكل ما يحمله ذلك من مشاكل التأصيل، أو محاورة الآخر، أو الدوران في فلكه.
- عجز النقد الفني العربي عن حسم الجدل الساخن حول ثنائيات شائكة يصطدم بها النقد الفني العربي وتحد من فاعليته مثل: مسائل التراث والمعاصرة، هوية الفن العربي، أزمة المصطلح النقدي، سلطة الثقافة أو ثقافة السلطة، وغيرها من المسائل التي ما لم يتمكن الباحث في النقد الفني العربي من إيجاد حلول حاسمة لها، فسيبقى النقد الفني العربي غارقاً في عدم التمييز بين الثقافة والضوضاء في الساحة الفنية العربية بصورة عامة.



ميرال الطحاوي «بروكلين هايتس» العلاقة بين الأنا والآخر



علاقة الشرق بالغرب والأنا بالآخر والغرب كملاذ ملائم للهروب.. كل هذا في رواية «بروكلين هايتس» لميرال الطحاوي، التي تقرؤها هنا هويدا صالح.

هناك مدخلان مهمان يُطرحان بقوة عند الدخول لعالم «بروكلين هايتس» الرواية الصادرة حديثاً عن دار ميريت، والتي نالت جائزة «نجيب محفوظ» ورُشِّحت للقائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية: المدخل الأول هو علاقة الشرق بالغرب أو الأنا بالآخر، وهذا المدخل هو الأبرز في الرواية، «بروكلين هايتس» تعيد إنتاج هذه العلاقة التي نوقشت من قبل منذ أن طرحها توفيق الحكيم في «عصفور من الشرق»، وطه حسين في «أديب»، ويحيى حقي في «قنديل أم هاشم»، ولويس عوض في «مذكرات طالب بعثة»، وعبدالرحمن بدوي في «هموم الشباب»، وعبدالحميد جودة السحار في «جسر الشيطان»، ويوسف إدريس في «السيدة ريفينا»، و«نيويورك ٨٠»، والطيب صالح في «موسم الهجرة للشمال»، وبهاء طاهر في «بالأمس حلمت بك» و«الحب في المنفى»، وروايات أخرى اختلفت فيها نظرة الكاتب العربي إلى الغرب، ما بين نظرة تتعامل مع الغرب بوصفه المثال المتفوق ثقافياً على الشرق المتخلف، ونظرة ترى الشرق

الأفضل صاحب الحضارة والثقافة في مقابل الغرب المستغل، موطن الفساد والشر.

إذاً ميرال الطحاوي تطرق باباً سبق طرقه، وتخوض عالماً كُتب عنه كثيراً، فما الذي ستقدمه للقارئ لكي يخرج عن هاتين النظرتين النمطيتين للأنا والآخر أو لجدلية العلاقة بين الشرق والغرب؟

وقعت ميرال الطحاوي في النظرة النمطية نفسها لجدلية العلاقة بين الشرق والغرب، فالبطلة «هند» التي هربت من عالمها التعس الشقي في محاولة لإيجاد ملاذ آخر تتحقق فيه آمالها بعد أن طلقها زوجها، تكتشف هناك تعاسة أخرى جديدة تعيش فيها، فقد عاشت هناك في حي الفقراء التعساء الذين لجؤوا إلى أمريكا «الحلم المنشود» لكل تعساء العالم الثالث، لكن أمريكا لم تكن رحيمة بهم، فتعود الذات الساردة عبر التذكر والاسترجاع إلى الوطن/ الشرق، ويغمرها الحنين، فتلجأ للذاكرة الانتقائية وتنتخب من لحظات ماضيها من الشرق ما يؤكد سبب هروبها حيناً، وما تتوق لتعود إليه في لحظات غربتها حيناً آخر.

إذاً لم يكن الغرب هو المكان الأفضل للذات الساردة، ولم يكن، أيضاً، هو الملاذ الأكثر ملاءمة للهروب. فهي تقر على لسان بطلتها التي جلست تشارك صغيرها الطعام وتفتح لفافة للحظ، فيربكها حظها الذي سطر على ورقة اللفافة تقول: «كانت تريد أن ترى حظها في أي شيء. أبراج البخت وأوراق الحظ المسماة «تاروت» والكوتشينة، وكف يدها أحياناً. حتى جبينها إذا كان هناك من يستطيع قراءته، لكنها لم تتوقع أن تجده في قطعة العجين المقددة، على ورقة صغيرة ملفوفة بطريقة حلزونية دقيقة، تفتحها بعناية من يخاف على قدره ومصيره الذي تحمله اللفافة، ثم تقرأ: «ما ينتظرك ليس أفضل مما تركته وراءك».

إذاً نبوءة حظها تظهر منذ البداية، منذ الصفحات الأولى للرواية.

تلك النظرة جعلتها تغرق في الحنين إلى الماضي، ما يجعلها تبحث عما يذكرها بأماكن الأنا/ الشرق أو الوطن: «كلما أرادت أن تعود لحي العرب تحت وقع الحنين أو المقت».

في حين أن الابن الذي لا يمتلك ذاكرتها ولا ذلك الميراث من الحنين يتحرر أكثر من رغبتها في الوجود في حي العرب.

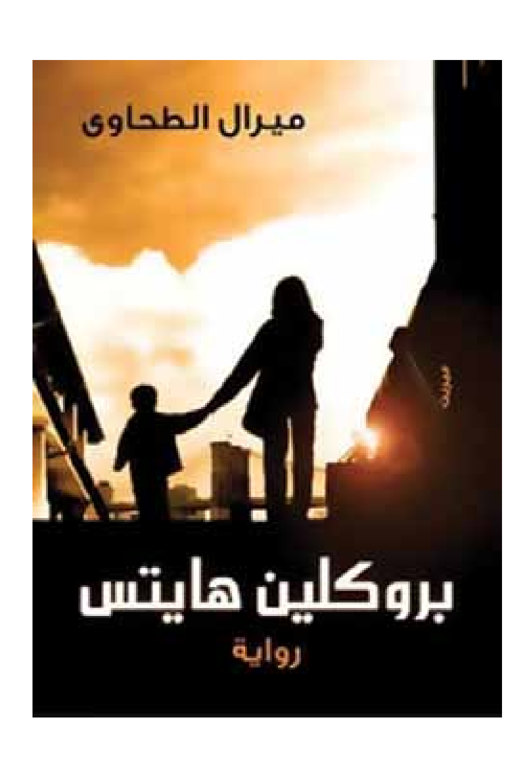
هذه النظرة النمطية تجعلنا نتساءل: هل الغرب مقولة فكرية؟ أم تجربة وموقف؟ وبالتالي، فإن العلاقة بين الأنا والآخر لا يمكن صياغتها في شكل ثابت، وإنما هي علاقة تتغير باستمرار، مثلما تتغير علاقتنا بالأنا خلال مراحل العمر المختلفة، وهي مرتبطة بمجمل الظروف والتغيرات المختلفة التي نعيشها؟

المدخل الثاني للرواية هو المدخل النسوي، أو الكتابة التي تتناول عالم المرأة وخصوصيته، حيث تقدم لنا الرواية قصة «هند» التي تركت زوجها بعد أن طُلقت وهربت من عالم مترع بالتعاسة بسبب زوجها الذي اكتشفت خيانته، ترحل إلى عالمها الجديد في أمريكا حاملة معها حلماً بكتابة رواية تكون بطلتها امرأة تعيسة تشبه تعاستها أو هي ذاتها، لا يرافقها في رحلة البحث عن ذاتها سوى ابنها الصغير ابن الثامنة.

قدمت ميرال الطحاوي عالماً مليئاً بالشخصيات النسائية المأزومة والمقهورة، فالذات الساردة/ هند مصرية مقهورة، وجوجو المكسيكية التي تترك زوجها عبدالكريم، وليليت التي تترك زوجها في مصر بلا مبرر، وإيمليا الروسية التي تلقي محاضرات طويلة في نقد السياسة الأمريكية.

ورغم هروب البطلة من القهر في بلادها إلا أنها تواجه القهر نفسه حيث وصلت حين تتصادم مع صاحب الشقة التي تسكنها.

في السطور الأولى من الرواية تسرب للقارئ الافتراضي أن بطلتها ستعيش حاملة وحدتها وصغيرها في بلاد تشعرها



بالغربة والمرارة، وتعطيها الفرصة لاجترار الألم: «ومن بين كل الشوارع تختار «فلات بوش» لأنه يصلح لها وهي تركض حاملة وحدتها وعدة حقائب وطفلاً يتساند عليها كلما تعب من المشي».

وتلك النظرة النسوية أو زاوية الرؤية النسوية نجدها منذ المفتتح الذي اقتبسته من الشاعرة «فروغ فرخزاد» حيث تقول:

«مضى الزمن ودقت الساعة أربع دقات
وهأنذا امرأة وحيدة على عتبات فصل البرد
ثمة ريح في الزقاق وأنا أفكر باقتران الزهور
والبراعم ذات السيقان الرفيعة على عتبات فصل البرد»

لا يخفى على القارئ دلالة المقطع الذي أوردته، وأنه يُعد عتبة مهمة من عتبات قراءة النص، وأنه يرشح بقوة أهمية المدخل النسوي في قراءة الرواية.

يحتل المكان في «بروكلين هايتس» أهمية خاصة، ليصير هو خامة الكاتبة لتوصف وتسرد حيوات شخوصها. المكان في الرواية لم يكن مجرد خلفية للأحداث أو مسرحاً لها، بقدر ما هو أداة سردية من خلالها تؤكد الكاتبة تعاسة هؤلاء النسوة اللاتي امتلأت بهن الرواية. تطل الكاتبة من خلال ذلك المكان على فضاء العالم المتنوع، الذي تمتاز به مدينة نيويورك، بما تحتضنه من عشرات الأعراق والأجناس واللغات. في مشهد الافتتاح تفيد الكاتبة من الوصف لتقدم لنا مكان روايتها: «فلات بوش تراه على خرائط «الإنترنت» وهي تبحث عن غرفة واحدة تصلح للإيجار في منطقة بروكلين، تراه في عدسة البحث حارة ضيقة مليئة بالالتواءات، يتعامد على «بروكلين بريدج»، ذاك الجسر الممتد الطويل الذي يربط الجزيرتين».

القسم الثالث والمعنون بـ«المقبرة الخضراء»، يضيء وصف الوضع النفسي لبطلة الرواية هند، عبر بهجة الموت وسكينة العجائز... فتتجلى في وصف الطحاوي تقنية التداعي الحر للأمكنة، ودلالاتها، بل وإيحاءاتها عبر تيار الوعي، فتذكرها المقبرة الخضراء بأمكنتها الحميمة التي احتضنت طفولتها وصباها وتعلقها بجدتها.. لافتة إلى تَوَثُّق الصلة بين هند وجدتها، والذي يظهر حين تنام هند بحجر الجدة، كلما أرهقتها الوسائد القاسية التي لا تعطي حنانها لأحد، لتنعس بعدها حالمة ببلاد لتتحقق خلال أحلامها النبوءة.

تهرب «هند» من ذاك الواقع الذي عايشته في الماضي ولم تطق تحمله، إلى واقع جديد كما أوضحنا، ولكن الواقع الجديد دفعها لأن تمارس عملية التداعي الحر استدعاء للأمكنة والأحداث التي تسكن الذاكرة، ولكن التداعي الحر جاء موفقاً في بعض الأحيان وغير موفق في أحيان أخرى كثيرة.

أجادت الراوية وصف الأحياء التي يسكن فيها المغتربون، وأجادت وصف أحوالهم سواء في الخارج أو في مضيفة الأب «مكان الأحلام المشتهاة»، ورغم ذلك الوصف الجيد، إلا أنها افتقدت لإحكام الخيط الدرامي للأحداث. فرغم أن الرواية لم تراهن كثيراً على التجريب في السرد، بل استخدمت آليات السرد الروائي الكلاسيكي، إلا أن عدم إحكام البناء الروائي جعل الرواية تقف في منطقة البين بين ما بين الكلاسيكية والتجريب.



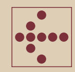
يستضيف هذا الباب المكرّس للشعر قديمه وحديثه في حلته الجديدة شعراء أو أدباء أو متذوقي شعر. وينقسم إلى قسمين، في قسمه الأول يختار ضيف العدد أبياتاً من عيون الشعر مع شروح مختصرة عن أسباب اختياراته ووجه الجمال والفرادة فيها، أما الثاني فينتقي فيه الضيف مقطعاً طويلاً أو قصيدة كاملة من أجمل ما قرأ من الشعر.. وقد يخص الضيف الشاعر «القافلة» بقصيدة من آخر ما كتب.. أو قد تختار «القافلة» قصيدة لشاعر معاصر.

العيون في الشعر العربي



بين الأمس واليوم تأخذنا أستاذة الأدب العربي في جامعة الملك سعود بالرياض، الشاعرة د. مباركة بنت البراء، في جولة مع العيون في أبيات الشعراء. وتقدم قراءة شعرية ماتعة حولها من امرئ القيس الجاهلي حتى بدر شاكر السياب المعاصر. كما اخترنا للشاعرة في هذا الديوان قصيدة بعنوان: «من يوميات ابن زريق البغدادي».

ديوان الأمس ديوان اليوم



على غير ميعاد- وأنا أقلّب كنانيشي القديمة- عثرت على ورقة صفراء متآكلة رجعت بي إلى أيام الابتدائيّة، يوم كنت أتسلل بخوف وحذر إلى مكتبة أبي- رحمه الله- والتي خصَّص لها غرفة خاصّة في منزلنا القروي، وحرص كل الحرص على ألا يدخلها غيره، عندما يأتي من المدينة نهاية كل شهر.

وكان مفتاح الغرفة بحوزة أمي، تحرص على إخفائه في علبة حُليِّها، وهكذا كنت أتحيّن الفرص، وأنتهز زيارتها لجدتي في الطرف القصي من القرية، لأفتح الصندوق الحديدي المركون في المخزن، وأستخرج علبة الحُلي وآخذ المفتاح السحري على عَجَلة، وكُلّي ترقّب وخوف، ثم أفتح المكتبة وكأني أدخل مغارة علي بابا، وأنظر بلهفة إلى الكتب المرصوصة بعناية فوق الأدراج الخشبيّة وهي ترقد مطمئنة، لا يكدر صفوها إلا العناكب المتجولة هنا وهناك، أخطف كتاباً، ثم أغلق الباب وأرجع المفتاح مكانه.

صادفت ذات يوم كتاباً عن العصور الأدبيّة لأحمد أمين، وأثناء القراءة، استوقفتني أبيات فكتبتها في دفتري الخاص الذي تعودت أن أدوِّن فيه بعض العبارات أو الأبيات التي أحس لها وقعاً في نفسي، وهذه الأبيات هي لغيلان ذي الرّمة:

لها بشرة مثل الحرير ومنطق
رقيق الحواشي لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولان بالألباب ما تفعل السحر
فيا حبها زدني هوى كل ليلة
ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

ما كنت أعي وقتها ما هي جمالية الصورة، ولا ما هو تأثير الإيقاع، وإنما راقتني الأبيات ودونتها بخط معوج، وحرصت على تدوينها ضمن مختاراتي الخاصة، ثم دار الزمن دورته لأعثر بعد عقود على الكراسة الصفراء، فأطالع فيها جزءاً من ذاتي طواه النسيان: خطي المبتدئ، دفتري الكابي اللون، طفولتي التي عبرت ذات يوم بين أحضان قرية ريفيّة وادعة.

لم يعد هناك ما يمكن استرجاعه عدا هذه الأبيات، قرأتها وأعدت القراءة، فوجدت أن هناك دواعي وجيهة تجعل الدارس والمتذوق للشعر يتوقف طويلاً عندها ويتملى هذه الصورة الفريدة، ويحاول تبينها. فلا تزال الأبيات تحتفظ بالوقع نفسه في نفسي، وتثير لديّ متعة فنية رائدة، تدعوني إلى استجلائها وأنا من تظن أنها أصبحت تمتلك أدوات تمكنها من فهم الشعر وتحليله، غير أني أحسست بعد تثبت أن في الأبيات ما يندّ عن التحليل، ويخرج على الآليات البلاغية المعهودة في شعرنا القديم من تشبيه واستعارة ومجاز. والشاعر لا شك في أنه استخدم بعض هذه الآليات في الأبيات حين تحدث عن البشرة الناعمة مشبهاً إياها بالحرير، وحين استعار رقة الحاشية لحديثها الأخّاذ.

غير أنه حين وصل إلى العينين خرج عن المألوف في الصورة فنسبهما إلى إبداع الخالق «عينان قال الله كونا فكانتا» تجلَّت قدرة الله في هاتين العينين، انطلق فعل الكينونة «كونا» بأمر علوي غير مردود لتتجسدا كوناً خارقاً ساحراً مربكاً وكذلك هو بديع صنع الله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾، أمر من الله مُعْجِز تتلوه استجابة وتجسّد لما أراد، فعل خارق خارج عن مألوف البشر، تجلّى لقدرة قادر، هكذا تشكّلت عيناها، لم يشبههما بعيون المها، ولم يصف حورهما ولا اتساعهما، ولم يلح على نفاذهما كالسهام، وإنما بنى الصورة بشكل مغاير وخارق لأفق التلقي، ليفتح أمامنا عوالم الصورة المطلقة في أبهى تجلياتها، وما لا يحد من الجمال ومن التأثير، ثم أعقب بقوله: «فعولان بالألباب ما تفعل السحر»، فقرب الصورة في الشطر الثاني للبيت ليصف تأثيرهما، ولكنه زاد في بناء الصورة وبذخها لتظل هذه العيون خارج نطاق المألوف، وعصية على عالم المنطق والعقل، فمفعولهما مفعول السحر، ذلك الشيء الغريب المخيف المتستر وراء الأحجبة، والمتوسل بالطلاسم والطقوس الغريبة، عالم غيبي غرائبي تبنيه الصورة في هذا البيت الفريد عن وصف العيون.

وعديدة هي القصائد التي وصف فيها غيلان ذو الرّمة العيون، ومن قبله صور شعراء الغزل المرأة قواماً وقدّاً ومبسماً وحديثاً وكتبوا في ذلك الكثير، إلا أن سطوة العيون بالذات وكما يتهيأ لي ولدت صوراً وإبداعات فريدة في تراثنا العربي، واتخذت الصورة فيها مرجعيات مختلفة.

لقد توقف الشعراء الجاهليون في وصفهم المرأة عند العيون وتواتر تشبيههم عيون المرأة بعيون الغزالة المفزعة، أو المطفلة: فامرؤ القيس في وصفه فاطمة يشبه عينيها بعيني الرئم المطفل، أي التي لها ولد صغير، فلذلك ستكون عيناها مستنفرتين متسعتين، خيفة أن يسطو عليه وحش أو صيّاد:

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي
بناظرة من وحش وجرة مطفل

بل إنه تعدى الوصف الخارجي لعيونها إلى تأثيرها العميق عليه:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
بسهميك في أعشار قلب مقتل

وهي صورة تتكرر في العديد من القصائد وقد أوفاها جرير وصفاً حين جعل العيون الحوراء أداة قتل فتّاكة رغم ضعفها:

إن العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله إنسانا

جرير

إن جريراً يقدّم صورة بديعة وهو يصف العيون تصرع الإنسان العاقل رغم ضعف إنسانها، فكيف بهذا الكائن الضعيف يصرع الإنسان القوي العاقل؟

ويبدع الشريف الرضي في الحديث عن العيون وتأثيرها العابر للقارات، وسجلاتها المليئة بالقتلى

يا ظبية البان ترعى في خمائله
ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه
وليس يرويك إلا مدمعي الباكي
سهم أصاب، وراميه بذي سلم
من بالعراق، لقد أبعدت مرماك!
وعد لعينيك عندي ما وفيت به
يا قرب ما كذَّبت عيني عيناك!
حكت لحاظك ما في الريم من ملح
يوم اللقاء، فكان الفضل للحاكي
كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا
بما طوى عنك من أسماء قتلاك
أنت النعيم لقلبي والعذاب له
فما أمرّك في قلبي وأحلاك!

وتأثير العين في المشاهد يأخذ مظاهر متعددة، ففي حال كانت النظرة متجاوبة يكون الأثر سحرياً:

أومأت لي عيناك فاختلج العطر
وطاف الندى وصب الرحيق

أما حين تعرض هذه العيون فيحدث العكس تماماً:

وجفتني عيناك فاختنق اللحن
ومات الصدى وغاب البريق

وكثيراً ما تحدث العين بسحرها في النفس مفعولاً يربك الشاعر فتتزاحم عليه الأفكار والمسافات، وكما يقول علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وينتقل الشاعر بالعين من كونها سهاماً نافذة وقاتلة إلى جعلها دنيا قائمة بذاتها يدخل الشاعر من خلالها إلى عوالم شاعريّة جميلة، يقول غازي القصيبي:

ملء روحي هذا الصفاء العميق
يا عيوناً من سحرها لا أفيق
يا بحاراً أهيم وحدي فيها
ودليلي في الأفق نجم سحيق
أدعي أنني نظرت فنادا
ني إلى موكب الظلال الطريق
أدعي أن في عيونك دنيا
لي وحدي فيها الربيع الوريق

المشع التاريخ المجيد للأندلس فتتداعى حضارة مجيدة وعهد حميد يأسى عليه الشاعر:

عينان سوداوان في جحريهما
تتوالد الأبعاد من أبعاد

ويستشرف السياب من خلال العيون وطنه العراق حاضراً ومستقبلاً، تأخذ العيون أشكالاً موحية للطبيعة من حوله في صورة تمتد وتتكثف في النص:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر....

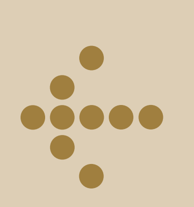
وتمتد الصورة وتتداعى إلى الذهن آلام العراق وآمال بنيه والهَمّ الذي يؤرِّق الشاعر.

أما سعيد عقل فيصور كيف تقوم العيون بنشر الضوء، وكيف يصيب الليل خدر من مسِّها:

ألعينيك تأنٍّ وخطر
يفرش الضوء على التل، القمر
ضاحكاً للغصن، مرتاحاً إلى
ضفة النهر، رفيقاً بالحجر
عل عينيك إذا آنستا
أثراً منه عرى الليل خدر
من ترى أنت إذا بحت بما
خبأت عيناك من سر القدر
نسج أجفانك من خيط السهى
كل جفن ظل دهراً ينتظر

وبالرغم من غنى الصورة عن العيون في شعرنا العربي فإني ما زلت أتساءل كيف تسنى لغيلان ذي الرّمة، ذلك الشاعر البدوي القح، الذي لم تغره أسباب المدنية والتحضر، ومن ظل وفيّاً لعالم البدو، يعتنق الناقة، ويلاحق المها في صحراء الجزيرة، ويتغنى بحبيبته مي، أن يأتي بهذه الصورة، وكيف تجسدت لغةً وإيقاعاً فريداً في أبياته هذه، لا شك في أن قرينه كان ليلتها حاضراً، ولا شك في أنهما كانا في غاية الانسجام والتجلِّي، فانبثقت هذه الصورة المحمَّلة بكل أبعاد المجهول والخارق والمؤثر، ولم يتسن لأي شاعر أن يأتي بصورة مماثلة.

من يوميات ابن زريق البغدادي



الشاعرة مباركة بنت البراء

لصوتك إذ يستبيح حضوري
يعرى دمي في مهب الزحام
لتلك المرافئ ذات حنين
تقايضني موطناً بالكلام
وكنت الوحيد الذي يرتدي
وجع الأرض،
في كل عام ....أحج...
وخطوي مداد السفر

***

وما كنت- بغداد- أنوي الفراق
ولكن زهوي وحب الظفر
حداني، فأبحرت جواب أرض
يداجي الثلوج وليل الخطر..
وأودعت بالكرخ ذاك الغزال
أذاب اللآلئ يوم الفراق،
وغام على وجنتيه القمر

***

أما زال يأسف للفقد؟
يقطع بالوعد؟
قولي!
فمضناك جاب البلاد..
ومل الخطر..

لقاء ببغداد، لا كاللقاء!
تذوب من الشوق حمى المسافات
وينتثر الأرجوان الطري
وتشعلني رغبة الأمسيات
وتصحو بعينيك أطياف حلمي
ظلال القوافي التي شكلتني
ورنات إسحق...
عزف المثاني...
وشدو الحسان...
تهادين بين الرصافة والجسر
يرددن أنشودة الأرض وهنا
يناجين سرّاً صريع الغواني

***

وأشتاق... بغداد... أشتاق
همس السواقي...
حديث البيادر...
صمت السحر...
صبايا يعانقن فيء الغلال،
ويزرعن في كل خطو مطر

***

أوجهك هذا؟
أجفناك بغداد منكسران؟

وما زلت في سورة العنفوان
وتلك الندوب على وجنتيك؟
وذاك الشحوب مدى ناظريك؟
وتلك اللغات
بكل الجهات
ولا صوت أسمع للأصمعي
ولا البحتري، ولا ابن الحسين!!
فردي السلام لعلي أراك
وأشرب نخب اللقا من يديك

***

ألا أيها الزمن الغبشي
ألا أيها الزمن الهمجي
أعدني لأرضي
أعدني لمجدي
أعدني لأسمع صوتي الحزين

***

تنكرت بغداد
تلتحفين السواد
وما عدت أسمع صوت الجياد
أأنت الحبيبة من قد ألفت؟
أهذي ربوعك؟ أم قد وهمت؟
عيون تطل من الجسر،
تغزو الصباح
فيا للجراح
ويا للنواح!

***

وأنت التي أودعتك الليالي طراوتها
وسورك الله بالمجد
أنت!
وأهداك هرون تاج الملوك
وأنت التي ترتدين الجمال وشاحاً
وكل المدارات بغداد أنت!
وكل المسارات التي قد عبرت
تؤدي إليك!
أحسك في كل العذابات...
كل المسافات...
كل المسارات...
يا شوقي المستديم!
وهمًا يساورني من قديم...

***

أحن إليها..
تمر القرون
أسافر فيها لعلي أراها
لعلي أنام على كتفيها
وأرقب همس النخيل سحيرا
يناجي خيالي، على ضفتيها

***

أحن إليك...
وينتثر الشك من مقلتيك
ولكن يعذبني فيك هذا الشحوب
ويأسرني صوتك المستكن
تبعثر في نائيات الدروب
كأن الند.....ا.........ء.........ا..........ت لن تستجيب
كأنك موووووووووووووووووووال عشق
غـــــــــــــــــــــــــــــــــريب
كأن غروباً سيتلو الغروب!!!!

لا تقبل الفلسفة بخطاب يجاورها سوى الشعر. وإن كانت تبالغ في توسيع المسافة ما بين الذات الشاعرة بمنحاها التخييلي، والذات المتفلسفة بنزعتها العقلية. فبموجب ذلك التفريق بين الوعي والشعر أعلن أفلاطون جمهوريته الفاضلة، التي طرد الشعراء منها بدعوى أنهم كائنات فوضوية، لا أخلاقية، ولا منهجية، وبجعل الشعر هو المعادل للزيف، وأن الشاعر يمتلك من سلطة الكذب ما يكفي لتزوير الحقيقة، والقدرة على الانفلات من الوجود، ومن ثم فهو صورة من صور التردي الجسدي، مقابل مناقبية الفيلسوف وروحانيته وعقلانيته.

حميمية الشعر والوضوح الفلسفي

ويبدو أن هذا النمط من الفهم هو الذي تسبب في اضطهاد الشعر، حيث تمت موضعته كحالة من حالات التيه والهوى مقابل رصانة العقل، أو هكذا تكرّست فكرة التعارض بين الخطابين: الفلسفي والشعري، مع ميل واضح لتغليب الفلسفة بوصفها جوهر التفكير البشري، وتاج الفضائل الإنسانية، وخزان الحقائق والمعاني العليا. مقابل تضييق واضح لدروب الشعر الملعون، الذي صار بمنزلة المعادل للفسق والمجون، المعبِّر عن وقائع حياتية غير لائقة.

وعلى هذا الأساس تطور التعارض الشكلي بين الخطابين، ليتحول إلى إشكالية أخلاقية، أدت بدورها إلى انفصام في الأداء المعرفي، حيث أتهم الشعر بكونه كلمة هاذية تتشكل خارج يقظة العقل، وفي مدارات خارج الزمان، وبمعزل عن الذاكرة، أي في هوامش لا تتجاوب مع دقة الفيلسوف وحصافته. بمعنى أن الشاعر ترك ذاته نهباً لمجازات الكلمة، وشطح المخيلة، ليقيم خارج معانيها، فيما تمسك الفيلسوف بالكلمة كأداة أو كملكية خاصة يفكر من خلالها، ولا يستسلم لها لتستحوذ عليه.

ومن ذلك المنظور، بدا الشعر وكأنه قد غدر بالإنسان وخان نفسه، عندما اعتنق الكلمات وانفصل عن العقل، وبالتحديد عندما وظَّف الكلمات بطريقة غير شرعية. وعليه، حدث الطلاق، داخل العقل، المكون أصلاً من كلمات وأفكار. وهكذا أصبح كلمة لا عقلانية. كلمة مكرّسة لخدمة النشوة، التي بمقتضى الانغماس فيها، يتخلى الإنسان عن روحه، ويفقد وعيه، وكأنه يتنازل حتى عن جسده ليتركه لكائن آخر كسول، يقيم فيه وينطق بالأهواء نيابة عنه.

هذا ما يسرده التاريخ الإبداعي من انقسام العالم إلى دربين يجسدان الهم الإنساني، درب الفيلسوف الآمن والواضح، الكلياني المستنير، المنشغل بتفسير ظواهر الوجود. مقابل درب الشاعر الغارق في ذاته، المشتبك مع الجزئي والتفصيلي، بما يحقق له فردانيته، وهو افتراق إجرائي يمكن تقويضه بتلمّس صلة الوعي القائمة كجسر بين الشعر والفلسفة، بدليل وجود القلق كأساس لكل فلسفة، وانغراسه في الشعر أيضاً.

ثمة مصالحة ما بين حميمية الشاعر ووضوح الفيلسوف داخل التجربة الزمنية، تتأكد عند تأمل حبهما المشترك للحقيقة، وانهمامهما بمعاني الحرية، كل على طريقته، وعدم ادعائهما امتلاك الحقيقة الحصرية، حيث يجسان الوجود بحس الريبة، والبحث عن الحقائق في معارج العزلة، والشعور بالكآبة، والابتعاد عن العام بحثاً عن المعنى الخاص، فهذا هو حال الفلسفة بما هي حوار مع الذات، ينتهي إلى حيازتها، ومساءلة الوجود. وكذلك الشعر بما هو ارتداد ذاتي إلى الداخل والخارج في الوقت نفسه.

محمد العباس



الجدار

الجدار كلمة ذات مدلولين، الأول حقيقي والآخر مجازي. ففي الواقع الملموس هو عنصر بنائي يحدد بثلاثة أبعاد: السماكة، والطول، والارتفاع. ووظيفته الرئيسة غلق المسافات وعزل الفضاء. وانحصرت وظيفة الجدار فيما مضى في دور محدد وبسيط، هو العزل والحماية لكل ما يوجد داخله من كل ما يقع خارجه، في زمننا الحاضر أصبح الجدار عنصراً إنشائيا «هندسيا»، يحمل أوزانا تفوق وزنه الذاتي.

أما مجازياً فهو شيء افتراضي، وعائق نفسي غير ملموس يمنعنا من بعض التصرفات، فالقوانين والعادات والتقاليد أو الأعراف، كلها جدر بين الناس وبعض تفاصيل الحياة.

فريق القافلة يصحبنا لنتسلق الجدران ونستكشف ما وراءها!

قد لا تبدو مفردة «الجدار» للوهلة الأولى، من النوع الثري، على العكس، قد تمنحك انطباعاً أولياً بالكآبة والجمود وضيق الأفق وقلة الخيارات، غير أنَّ الحقيقة المختبئة خلف ستار من التأمل والبحث هي بخلاف ذلك تماماً.

لا جدال في أنَّ بعض الكلمات يمتلك القدرة على إشعاع المعاني بغزارة دون كثير من الجهد، فهي لا تقبل أن يحبسها الذهن في قالب تعريف محدد، لأنها بطبيعتها ذات خفّة وحرية جامحة، ورغبة في استدعاء وجوه متعددة، اكتسبتها عبر تاريخ عريض من التجارب والخبرات التي تضفي عليها طيفاً ثريًّا من الألوان.

ونحن نزعم أنَّ مفردة «الجدار» في حقيقتها من هذا النوع، وليست مفردة ذات طاقة إيحائية ضئيلة. هي فعلاً كلمة متفجّرة، وليست مفردة جامدة كما توحيه حجارة الجدران الصلبة. إنها من نوع المفردات ذات التركيبة السائلة الدلالة والإيقاع في الذاكرة تماماً كمفردة «ماء» أو «نهر»، وهي بخفّة مفردة ذات كتلة متطايرة في الشعور النفسي كمفردة «عطر»!

بين اللغة والتاريخ

الجدار كلمة سكنت التاريخ، بل امتدت ظلالها إلى ما قبله، ففي تاريخ «ما قبل الجدار» وُجِدَ إنسان الغابة وإنسان الكهف. ولتاريخ صناعة الجدران حكاية طويلة مع البيئة، بل البيئات المختلفة على الأرض، فمن جدران الكهوف التي صنعتها الطبيعة بدأت الحكاية، تلك الجدران هي أكثر الجدران صلابةً ومحافظةً على الفن والتاريخ عبر ما تحفظه من نقوش.

وفي فصول حكاية الجدار العتيقة نجد أن الجدار مفردة مستمرة في التأقلم مع البيئة، بل إن معظم مكونات البيئة قد شاركت في خلقه، لنا أن نتصور جدران بيوت صنعها الإنسان في مراحل مختلفة من تاريخه، من أغصان الأشجار، من جذوع النخيل وسعفها، حجارة الجبال بأنواعها وألوانها، طين الأرض، الماء والتراب، وكأنَّ الأرض كلها قد دخلت في عجينة هذا الجدار!

للجدران معانٍ متناقضة قادرة على توليد المزيد من المعاني والمفارقات من خلال علاقة التضاد التي تجمعها، فحين تسند ظهرك إلى الجدار فإنه يمنحك الحماية، وحين تقابله هارباً من عدو فقد وصلت للنهاية، هو الجدار ذاته، ولكنه الحياة في الحالة الأولى والموت في الثانية.

صنع الإنسان الأوَّل الجدار ليأمن على نفسه من مخاطر البيئة وتقلباتها الجوية، كثرت الجدران، وارتفعت المدن، ربح الإنسان الأمن وانفصل عن البيئة التي كانت تمنحه خيراتها بالمجان، اكتسب جسده الدفء في أحضان الجدران وخسرت عيناه الآفاق الممتدة.

لقد منح الناس الجدران معاني سلبية، فما إن تسأل أحدهم عما توحيه إليه كلمة «جدار» حتى تتبادر إلى ذهنه معانٍ سلبية كالنهاية، العائق، السجن، الحجاب، الساتر. هذه المعاني قد ترمز لنهاية الحياة، أو لعوائق كبيرة يتعثر بها الإنسان، انعدام الحرية، ضيق التنفس، وعلى المستوى المعرفي ترمز الكلمة إلى ضيق الأفق المعرفي، انعدام الرؤية، أو وجود موانع للرؤية والبصيرة.

قد يكون من الطبيعي أن يضع الإنسان رموزاً للأمور السلبية في حياته كما يضع رموزاً للأمور الإيجابية، ومن الممكن أن يكون بعض هذه الرموز من صنع يديه، ولكن هل من الطبيعي أن تكون سكنى الإنسان بين هذه الأمور التي ركز فيها رمزية عالية السلبية؟! ليس من المستغرب إذاً أن تتزايد حالات الربو وضيق التنفس بين بني البشر!

الجدران الأثرية

كون الجدران جزءاً لا ينفصل عن عناصر الهندسة المعمارية، تزخر المزارات الأثرية بالكثير من الجدران، بعض الحضارات قامت ببناء جدران بطريقة بسيطة ومتينة لتؤدي وظيفة السور العالي، فيما قامت بعض الحضارات الأخرى بالنقش عليها وحفرها لتكتسب صبغة جمالية لتزيين المحيط.

جدران من جليد

الجدار قد لا يكون صلباً، وقد يكون مصنوعاً من الماء! الماء ليس كالكهوف، فهو لا يحتفظ بالأسماء التي ينقشها محبٌّ على سطحه، كما تقول أغنية فيروز، غير أنَّ شعب الإسكيمو اتخذ من جدار الماء المجمَّد «الجليد»، بيوتاً تحميه من تيارات الصقيع.

sspc

الجدار في الأمثال

هو جزء من تفاصيل يومنا وحياتنا، فالجدران والحوائط التي تحيط بنا تمنحنا الفرصة لأن يكون لها في الأمثال دور وحضور.

«لا تستند إلى الجدار المائل ولا إلى المرأة»
مثل تشيكي

«عندما تولد البنت تبكي الجدران الأربعة»
مثل روسي

«ظل رجل ولا ظل حائط»
مثل مصري

«لبنة في الحائط أفضل من جوهرة في الخيط»
مثل أمازيغي

«فلان استند إلى حائط مائل، واستظل بظل زائل»
مثل سوداني

«لا يبنى الحائط من حجر واحد»
مثل عالمي

«الجدران لها آذان»
مثل عالمي

جدران قرية الفاو

تقع القرية على بعد حوالي 700 كم جنوب غرب مدينة الرياض، وتطل على صحراء الربع الخالي، وسميت تيمناً بموقعها فهي موجودة عند فوهة مجرى قناة تسمى «الفاو». تعود القرية وهي عاصمة كندة الأولى، إلى فترة تمتد إلى قرنين قبل الميلاد واستمر السكن بها إلى حوالي القرن الرابع الميلادي، معظمها منحوتة من الصخر والجزء المتبقي صُنع من الحجر، اللبن والجص، وهو ذو قدرة تحمل عالية إذا ما حسبنا عمرها البالغ حوالي 1800 سنة وأكثر. ويذكر أن الجدران كان يتم نحتها من الجهة الداخلية للمسكن أو المتجر حتى تؤدي وظيفة التخزين على نمط الأرفف الحديثة.

جدران حلب الأثرية

تعد جدران قلعة حلب السورية- الشبه دائري- من أجمل المعالم الأثرية في المدينة وأضخمها في العالم وأغربها لما تحمله من طابع معماري فريد من نوعه. وتقع جدران القلعة على مرتفع نصفه طبيعي والآخر اصطناعي لا يضاهيه ضخامة إلا الدرج المؤدي إلى البوابة الرئيسة للقلعة وتعلوه القناطر المتفاوتة في الارتفاع.

وتقع جدران القلعة على مرتفع نصفه طبيعي والآخر صناعي، وهو سور المدينة القديمة فيما مضى، وقد وُجد في أجزاء منه نقوش تعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد على عهد الآراميين.

لقد جعل هذا الجدار من القلعة ملاذاً حصيناً من الهجمات العسكرية على مدى التاريخ من عصر الآراميين ومروراً بالعديد من الحضارات وحتى العصر الإسلامي الذي انتهى بالحكم العثماني. يذكر أنه تم بناء بوابة رئيسة واحدة فقط مؤدية إلى داخل القلعة، تليها سبعة أبواب مصفحة ومغطاة بالحديد كي تقاوم ضربات النيران ومباغتات الهجوم المفاجئ.


sspc

جدران تحجب الحرية

الجدران هي التي تجعل السجن سجناً، وفي السجن نهايةُ الذين ينتهكون حقوق الآخرين ويزعزعون أمنهم، ومن الحجارة ذاتها تصنع جدران المنازل التي يطلب الإنسان الأمن بأن يقفل على نفسه الباب لينام بين جدرانها، الجدران ذاتها تمنح الأمن في مكان وتسلب الحرية في مكان آخر.

جدران عالمية

حائط البراق..

يختلف هذا الحائط أو الجدار عن جميع الجدران في العالم ، فهو ليس جداراً سياسياً ولا جداراً عازلاً، إنما هو جدار ديني، إذ يرتبط في الوجدان الإسلامي بأهم الحوادث الأكثر إعجازاً في التاريخ. وهي حادثة الإسراء بالنبي، صلى الله عليه وسلم، من مكة إلى المسجد الأقصى، ومن ثمَّ العروج به إلى السماء. هذا الحائط الذي يحدُّ المسجد الأقصى- أولى القبلتين- من الجهة الغربية، ويُعدُّ جزءاً من السور المحاط بالمسجد، يتنازع حوله المسلمون واليهود الذين يجعلونه بادعاء كاذب ضمن تركتهم الدينية على أنه آخر أثر من هيكل سليمان- عليه السلام. بينما علماء الآثار الإسرائيليون اليهود شهدوا بعد التنقيب أنه لا يوجد أي سند لما ورد في العهد القديم حول هذا الجدار، ولقد شككوا في وجود الهيكل أصلاً، ومنهم عالم الآثار اليهودي فينكلشتاين رئيس قسم الآثار في جامعة تل أبيب، ما يدحض هذه الروايات اليهودية حول آثر معبدهم القديم، وينفي مزاعمهم. لم يمارس اليهود طقوسهم الدينية أمام هذا الجدار، التي تتجلي في البكاء حول الأثر الضائع الذي سماه عرب المقدس «حائط المبكى»، إلاّ في العهد العثماني، وكأنهم يبحثون عن مسوِّغ ديني للاحتلال، والتهجير، وهدم حي المغاربة المقابل للجدار بهدف التوسعة.

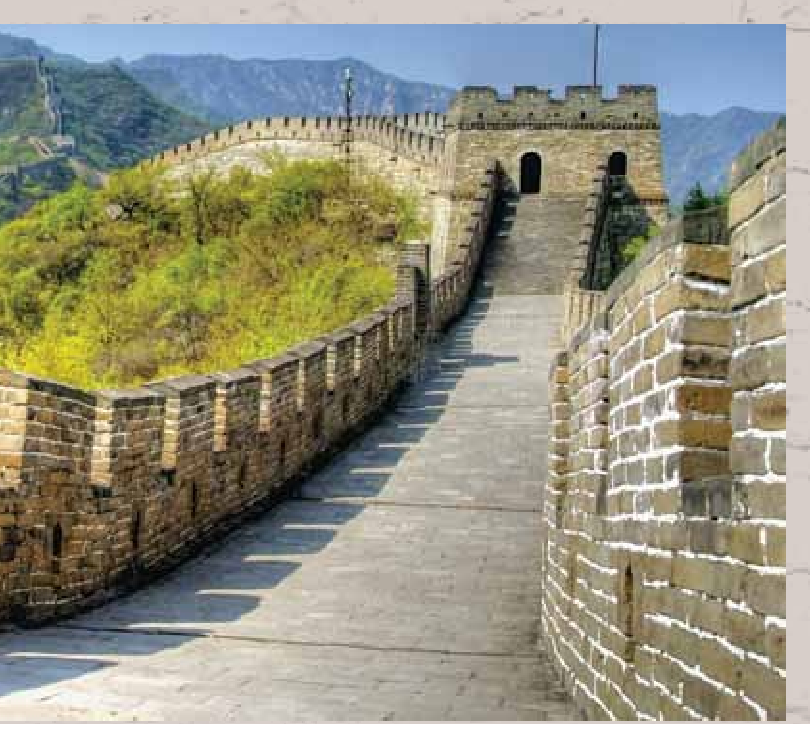
حائط البراق أو الجدار الغربي من المسجد الأقصى الذي بُورك حوله لم يبنَ من أحجار ياقوتية، ولم يوشى بالذهب. لكن عظمته تتجلى في التاريخ الذي مرَّ به منذ أن بناه الملك هيردوس الأول الذي حكم الجليل منذ عام 37-3 ق.م. وبالرغم من أنه حكم ممالك يهودية إلاّ أنه لم يكن يهودياً، حسب الموسوعات اليهودية،إنما كان عربياً أودمياً، بنى هذا البناء لإدهاش العالم القديم بفخامته. دُمِّر المبنى عدة مرات وأعيد بناؤه، لكن أساساته من أحجار متنوعة ومغروسة في عمق الأرض تُعدُّ آثاراً باقية في عمق الأرض، تشهد على تعاقب العصور واختلافات تقنيات البناء. فلقد اكتشف أثناء التنقيب أنه في بنائه الأول يتكون من سبع طبقات حجرية، ثم أعيد بناؤه في العصر الروماني ليتكون من أربع طبقات حجرية في الأسفل. يبلغ ارتفاع الجدار- كما يظهر- عشرين متراً، بينما يبلغ عمق الحائط المدفون حوالي سبعة أمتار. وهو مبني من أحجار ضخمة مختلفة الأنواع والأحجام تعود لأزمنة مختلفة، كما أن بعض النباتات الطبيعية تنمو بين أحجاره.

هذا الحائط الغربي الشامخ له من معجزة الإسراء مساحة فهو مربط الدابة! عندما أسري بالنبي- صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى بيت المقدس على ظهر البراق وهو دابة جبريل- عليه السلام- هبط النبي الكريم إلى تلك البقعة التي بورك حولها، وتأهب للدخول إلى المسجد الأقصى أولى القبلتين. فربط- صلى الله عليه وسلم- البراق في حلقة كانت موجودة على هذا الجدار الغربي. يشهد على ذلك حديث رواه عنه أنس بن مالك. فسمي هذا الحائط في عهد عمر بن الخطاب إبان الفتوحات الإسلامية لبيت المقدس بحائط البراق. تجادل حول هذا الجدار، المسلمون واليهود الذين لم يبدؤوا بالبكاء أمامه إلا بعد مرور أكثر من ألف عام على تسمية الجدار بحائط البراق. في عام 1930م شُكِّلت لجنة ليست مسلمة ولا يهودية لحل النزاع حول: مَنْ الأحق بملكية هذا الجدار؟ وتوصلت اللجنة إلى أن ملكية هذا الحائط وحق التصرف فيه وما جاوره هو عائد للمسلمين، كونه جزءاً لا يتجزأ من المسجد الأقصى. فالحائط «طوله وعرضه وتاريخه» مقدس لدى المسلمين، لكونه جزءاً من بقعة مطهرة من المسجد الأقصى، كما يُعَدُّ مربط الدابة التي امتطاها نبينا الكريم في ليلة إسرائه. فهو حائط البراق لا حائط المبكى.

الجدار الفاصل

ظاهرتان مهمتان لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن، تتوضحان في هذه الآونة: خلفية الاهتمام الدولي بما سمي بـ«الربيع العربي» والجهد اللافت للحكومة الإسرائيلية لإعادة تكوين «مملكة إسرائيل القديمة» على نطاق واسع في ظل انكفاء أسباب القوة العربية أمام المشهدية الدولية على إعادة رسم خريطة المنطقة من جديد من خلال رفع أكثر من جدار ليس بين دول المنطقة، بل داخل كل دولة بعينها.

إن مخاطر ما يجري له امتدادته من ذاك الجدار العازل، أو الفاصل، أو السور الواقي الذي أقامته إسرائيل منذ عام 2002م بمحاذاة خطوط



الفصل بين الأراضي الفلسطينية المحتلة عامي 1948م و1967م، فالمسألة تعود بجذورها إلى الفكر الصهيوني الاستيطاني، وهي ترتكز على الآنية كلما تغيَّرت وجوه رؤوس الحكم الإسرائيلي، حيث يأتي اللاحق حاملاً في الغالب « خطاب المزايدة» على السابق.

فحكام إسرائيل بدأبهم على بناء السور الذي يبلغ ارتفاعه 8 أمتار وطوله 750 كيلومتراً، كرسوا خطاً من الإسمنت والحديد والنار والكراهية يشمل سلسلة من الخنادق والقنوات العميقة والجدران الإسمنتية المرتفعة والأسلاك الشائكة المكهربة تمتد على مسافة 45 كيلومتراً حول القطاع الشمالي من الضفة الغربية، ويمرُّ الجدار على الخط الأخضر من الشمال إلى الجنوب، ويضم القطاع الشرقي من القدس، وإلى جانب التداعيات الأمنية من إقامة هذا الجدار، هناك تأثيرات اقتصادية من جراء عزل التجمعات الفلسطينية بعضها عن البعض الآخر وخصوصاً تلك الواقعة بين الجدار والخط الأخضر، يضاف إلى ذلك أن فكرة بناء الجدار تحمل في طياتها تدمير الممتلكات والأراضي الزراعية ومصادر المياه وإضافة قيود جديدة على حركة الأفراد والبضائع.

ولا تبدو فكرة إقامة الجدار العازل غريبة على الفكر اليهودي، فقد كان الغيتو اليهودي في الأصل مكاناً داخل المدينة أو خارجها محاطاً بسور له بوابة أو أكثر، وما الجدار العازل المقام حالياً في فلسطين إلا صورة عما تختزنه الذاكرة اليهودية من ثقافة الغيتوات التي نشأت عليها التجمعات اليهودية في بلاد الشتات وأعادت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تجسيدها في السور الواقي في فلسطين لدى تجميع اليهود في غيتو دولتهم الاستيطانية.


الجدار عزل أسراً فلسطينية عن بعضها

sspc

الجدار الأعجوبة

لعل أشهر جدار في التاريخ الإنساني هو سور الصين العظيم الذي يُعَدُّ ضمن عجائب الدنيا السبع. إذ ضمته منظمة اليونيسكو عام 1987م إلى قائمة التراث العالمي.

أنشئ سور الصين أو جدار الصين الحامي قبل الميلاد بهدف حماية مملكة الصين في عهد الإمبراطور تشين شي هوانج تي، الذي وحَّد ولايات الصين المتصارعة، وضمَّها بين جدران هذا السور حماية لها من غزو المغول والأتراك وهجماتهم.


sspc

يبلغ طول سور الصين العظيم أكثر من 6700 كم. وهو يطوق الحدود الشمالية والشمالية الغربية. إذ يبدأ من مدينة تشنهوانغداو التي تبعد حوالي 300 كم شرق بكين. وهي تقع على بحر بوهاي. فيها بحث الإمبراطور تشين عن سرِّ الخلود. وعلى شواطئها أقيمت جدران منيعة تُشكِّل جزءاً مهماً من هذا السور العظيم. لذا يوجد فيها المقصد السياحي للجزء الأبرز منه.

لقد بُني هذا السور العظيم، الذي يزيد طوله على 6700 كم، خلال 17 سنة بمعاونة أكثر من 300.000 شخص، وانتهى في عام 204 ق.م. ولقد بُني في بدايته بالطين في عهد أسرتي هان، وسوي الأمبراطوريتين. أما في عهد أسرة منغ، التي حكمت الصين لمدة ثلاثة قرون من عام 1368م إلى 1644م، فقد دُعم السور واستبدل بأجزائه الطينية الطوب.

من عجائب سور الصين أن بناءه تم بأسلوب معماري أشبه بالحصون، إذ بُني كهيئة جدارين متوازيين، الأول من الطين والثاني من الطوب، تفصل بينهما مسافة تراوح بين أربعة وتسعة أمتار وتضيق في الأعلى. كما يوجد بين كل 200 متر برج مربع للحراسة يبلغ ارتفاعه 12 متراً. بينما يتفاوت ارتفاع سور الصين من ثلاثة إلى ثمانية أمتار. وهذا يشكِّل حماية من تسلل الجيوش ومعداتهم وعتادهم. كما أن الأبراج تُعَدُّ دعماً وحماية، في حالة هذا التسلل البري. لقد انتهى من زمن بعيد دور سور الصين العظيم الذي من أجله بُني، لكنه بقي شاهداً على إبداع الإنسان وعظمته، ومزاراً للسياح الذين يبحثون عن المعجزات حتى لو كانت في ثقوب الجدران!

سور برلين
شريط الموت

من تاريخ سور برلين العازل نشم رائحة الحرب الباردة بين الشيوعية والرأسمالية. ونؤمن بقوة الجدران الجائرة في مواجهة الاختلافات السياسية والاقتصادية. لقد حقق سور برلين الإسمنتي الشائك قوة صامدة دامت 28 عاماً بنجاح في عزل برلين الشرقية عن برلين الغربية.

«سيد غورباتشوف، إذا كنت تسعى للسلام والرخاء للاتحاد الأوروبي، فحطِم هذا الجدار»

رونالد ريغان
الرئيس الأمريكي الأسبق،


sspc

ما بين عشية وضحاها استيقظ سكان برلين عام 1961م، وبالتحديد في اليوم السابع عشر من أغسطس، على سور بدأ بناؤه في لمح البصر، ليقسم العاصمة برلين إلى غرب وشرق، ويقطع الطرق والأحياء والشوارع الرئيسة. لقد شق هذا السور مدينة برلين فعزل الأصحاب والأحبة عن بعضهم، حتى إنه قد شق بعض المنازل فقسمها لتصبح الحديقة في برلين الشرقية وبقية المنزل في برلين الغربية! كان السور بمنزلة شريط حاجز يشبه أفعى طويلة تُهدِّد من يحاول أن يتجاوزها لينتقل إلى المعسكر الآخر. لقد كانت برلين الشرقية هي صاحبة هذا المشروع العازل الذي كلَّف ألمانيا الشرقية 150 مليون دولار لمنع هجرة القوى العاملة من برلين الشرقية إلى برلين الغربية. يبلغ طوله 106كم، بينما يبلغ ارتفاعه 2.80 متر، محاطاً بالأسلاك الشائكة يمر بها تيار كهربائي يصعق من يحاولون الفرار. كان فعل هذا الجدار الجبار في سكان برلين عنيفاً، إذ بلغ عدد ضحاياه أكثر من 1200 شخص لا جرم اقترفوه سوى أنهم حاولوا الفرار من المعسكر الشرقي إلى الغربي. كان أمام هذا الجدار العازل في بدايته حكايات من الألم والفراق بين الأهل والأحبة. أما في منتصف زمانه كانت هناك الرغبات الملحة من سكان ألمانيا الديمقراطية للفرار من جحيم الشيوعية إلى الانفتاح الاقتصادي الأوروبي في برلين الغربية التي كانت بمنزلة النعيم القريب الذي يفصلهم عنه جدار يسمى جدار برلين. عُزِّز بأبراج للحراسة بلغ عددها 300 برج، و22 مخبأ، وكان يعمل في حراسته 14 ألف جندي.

بسبب شريط الموت الذي دام 28 عاماً كره سكان برلين الجدران العازلة بالقوة، لذا عندما سقط الجدار عام 1990م بقرار المعسكر الشرقي الذي بناه، توجَّه سكان برلين الغربية والشرقية بمعاولهم لهدم ذلك الجبار الذي حرمهم متعة الحرية. وفتتوه فيما بينهم لتكون أحجاره مجرد قطع تذكارية.



sspc

سراديب الموتى
جدران من الجثث

لا شك في أن الكثيرين عندما يستندون بظهورهم إلى الجدران ينشدون نوعاً من الأمن. لأن الجدار هو آخر معقل للأمان عندما تعز الملاجئ.

ماذا لو قُدِّر عليك أن تستند بظهرك إلى الجدار في سراديب الموتى في باليرمو التي تقع في جزيرة صقلية جنوب إيطاليا؟! بالتأكيد ستكون تجربة مثيرة للبحث عن الأمان بين براثن الفزع. إذ تكتسي جدران السراديب بعدد يتجاوز 8000 مومياء مختلفة، يعود بعضها لقرون خلت، فتبدو كأنها معلقة على الجدران بمشاجب مخفية تنتظر أن تتحرر من جدارها لتنقض عليك. لقد كانت هذه السراديب في البداية مكاناً مخصصاً لدفن الأساقفة والرهبان الكبوشيين، وهم جماعة دينية كاثوليكية تأسست في إيطاليا عام 1525م. ولقد اختاروا السراديب المعتمة تحت مدينة باليرمو لتكون مثواهم الأخير والسري بعد موتهم وتحنيطهم. في عام 1599م اكتشف الرهبان هذه السراديب السرية التي أسبغوا عليها طابع التفرد والتميُّز. فبدأت السراديب في استقبال الموتى من العامة الموسرين منذ عام 1599م وحتى 1880م، إذ أغلقت رسمياً. لكنها في عام 1920م استقبلت مومياء الطفلة روزاليا لومباردو على نحو خاص. كان على أهل المتوفى أن يدفعوا للكنيسة والسراديب مبالغ سنوية على هيئة تبرعات مقابل أن تُعلَّق الجثة بعد تحنيطها على جدار السرداب! إذ كان المبلغ بمنزلة الإيجار السنوي للجدار، فحالما يتوقف أهل المتوفى عن الدفع، فإنَّ المومياء ستوضع في صندوق على الرف بدلاً



sspc

جدران سراديب الموتى في باليرمو وقد اكتست بمومياوات عديدة

من الجدار، متعرضة بذلك للإهمال والتجاهل المتعمدين. عكس تلك المعلقة التي ربما تُستبدل ملابسها على فترات منتظمة بحسبما ورَدَ في وصية المتوفى.

تحوَّلت هذه السراديب أو الجدران إلى مزار سياحي يمكن للزائر التجول عبرها لمشاهدة الجثث المحنطة والمعلقة على الجدران، مع الحذر الشديد في عدم الاستناد إليها. لقد قُسِّمت مومياءات سراديب الموتى الكبوشيين إلى فئات عدة وهي: الرجال والنساء، العذارى والأطفال، الكهنة والرهبان، والأساتذة والفنانون. ويقال إن الرسام الإسباني الشهير فيلاسكيز (1599-1660)م موجود بين مومياءات سراديب الموتى في باليرمو، ويحتل أحد جدرانها مع مجموعة هم على شاكلته من الأساتذة. لا شك في أن تلك الجدران مفزعة، إذ تشبه فلماً مرعباً يتحقق على أرض الواقع، ويجعل الزائر يمشي بحذر خوفاً من أن يحتك طرفه بالجدار المبطن بالجثث المحنطة. فالجدار في تلك السراديب بمنزلة قبور مكشوفة للعيان.

الجدران في القرآن والشعر

لعل أول جدار مقدس جاء ذكره في القرآن هو جار الكعبة في لحظة رفع قواعدها. كما ورد ذكر «الجدار» صراحةً في مواضعَ ثلاثة، اثنان منها بلفظ الإفراد «جدار»، والثالث بلفظ الجمع «جُدُر». وورد ذكرُه من دون تصريح بلفظه في قصَّة ذي القرنين.

الموضعان الأوَّلان في سورة «الكهف»، التي حدثتنا عن عدد من القصص الغابرة، فيها من العِبَر والعِظات الكثير الكثير.

ومن تلك القصص قصةُ كليم الله سيِّدنا موسى مع نبيِّ الله الصالح الخَضِر - عليهما السلام - الذي آتاه الله علماً خاصّاً من لدُنه لم يُؤتِه موسى، وهو العلمُ ببعض تصاريف الله في عباده مما ظاهرُه شرٌّ مكروه وحقيقتُه خيرٌ مرغوب.

ومن خبره مع سيِّدنا موسى أنهما اجتمعا: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ (الكهف: 77)، ثم قال سبحانه على لسان الخَضر في تفسير سبب فعله: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ (الكهف: 82). وقد شاء الله أن يجعلَ الجدارَ مخبأً لكنزهما؛ لما فيه من قوَّة ومنعة، فهو خيرُ مكان لحمايته حتى يشُبَّ اليتيمان ويقوَيا على استخراجه.

ولذلك أخبر الله عن اليهود أنهم من جُبنهم وخَوَر نفوسهم لا يجرؤون على قتال المسلمين إلا متحصِّنين، يلوذون بالجدران ليختبئوا خلفها، وقد فضحَهُم ربُّنا، سبحانه، فكشف عن حقيقتهم بجَلاء في سورة «الحشر» قائلاً: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ (الحشر: 14). وذلك هو الموضع الثالث من مواضع التصريح بلفظ الجدار.

وفي سورة «الكهف» حديثٌ عن جدار عظيم، أقامه ملكٌ صالح عادل قويٌّ شجاع وهو ذو القَرنين، شيَّده من الحديد والنحاس الصُّلب، ليكونَ سدّاً منيعاً يحمي الناسَ من قوم يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض، وقد حاولوا أن يعلوا الجدارَ ويرقوا عليه فلم يُفلحوا لعلوِّه وملاسته، وحاولوا أن يخرقوه من أسفله فعَجزوا أيضاً لشدَّته وصلابته. وخبر هذه القصة في الآيات «93-97» من سورة الكهف، ولم يصرَّح فيها بلفظ «الجدار» وإنما ذكر بلفظ السدِّ.

ملامح الجدار في الشعر العربي

حيث يذكر الجدار يذكر البيت، وللبيت مع الشعر حكاية، فالعرب لم يعتنوا في بدايات نشأتهم بالعمارة، وقد كان أكثرهم يسكن الخيام بدلاً عن البيوت، هذه الخيام ليست كالبيوت الثابتة، فهم ينقلونها معهم أثناء ضعنهم، وتبقى ذكريات المكان الذي حلت به بيوتهم لفترة، ومن كان يجاورهم به من شجر وبشر، وما نشأ بهما من علاقات ألفة وجيرة وحب:

يا جارة الوادي طربت وعادني
ما يشبه الأحلام من ذكراك

لم يكن لألفة المكان والاستقرار به دور كبير كما في القرى والمدن، ولذلك لا تقدير للجدران والبيوت، سوى بيت واحد وحسب، بسيط البناء، موغلٌ في القدم، كانوا يقدسونه، وهو الكعبة، بيت الله، وعلى أستاره علّقوا قصائدهم.

في المقابل، معنوياً، كان لهم بيت واحد يسكنونه هو الشعر، وكانوا يسمّون الوحدة الشعرية «بيتاً». لم تكن لهم دوواين كدواوين الملوك، وكان الشعر وحده «ديوانهم»، يفخرون به كما يفخر الآخرون بأبنيتهم.

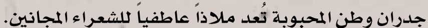
وحين نتأمل رحلة الجدار في الشعر، منذ اقدم بيت شعري، نستطيع تذكره، وردت فيه مفردة «جدار»، إلى آخر بيت قرأناه في قصيدة حديثة، فثمة تباين كبير في ملامح الجدار والوظائف التي يقوم بها شعرياً في القصيدة. ولعلّ من أقدم وأشهر الأبيات التي استعانت بالجدار بيتُ مجنون ليلى الذي يصف حاله في الحب:

أمرّ على الديار ديار ليلى
أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي
ولكن حبّ من سكن الديارا

نقرأ هذين البيتين فلا نرى للجدار الذي يقبله الشاعر ميزة يستحق لأجلها التقبيل سوى أنه كان مسكناً أوت إليه ليلى، ومس جسدها جسده، الجدار هنا تابع للمحبوب يكتسب قيمته منه، إلا أن الأمر ليس كذلك لدى ابن الرومي مع جدران بيته:

الجدار في اللغة، يعني الحاجز أو العائق أو الحاجب، والجِدارُ الحائط، والجمع جُدُرٌ، سيبويه قال: هو مما استغنوا فيه ببناء أكثر العدد عن بناء أَقله، فقالوا ثلاثة جُدُر، وقول عبدالله بن عمر أو غيره: إِذا اشتريت اللحم يضحك جَدْرُ البيت، يجوز أَن يكون جَدْرٌ لغةً في جدار، قال ابن سيده: والصواب عندي تضحك جُدُرُ البيت، وهو جمع جِدارٍ، وهذا مَثَلٌ وإِنما يريد أَن أَهل الدار يفرحون.





جدران وطن المحبوبة تُعد ملاذاً عاطفياً للشعراء المجانين.



ديوان الحازمي احتوى قصيدة شارع في الجدار.

ولي وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعماً
بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفته الروح حتى كأنه
لها جسد لو بان غودر هالكا

فالتّماسّ هنا أصلي، والتعلق صميمي، والعلاقة لم تعد عبر أشخاص آخرين وإن ابتدأت كذلك، العلاقة لم تعد قابلة للزوال بزوال الأشخاص، فقد حلّ الدفئ العاطفي في هذه الجدران، وأصبحت رمزاً لنعيم الشباب، وخلاصة لملذات الحياة، والارتباط بها أصبح غير قابل للانفكاك سوى بالموت تماماً كارتباط روح بجسد.

مع الشاعر السعودي علي الحازمي في قصيدته «شارع في جدار» نصل برحلة صورة الجدار في الشعر إلى ملمح جديد عبر انتقالة شاسعة نحو الزمن الحديث، لنجد الشاعر وقد تماهي مع الجدار في صورته الشعرية، ليصبح الشاعر والجدار جسداً واحداً على مستوى الصورة:

«امرأة شطرت حلم عمرك نصفين دون اكتراث
شقت بنظرتها شارعاً في جدار اكتراثك
دقت برأس خيالك مسمار صورتها عنوة
امرأة لم يكن باستطاعتها أن تغادر أسوار وهمك حين تنام
ذنبها وحده أنها ابتسمت ذات يوم أمام الرصيف لشخص قبالتها كنت
تفصله في وقوفك بينهما دون قصد
أطلت تحدق في سحرها باشتهاء مديد وما كنت تدري بأن وقوفك هذا يؤخر
غضنا فسيحاً سيشرع في الريح كلتا يديه ليأخذها من أمامك بعد قليل».

نلاحظ أنّ الجدار تغلغل في دور القيام بتمثيل مشاعر الإنسان الدقيقة، فهو يعبر عن البلادة وعدم «الاكتراث» وجمود المشاعر، ولكنه يقوم بدور مناقض في الشطر التالي مع عبارة «جدار اكتراثك»، حيث يقوم التضاد بين جمود الجدار وحركية الاكتراث على خلق صورة جديدة مبتكرة فيما بينهما. كما أن الجدار يحضر باعتباره إنساناً ينشق بنظرة أنثى، ويدق في رأسه مسمار تعلق فيه صورة تلك المرأة وفي الاستعانة بالمسمار تعبير عن ألم دائم واحتفاء بهذا الألم «المعلّق».

في عدد قليل من المقاطع الشعرية استطاع الشاعر تحميل الجدار عدداً من الوظائف المختلفة، ولكنها تصب جميعاً في نهاية واحدة هي إيلام الشاعر، الجدار كان حصاراً للشاعر داخل حكاية الألم هذه «أسوار الوهم»، فالمفارقة الكبيرة التي تكتشفها في نهاية القصيدة أن كل هذا الألم كان صدفة في موقف لم يكن الشاعر هو المقصود به، القصيدة تنتهى بانفتاح القصيدة على الريح بما تعنيه من عدم الاستقرار بعد أن كانت بدأت بامرأة وحلم، وقبل ذلك بعنوان «شارع في جدار» الذي يختصر الحكاية بأن حياة سكينة مشوبة بهدوء جامد قد انقلبت صدفة إلى جصار داخل أسوار تمور بالاضطراب، وقد كان للجدار دوراً أساسياً في تمثيل هذه العوالم المتناقضة فمنه تبدأ الحكاية وإليه تؤول.

وفي العصر الحديث أيضاً نرى في قصيدة «جدار يريد أن ينام» للشاعر عبد النور الهنداوي ملمحاً جديداً للجدار، فالقصيدة لا تتناول الجدار بشكل مباشر، ولا ذكر للجدار في النص، والعنوان وحده يشير إلى صورة جميلة ومغايرة للجدار باعتباره رمزا للصمود ولكنه أصيب بالتعب من كثرة الوقوف وهو الآن يريد أن ينام!.

الجدران في الفن

لن يخطر على بال أن الجدار الجامد سيقطر رقةً بوصفه مُلهماً، وذلك لتوظيفه في القصائد والأغاني. فالجدار تردَّدَ كثيراً في الأغاني العربية والعالمية، وزاحم الورد والشمس وضوء القمر وكل الكائنات العذبة.

طفل يكتب فوق جدار لمارسيل خليفة من أشهر القصائد التي وصفت الظروف الاجتماعية القمعية التي تفرضها الأسوار الفولاذية حول المستوطنات في فلسطين. وقامت الفنانة أميمة الخليل بتأديتها في الكثير من حفلاتها أيضاً.

طفل يكتب فوق جدار

طفل نبتت بين أصابعه النار

أيتها الخوذات البيضاء حذار

من طفل

نبتت بين أصابعه النار

من طفل يكتب فوق جدار

يكتب بعض الأحجار.. وبعض الأشجار.. وبعض الأشعار

أما في الفن السعودي فقد ظهر الجدار في أغانٍ كثيرة، من ضمنها أغنية «زمان الصمت» من كلمات الشاعر الأمير بدر بن عبدالمحسن للفنان طلال مداح. ولقد رددها كثير من أبناء العالم العربي. كان أول ظهور لهذه الأغنية في السبعينيات الميلادية، تقول كلمات الأغنية:

«حبيبي يا حبيبي

كتبت اسمك على صوتي

كتبته في جدار الوقت

على لون السما الهادي

على الوادي

على لوني وميلادي».

كيف للاسم أن يُكتب في جدار الوقت؟ وكيف يكون للوقت جدار؟! من هنا كان بدر بن عبدالمحسن مهندساً للكلمة، وبانياً للجدار الذي كتب عليه اسم المحبوبة. فالجدران مرتع خصب لأسماء الأحبة.

أغانٍ عالمية في الجدران

كانت فرقة بينك فلويد البريطانية من أكثر فرق الروك تميزاً في العالم، إذ وصلت شهرتها الآفاق في السبعينيات والثمانينيات الميلادية. بدأت في أواسط الستينيات كمجموعة أصدقاء تلاقوا وتآلفوا في جامعة كامبريدج مكونة من سيد بارت، بوب كلوز، روجرز ووترز. ريتشارد رايت. بدؤوا


sspc


طلال المداح


sspc

مارسيل خليفة

كفرقة أتحفت العالم لدى عقدين من الزمن بأروع الألبومات الغنائية التي تحمل طابع الروك. ولعل أشهر هذه الألبومات ألبوم THE WALL الذي صدر عام 1979م وهو الألبوم الحادي عشر للفرقة. وكان أفضل الألبومات مبيعاً في عام 80م، حيث بيع منه أكثر من 23 مليون نسخة. وقد حصلت أغنية الجدار التي غنتها فرقة بينك فلويد على ترشيحات لجوائز عالمية. كما حصلت على المركز الأول في قائمة العشر أغانٍ الأولى في بريطانيا وأمريكا.

قُسمت هذه الأغنية الشهيرة إلى ثلاثة أجزاء.. كل جزء منها يتحدث عن جدار مجازي مختلف.

في الجزء الأول تُشبه الأغنية التمييز العنصري والحروب العرقية بالجدار الذي يتم بناؤه طوبة طوبة حتى يتحول إلى جدار عازل، كما تصف كيف ودّع الابن أباه عند الذهاب إلى الحرب وكيف علم بموت والده:

أبي طار عبر المحيط

تاركاً فقط ذكرى

صورة من ألبوم العائلة

أبي، ماذا تركت لي أيضاً؟

أبي، ماذا خلّفت لي؟


sspc

ككل كانت فقط طوبة في الجدار
ككل هم كلهم فقط طوبات في الجدار

في الجزء الثاني تتناول الأغنية الجدار النفسي السلبي الذي يتسبب في بنائه عنف المعلمين والمعلمات، سواء عن طريق الإهانة الجسدية أو المعنوية:

لسنا بحاجة إلى تعليم
لسنا بحاجة إلى تحكم في الأفكار
لا للسخرية التهكمية في الصف
اتركوا الأطفال في حالهم أيها الأساتذة
ككل هي فقط طوبة أخرى في الجدار
ككل أنتم فقط مجرد طوبة في الجدار

الجزء الثالث قرر كاتب الأغنية أن يتخلص من كل ما يعوق حياته الشخصية والعاطفية وينوي الحصول على علاقات ناجحة وسوية، وشبّه الأشخاص في حياته بطوبات في الجدار الذي يمنعه عن المضي بحياته نتيجة الغضب وخيبات الأمل التي يصيبونه بها.

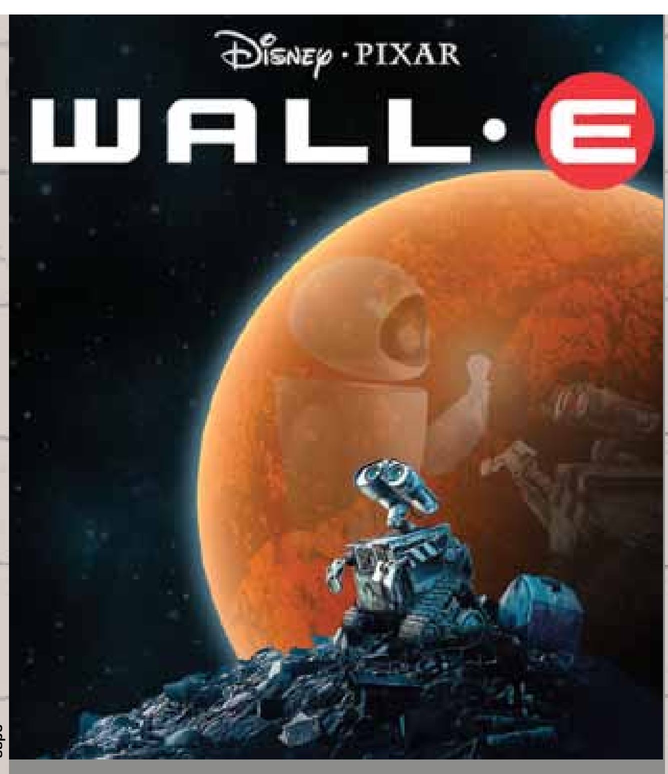
لا أحتاج لأذرع تحضنني
لا أحتاج لعقار لتهدئتي
لا أعتقد أني أحتاج أي شيء على الإطلاق
ككل كانت كلها مجرد طوبات في الجدار
ككل كنتم كلكم مجرد فقط طوبات في الجدار



sspc

فلم بينك فلويد والجدار

بسبب الشهرة والرواج الذي لاقته الأغنية والفرقة، وبعد ثلاث سنوات من إصدار الاغنية، أنتج عام 1982م فلم روائي موسيقي طويل بعنوان: «بينك فلويد والجدار». يدور حول هذه الفرقة ومراحل إنتاج هذا الألبوم المتميز الذي يتحدث عن الجدران. وقد كتب الرواية عضو الفرقة روجرز ووترز، وكان الفلم من بطولة بوب غيلدوف، وإخراج آلان باركر.
الجدير بالذكر أن الفلم حصل على جائزتي BAFTA.



sspc

فلم
«ول إي» Wall-E

الجدار في عالم الفن أخذ حيزاً كبيراً، فالعديد من الأفلام والمسلسلات والأعمال المسرحية تطرقت للجدار بشكل مباشر أو غير مباشر، ويعد فلم «ول إي» من أبرز الأفلام التي تناولت مفهوم الحائط بالمعنيين المادي والافتراضي، ويروي الفلم قصة روبوت وحيد اسمه «ول إي» يبحث عن الحياة والعاطفة على كوكب الأرض في عام 2700م، بعد أن هجره البشر ليعيشوا على متن سفينة فضائية هرباً من التلوث الذي تفشى عقب الاستهلاك غير المنظّم لموارد الطبيعة، وانتشار أطنان من النفايات شكلت جدراً عملاقة في كل مكان.

أما الجدار المجازي فهو الجدار العاطفي، إذ تجمع قصة حب بين «ول إي» و«إيف» «روبوت آلي حديث» يفترض أنهما لا يملكان الإحساس بالمشاعر في قالب كوميدي ظريف أخرج بطريقة فنية رائعة حسب تقييم النقاد، إضافة إلى ذلك يسعى الفلم إلى التحذير من الجدران النفسية نتيجة الاستسلام للتكنولوجيا الحديثة ومنتجاتها المختلفة، التي أصبحت تتدخل في أدق التفاصيل، وتتحول إلى إدمان على مشاهدة التلفزيون أو الجلوس أمام شاشات «الكومبيوتر»، أو استخدام الهاتف في كل مكان وزمان، مما يؤدي إلى عزلة تبدأ بسيطة، تبعد البشر عن بعضهم قبل أن تستفحل لتتحول إلى حال من العزلة التامة.


sspc

الجدران الوهمية

من أكثر قصص الجدران غرابة تلك التي أبطالها أشباح، تخترق الجدران عابرة الأماكن، كأن الجدار الحجري من وهم! كذلك الجدران المجازية التي تمثل درعاً واقية، كالجدار الناري الذي يمنع أي اختراق أو تسلل.

كل منا في طفولته تمنى لو يعبر الجدران كشبح مخاتل، متجاوزاً الأقفال والأبواب والجدران!

كثيرون منا حلموا بفتحة الزمن في الجدار التي تبتلعنا لأماكن مختلفة، لكن الجدار الأسمنتي ما زال يقف لنا بالمرصاد. أما حلمنا بالاختراق فقد بدأ يتراءى لنا مع ما قدمه خبراء التقنية في جامعة تامبر في ولاية فلوريدا الأمريكية. متمثلة في اقترحات مذهلة وخلاقة للمهندسين والمعماريين في عالم بناء الجدران. وهو أن يستبدلوا جدران المنزل الداخلية التي تبنى عادة من الأسمنت أو الجبس، بجدران أخرى ضوئية ثلاثية الأبعاد، تصدر من بروجكتر مخفي. إن هذه الجدران في الأصل حواجز افتراضية تحجب الرؤية، حيث تتكون من ضوء شعاعي وضباب، تتجسد في الفراغ كجسم لجدار حقيقي، لكن الأجسام الأخرى تستطيع العبور والنفاذ من خلاله. فمستقبلاً عندما ترى مضيفك يعبر من أحد جدران الصالة في بيته حاملاً لك صينية القهوة، لا ترتعب، فمضيفك ليس شبحاً، إنما بنى منزله بأسلوب حديث وتقني.

من المفارقات أن حلمنا بتحطيم الجدار الحقيقي والنفاذ من خلاله، يقابله حلم آخر يدور حول جدراننا الوهمية التي يشيدها المبرمجون التقنيون لتحفظ أسرار عملنا وحياتنا الخاصة في أجهزة الحواسيب. مثل الجدار الناري الذي نحلم بأن يكون أشد قوة من الجدران الحقيقية المبنية من الخرسانة والأحجار.

فبينما هناك جدران حقيقية تمر خلالها أشباح الأجسام، هذا لو سلمنا جدلاً بصدق حكايات الأشباح، هناك جدران افتراضية تمنع أعتى اللصوص من اختراقها.



حول الجدران الوهمية تدور قصص المستقبل، وحول قصص الأشباح تُخترق الجدران الحقيقية.

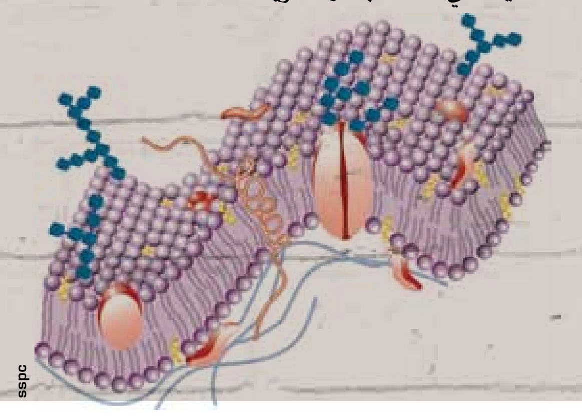
sspc



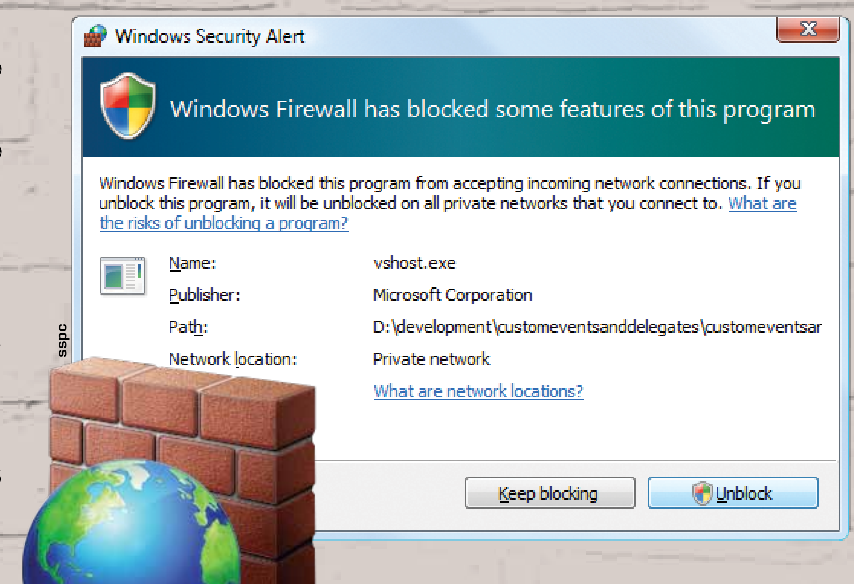
sspc

جدار الخلية

هو طبقة صلبة تحيط بالخلية من الخارج لا تُرى بالعين المجردة، وتقوم بتحديد شكل الخلية وتوفير الحماية لها، بالإضافة إلى حمايتها من الخدوش والأخطار الخارجية. ويتكون الجدار الخلوي من ثلاث طبقات تتألف من معادن مختلفة أهمها البروتين والسليلوز. ويساعد جدار الخلية على تحديد أنواع مختلفة من الخلايا: حقيقية النواة أو غير حقيقية النواة. وتعد النباتات والفطريات والبكتيريا أمثلة على الكائنات الحية التي تمتلك جداراً خلوياً.



sspc



الجدار الناري
Windows Firewall

برنامج تقني يفصل بين الملفات الخاصة الموجودة على جهاز الحاسوب وبين الملفات العامة التي يستخدمها الجهاز نفسه للدخول إلى شبكة «الانترنت»، وبذلك فهو يتولى تصفية وعزل أي محاولة تسلل يقوم بها قراصنة «الإنترنت- الهاكرز» إلى الجهاز. ويتميز البرنامج بتوافر مستويات حماية عدة، تتيح لمستخدمه القدرة على التحكم في أحقية المرور ضمن قواعد معينة.

والاسم «جدار النار» مجازي، يعود إلى أكثر من قرن، حيث انتشر في البلدان التي كانت بيوتها تبنى من المواد السريعة الاشتعال كالقش، والحطب، فيتم بناء حائط من الطوب بين البيوت بشكل يوقف انتقال النيران المحتملة يُدعى الجدار الناري.

جدار القلب

لجدار القلب أهمية إيجابية يتعدى دوره في حماية أهم عضلة في جسم الكائنات الحية وهي تقنية طبية ذكية، تعمل على كشف سرعة تصنيع الأنسجة البيولوجية داخل جدران الأوعية الدموية للقلب، وبالتالي تساعد على التنبؤ باحتمالية حدوث التهابات في شرايين القلب الرئيسة، والتي تمنع وصول الدم إلى الدماغ، مما قد يتحول لدى بعض المرضى إلى جلطة.

جدار الصين الإلكتروني

اسم أطلقته الحكومة الصينية تيمناً بسور الصين العظيم، على جدار الرقابة الافتراضي، والذي صُمّم كي يمنع وصول مستخدمي «الإنترنت» في البلاد إلى بعض المواقع السياسية. وهو ليس الجدار الأول الذي تستثمر فيه الصين مبالغ كبيرة في مجال مراقبة «الإنترنت»، إذ شكلت الحكومة هيئة رقابية متخصصة يطلق عليها مكتب الدولة لمعلومات «الإنترنت».

التلصص من وراء الجدران

يقال إن الجدران لها آذان، وذلك لأن هناك من يلصق أذنه خلف الجدار ليستمع لما يدور في الطرف الآخر من المكان المعزول. كما للجدران آذان كذلك للبعض منها ثقوب، فالجدار ليس بذلك الجسم المصمت الموثوق به. فجدران الطين لها من الثقوب ما يجعل العيون تتنزه متلصصة. أما جدران الجبس الحديثة المدعمة بقوالب حديدية، فهي ناقل مثالي للصوت. لذا لا تثق بالجدار.. فربما كان خلفه من يتربص بك.

الغرافيتي..

فن الخربشة بالرذاذ

لم تكن، يوماً، جدران الشوارع مكاناً مناسباً للإلهام الفني، فالفنانون المحترفون يقبعون في استديوهاتهم الخاصة ساعات وأياماً طوالاً لإنجاز لوحة. لكن بعض أساليب التعبير الجامحة، ربما، أوجدت نوعاً من الفن جعل من جدران الشوارع مكاناً للإبداع، أُسبغ عليه اسم «الغرافتي» لا يعتمد في ألوانه على الألوان الزيتية أو المائية المتداولة لدى الفنانين، إنما اعتمد بشكل كامل على ألوان الرذاذ أو ما يُسمى بالبخاخ الملون.

يُعتقد أن الكتابة والرسم على الجدران عمل سيئ، يُعد جريمة يعاقب عليها القانون في بعض الدول المتقدمة. وإزاء هذا التجريم لجأ الشبان إلى ممارسة هذه الخربشة التي تحمل رسائل سياسية واجتماعية كردة فعل عنيفة على هذا التجريم، ولكن بطريقة متقنة وبتأنٍّ جعل من المشاغبين فنانين بامتياز.

لقد بدأ هذا الفن في عام 1961م في لوس أنجلوس، حيث كان وسيلة للتعبير عن الذات لدى من يعانون الفصل العرقي، وذلك في شوارع لوس أنجلوس الخلفية التي هي مكان للسود والملونين. إنَّ فن الغرافتي أداة يلوِّح بها الشبان في وجه السلطة، حيث يصممون الشعارات ويكتبون الرسائل اللافتة على جدران عامة يراها الجميع.

فن الغرافتي أو الرسم على الجدران أسلوب حديث غزا جميع دول العالم التي تعاني شعوبها الفصل والقمع العرقي، ولكنه ظل فناً من دون فنانين معروفين، إذ غالباً ما يترك متعاطو هذا الفن لوحاتهم الجدارية من دون توقيع مهما كانت مبدعة وجميلة خوفاً من الملاحقة القانونية.



غرافيتي من أعمال الفنان الشهير بانكسي.

sspc



الكتابة على صدر الجدار

هل الكتابة على الجدران شغب أم شغف؟! وهل الجدران التي تكشف لنا عن صدرها تغري بالخربشات فيتفتق واقع الشارع المهادن عن فنانين وثوار وعشاق ومكلومين بفقد؟! لماذا كانت الكتابة على الجدران ممنوعة؟! وتصرفاً غير حضاري، بينما هي التي حفظت جزءاً من تاريخ العصور البدائية والقديمة.

لا شك، أن الكتابة على الجدران اليوم تختلف عنها قديماً، فالأخيرة كانت بغرض التدوين وحفظ ما يود شعوب تلك الأمم بقاءه، وذلك بكتابتهم على جدران المعابد والكهوف، بينما الأولى بمنزلة صرخة تحتاج إلى عسف وترويض، لأنها تنتهك جدران الغير، حتى وإن كان بعضها يحمل

من بين الفنانين المجهولين لهذا الفن برز الفنان الجداري الغرافيتي بانكسي، وهو ناشط سياسي ورسام ومخرج سينمائي بريطاني، ولد في عام 1974م ونشأ في بريستول في إنجلترا. بدأ في الكتابة على الجدران وهو لم يتجاوز الثانية عشرة، ولاحظ المراقبون لرسوماته أنها تشبه إلى حد كبير رسومات فنان الإستنسل الفرنسي الشهير بليك لي رات 1953م. ما جعله ملاحقاً من قبل المعجبين ونقاد هذا الفن الرائع.

على الجدران.. أزياء من ورق

الجدران حواجز تحجب المدى. على سطوحها المصمتة ربما انبثق مدى مزيف بفعل لوحة أو زخرفة، أو سجاجيد معلقة فتعطي انطباعاً مبهجاً عن الجدران بخلاف أنها حواجز حماية.

مثلما للأشخاص ملابس وأزياء كذلك كانت للجدران أزياء وزينات مختلفة، لعل أهمها ورق الجدران الذي يغطيها ليمنحها نوعاً من الترف.

بدأت حكاية ورق الجدران من القرن السابع عشر الميلادي. ابتكره الأوربيون بسبب غلاء المعيشة التي فرضتها الحروب، وذلك بديلاً عن المعلقات المصنوعة من خشب أو سجاجيد، إذ كانت بالإضافة إلى كونها زينة فهي تمثل طبقة عازلة على الجدران الحجرية توفر الدفء. وكان هذا الأسلوب متبعاً لدى الأغنياء في العصور الوسطى. لكن هذه المقتنيات من سجاجيد وألواح خشبية كانت مكلفة للغاية، مما دعت الطبقة الأقل ثراءً في عصر النهضة للجوء إلى ابتكار ورق الجدران المزين برسومات تشبه رسومات السجاجيد واللوحات الخشبية الكبيرة التي كانت تعلق على الجدران قبل هذا العصر. في البداية كان ورق الجدران يعلق بالأسلوب نفسه المتبع مع المفروشات الأخرى، فلم يكن يثبت بالغراء أو الصمغ، بل كان يعلق بطريقة يبدو فيها فضفاضاً. بعدها اتبع الأسلوب المتبع حالياً في تثبيته كاملاً مما يجعله يبدو كأنه الجدار.



الفنان الألماني ألبريشت دور، ابتكر رسومات ونقوشًا عدة لورق الجدران.

sspc

ظهرت أسماء عديدة لمصممي هذا الفن من بينهم الفنان الألماني ألبريشت دور الذي يُعد من أشهر فناني عصر النهضة وابتكر رسومات ونقوشًا عدة لورق الجدران. وابتكر غيره من الفنانين نقوشًا أخرى فكانت هناك أنماط مختلفة ومحددة لرسوم ورق الجدران ونقوشه. في منتصف القرن الثامن عشر كانت بريطانيا العظمى هي الرائدة في مجال تصنيع ورق الجدران معتمدة في نقوشها على 17 نمطًا أساسياً ابتكره فنانو أوروبا في عصر النهضة. ومع تباشير القرن التاسع عشر وتحديداً في عام 1813م تطورت المطابع، مما مكن المصنعين لورق الجدران من إنتاج كميات كبيرة أهلت أن يكون ورق الجدران من الأشياء الأكثر شعبية في أوروبا، فلا يكاد تخلو جدران بيت من هذا الورق الذي يحيي بعضه مناظر خلابة على الجدار، وتخرج الجدار من صمته وجموده إلى أن يكون جانباً من الفن في البيت.



sspc

فناً أو وجعاً، أو طيفاً لذكرى. لماذا كان الجدار الحامي لوحة للخربشة في زمن الورق والدفاتر؟ هل ذلك الصدر الظاهر للعيان ويراه الغادي والرائح لوحة مثالية للشكوى؟!

الجدار الصامت الجامد هو الناقل لكل ما يُكتب عليه بفضيحة توازي اتساعه ونصاعة لونه. هو، أحياناً، مرآة المجتمع الملوثة. لذا لا بد من صقلها وتنظيفها من حين لآخر.

من الطرائف التي تنقلها جدران الشوارع عبارة: «ممنوع الكتابة على الجدران»، وهي مكتوبة بلون أحمر صارخ على أحد جدران البيوت. وكأن بهذا المنع دعوة للكتابة وللخربشة والفضفضة ملؤها التحدي لبداية ماراثون من الكتابة. إن جدران البيوت الخارجية في الشوارع الأكثر فقراً وقهراً ملاذ خصب للشغب. فعبارات الحب والقلوب التي تخترقها السهام وأبيات شعرية كسرها الجهل بالإملاء، والتناصر لأندية رياضية، جميع هذه الخربشات أبطالها من الذكور الذين يجدون متعة في الشكوى والصراخ على جدران أصبحت الكتابة جزءاً من ملامحها. فلو اختفت عنها الكتابة لبدت بلا ملمح تذكر به.

لقد كانت الجدران في العقدين الماضيين بمنزلة صحيفة تعبِّر عن هموم شريحة من المراهقين الشباب وأفراحهم. فلوَّنوا الجدران بما يجوز ولا يجوز من عبارات خادشة للحياء. لقد امتدت هذه الصحيفة لتشمل المدن والقرى وحتى جدران الجبال. ثم تحوَّلت الكتابة إلى ظاهرة حوربت إلى أن اختفى اللون البخاخ من الدكاكين الصغيرة. ولم يعد يباع لمن يشتبه بهم كمخربين للجدران. لكن هذه الظاهرة لم تنته بالنصح أو القمع، ولم تضمحل إلاّ في وجود جدار آخر يُدعى الفيس بوك، ولهذا الجدار حكاية.



sspc

جدارية «الزيارة إلى سان ايسيدرو»

هل هذه اللوحة الجدارية تسرق النظر، أم تثير في النفس شيئاً من الكآبة؟!

من الوهلة الأولى في هذا اللوحة المعتمة نطالع خطاً طويلاً متواتراً من الناس المختلفين، مرسوم على وجوههم فزع وترقب. تتعاطف معهم دون أن يثيروا في نفسك المحبة تجاههم فهم بملامح مخيفة، وبعيون مليئة بالهلع.
من هم؟ وإلى أين هم ماضون؟!

سؤال يجيب عنه فرانشيسكو غويا 1746م الذي رسم هذه اللوحة الجدارية الضخمة، إذ بلغ طولها 140 سم، وعرضها 438 سم في منزله «سوردو كينتا ديل» في إسبانيا، في القرن الثامن عشر أيام محاكم التفتيش. إن هذه الجدارية تُعدُّ من أشهر أعمال غويا الفنية، فهي ضمن مجموعة جداريات أخرى رسمها غويا في مرحلة متأخرة من حياته متزامنة مع إصابته بالصمم والأرق، ما جعلته عاجزاً عن النوم والسمع فعاش في جو من الكآبة والسواد. هذه الحالة المأساوية جعلت من غويا يرسم على جدران بيته الذي سُمي «دار الأصم» بألوان سوداء أو مظلمة لشخوص مرعبين أو مفزوعين.

تُعدُّ جدارية «الزيارة إلى سان ايسيدرو» من أكبر جداريات غويا، إذ رسمها في الطابق الأرضي من منزله على أكبر جدار فيه مع جداريات أخرى، وذلك ما بين عام 1819 و1824م، بعدها غادر غويا إسبانيا إلى فرنسا. وبيع المنزل ذو الجداريات السوداوية إلى أشخاص عديدين في مراحل مختلفة إلى أن تملكه البارون دي ايرلانغر 1874م الذي تبرع بهذه اللوحات الجدارية إلى متحف برادو، بما فيها هذه اللوحة التي تمثل شخوصاً مفزوعين في طريقهم لغسل ذنوبهم إلى سان ايسيدرو.



الخير في مساحة صغيرة



طاقة للعالم.. للوطن طاقات

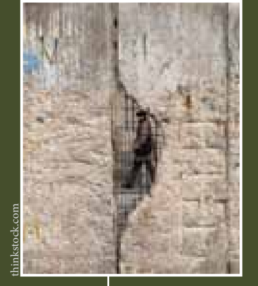
www.saudiaramco.com



القافلة

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين
عن أرامكو السعودية
مايو - يونيو 2011
المجلد 60 العدد 3

ص . ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية
www.saudiaramco.com



thinkstock.com